# ٢١

# باب الهجر

ومن آفات الحب أيضاً الهجر ، وهو على ضروب :

فأولها هجر يوجبه تحفظ من رقيب حاضر ؛ وإنه لأحلى من كل وصل ، ولولا أن ظاهر اللفظ ، وحكم التسمية ، يوجب إدخاله فى هذا الباب ، لرجعت به عنه ، ولأجللته عن تسطيره فيه . فحينئذ ترى الحبيب منحرفاً عن مُحبه ، مقبلا بالحديث على غيره ، معرضاً بمعرض لئلا تلحق ظنته ، أو تسبق استرابته .

وترى المحب أيضاً كذلك ، ولكن طبعه له جاذب ، ونفسه له صارفة بالرغم ، فتراه حينئذ منحرفاً كمُقبِل ، وساكتاً كناطق ، وناظراً إلى جهة نفسه فى غيرها .

والحاذق الفطن إذا كشف بوهمه عن باطن حديثهما علِمَ أن الخافى غير البادى ، وما جَهَر به غير نفس الخبر ، وأنه لمن المشاهد الجالبة للفتن ، والمناظر المحركة للسواكن ، الباعثة للخواطر ، المهيجة للضمائر الجاذبة للفتوة .

ولى أبيات فى شىء من هذا أوردتها ، وإن كان فيها غير هذا المعنى على ما شرطنا ، منها :

يلومُ أبو العباسِ جهلاً بطبعِهِ ... كما عَيَّر الحوتُ النعامةَ بالصدَى

ومنها :

وكم صاحبٍ أكرمتُهُ غيرَ طائعٍ ... ولا مُكرَهٍ إلاّ لأمرٍ تعَمَّدا

وما كان ذاك البِرُّ إلاّ لغيرِهِ ... كما نَصَبُوا للطيرِ بالحبِّ مِصْيَدا

وأقول من قصيدة محتوية على ضروب من الحِكَم وفنون الآداب الطبيعية :

وسَرَّاء أحشائى لمنْ أنا مؤثِرٌ ... وسَراء أنبائى لمن أتحبَّبُ

فقد يُشربُ الصابُ الكريهُ لعلّةٍ ... ويُتْرك صفوُ الشَّهْدِ وهو مُحبَّب

وأعْدلُ فى إجْهاد نفسىَ فى الذى ... أريدُ وإنِّى فيه أشقَى وأتْعب

هل اللؤلؤُ المكنونُ والدُّرُّ كلُّه ... رأيتَ بغيرِ الغوْصِ فى البحر يُطلب

وأصرفُ نفسى عن وجوهِ طِباعِها ... إذا فى سواها صَحَّ ما أنا أرغب

كما نَسخَ الله الشرائعَ قَبْلَنا ... بما هو أدنى للصلاحِ وأَقــرب
وألقَى سَجايا كلِّ خَلقٍ بمثلها ... ونعتُ سجاياىَ الصحيحُ المهذّب
كما صــار لونُ المـاءِ لونَ إنائِهِ ... وفى الأصْل لونُ الماء أبيضُ مُعْجِب

ومنها :

أقمتُ ذَوى وُدّى مُقامَ طبائعى ... حَيَاتِى بها والموتُ منهنّ يَرْهَب

ومنها :

وما أنا ممن تطَّيــه بشاشةٌ ... ولا يقتضى ما فى ضميرى التجنُّبُ
أريدُ نِفاراً عندَ ذلك باطِناً ... وفى ظاهرى أهلٌ وسهلٌ ومَرْحب
فإنّى رأيتُ الحرْبَ يَعْلُو اشتعالُهَا ... ومبدؤُها فى أوّلِ الأمـرِ مَلْعب
وللحيّــة الرقشــاءِ وَشْى ولــونُهــا ... عجيبٌ وتحتَ الــوشْى سُمٌّ مُرَكّب
وكم مأكلٍ أرْبتْ عواقبُ غِبِّــهِ ... ورُبَّ طَوًى بالخِصْبِ آتٍ ومُعْقب
وإنّ فِرنْدَ السّيفِ أعجبُ منظراً ... وفيــه إذا هُــزَّ الحِمــامُ المُذرّب
وأجعلُ ذُلَّ النفس عِزّةَ أهلِهَا ... إذا هى نالتْ ما بها فيه مذْهب
فقد يضعُ الإنسانُ فى التربِ وَجْهَهُ ... ليأتِى غداً وهو المَصونُ المقرَّب
فذُلٌّ يسوقُ العزَّ أجــودُ للفتى ... من العزِّ يَتلوه من الذلِّ مَركب
وكم مأكلٍ أرْبتْ عواقبُ غِبِّــهِ ... ورُبَّ طَوًى بالخِصْبِ آتٍ ومُعْقب
وما ذاقَ عِزّ النفس مَن لا يُذِلُّها ... ولا التذَّ طعْمَ الروح مَن ليس يَنصب
ورُودُك نهل المـاءِ مِن بَعْدِ ظَمأةٍ ... ألــذُّ مِن العَلِّ المكينِ وأعْذب

ومنها :

وفى كلِّ مَخلوقٍ تراه تَفَاضُلٌ ... فَرِدْ طيّباً إنْ لم يُتِحْ لك أَطْيبُ
ولا تَرْضَ وِرْدَ الرَّنْقِ إلاّ ضرورة ... إذا لم يكن فى الأرض حاشاه مَشرب
ولا تقربنْ مِلحَ المِيــاهِ فإنّها ... شَجىٌ والصدَى بالحُرِّ أولى وأوجب

ومنها :

فَخُذْ من جَرَاها ما تيسَّرَ واقتنــعْ ... ولاتَكُ مشغولاً بمن هــو يَغْلبُ
فمــا لكَ شرطٌ عنــدهــا لا ولا يدٌ ... ولا هىَ إنْ حَصَلتْ أمٌّ ولا أب

ومنها :

ولا تيأسنْ ممَّا يُنـال بحيلةٍ ... وإنْ بَعُدَتْ فالأمرُ ينأى ويَصْعُب
ولا تأمنِ الإظلامَ فالفجرُ طالعٌ ... ولا تلتبسْ بالضوءِ فالشمسُ تَغْرب

ومنها :

ألِحَّ فإنَّ المـاء يكدحُ فى الصفا ... إذا طال ما يأتى عليـه ويذهب
وكثِّرْ ولا تَفْشلْ وقلِّلْ كثيرَ ما ... فَعَلْتَ فماءُ المزْنِ جَمٌّ وينضـب
فلو يتغذَّى المـرءُ بالسمِّ قاتـه ... وقام لـهُ منه غِذاءٌ مُجرَّب

ثم هَجْر يوجبه التذلل ، وهو ألذ من كثير الوصال ، ولذلك لا يكون إلا عن ثقة كل واحد من المتحابين بصاحبه ، واستحكام البصيرة فى صحة عقده ، فحينئذ يُظهر المحبوب هجراناً ليرى صبر مُحبِّه ، وذلك لئلا يصفو الدهر ألبتة ، وليأسف المحبّ إن كان مفرط العشق عند ذلك ، لا لما حلّ لكن مخافة أن يترقى الأمر إلى ما هو أجل ، يكون ذلك الهجر سبباً إلى غيره ، أو خوفاً من آفة حادث ملل .

ولقد عرض لى فى الصبا هجر مع بعض من كنت آلف على هذه الصفة وهو لا يلبث أن يضمحل ثم يعود ، فلما كثر ذلك قلت على سبيل المزاح شعراً بديهياً ، ختمتُ كل بيت منه بقسم من قصيدة طرفة بن العبد المعلّقة ، وهى التى قرأناها مشروحة على أبى سعيد الفتى الجعفرى(١) ، عن أبى بكر المقرئ(٢) ، عن أبى جعفر النحاس(٣) ، رحمهم الله ، فى المسجد الجامع بقرطبة ، وهى :

تذكَّرْتُ وُدًّا للحبيبِ كأنَّـه ... لخَوْلَةَ أطْلالٌ ببرقةِ ثَهْمَدِ
وعهدِى بعهدٍ كان لِى منهُ ثابتٍ ... يلوحُ كباقِى الوشْمِ فى ظاهِرِ اليد
وقفتُ بـه لا مُوقناً برجوعـه ... ولا آيساً أبكِى وأبكِى إلى الغـد

---

(١) لا تمدنا المصادر بأية معلومات عن أبى سعيد الفتى الجعفرى هذا ، ولكن كلمة الفتى كانت تطلق على من يعملون فى قصر الخلافة ، وهم من الخصيان عادة ، وكلمة الجعفرى تومئ إلى أنه كان مولى الحاجب جعفر ابن عبد الرحمن .

(٢) لم أهتد له إلى ترجمة .

(٣) أبو جعفر النحاس ، أحمد بن محمد ، من أعلام النحاة بمصر فى القرن الرابع الهجرى ، غزير العلم ، واسع الرواية ، كثير التآليف ، تزيد مصنفاته فى رواية ياقوت على الخمسين ، وقد ضاع أغلبها . توفى فى ٥ من ذى الحجة عام ٣٣٨ هـ = ٢٦ من مايو ٩٤٩ م .

إلى أنْ أطالَ الناسُ عذْلِي وأكثروا ... يقولون : لا تهلِكْ أسىً وتجلَّد
كأنَّ فنونَ السخْطِ ممـــن أحبُّه ... خلايا سَفينٍ بالنواصفِ من دَدِ
كأنَّ انقلابَ الهجْرِ والوصْلِ مَرْكبٌ ... يجورُ به الملاَّحُ طوراً ويهتدى
فوَقْتُ رضىً يتلوهُ وَقْتُ تسخُّطٍ ... كما قَسم التُّرْبَ المفايِلُ باليـــد
ويبسم نحوى وهو غضبانُ معرضٌ ... مظاهرُ سِمْطَىْ لؤلؤ وزَبَرْجَـــدِ

ثم هجر يوجبه العتاب لذنب يقع من المحب ، وهذا فيه بعض الشدة ، لكن فرحة الرجعة ، وسرور الرضى ، يعدل ما مضى ، فإن لرضى المحبوب بعد سخطه لذة فى القلب لا تعدلها لذة ، وموقفاً من الروح لا يفوقه شيء من أسباب الدنيا . وهل شاهد مشاهد ، أو رأت عين ، أو قام فى فكر ، ألذُّ وأشهى من مقام قد قام عنه كل رقيب ، وبعد عنه كل بغيض ، وغاب عنه كل واش ، واجتمع فيه محبان قد تصارما لذنب وقع من المحبّ منهما وطال ذلك قليلا ، وبدأ بعض الهجر ولم يكن ثَمَّ مانع من الإطالة للحديث ، فابتدأ المحبّ فى الاعتذار والخضوع والتذلل ، والأدلة بحجته من الإدلال والإذلال والتذمم بما سلف ، فطوراً يدل ببراءته ، وطوراً يرد بالعفو ، ويستدعى المغفرة ، ويقر بالذنب ولا ذنب له . والمحبوب فى كل ذلك ناظر إلى الأرض ، يسارقه اللحظ الخفى ، وربما أدامه فيه ، ثم يبسم مخفياً لتبسمه ، وذلك علامة الرضى . ثم ينجلى مجلسهما عن قبول العذر ، ويقبل القول ، وامتحت ذنوب النقل ، وذهبت آثار السخط ، ووقع الجواب بنعم وذنبك مغفور ، ولو كان فكيف ولا ذنب ، وختما أمرهما بالوصل الممكن ، وسقوط العتاب والإسعاد ، وتفرقا على هذا .

هذا مكان تتقاصر دونه الصفات ، وتتلكن بتحديده الألسنة ، ولقد وطئت بساط الخلفاء ، وشاهدت محاضر الملوك ، فما رأيت هيبة تعدل هيبة محب لمحبوبه ، ورأيت تمكن المتغلبين على الرؤساء ، وتحكم الوزراء ، وانبساط مدبرى الدول ، فما رأيت أشد تبجحاً ، ولا أعظم سروراً بما هو فيه من مُحِبٍّ أيقن أن قلب محبوبه عنده ، ووثق بميله إليه ، وصحة مودته له .

وحضرت مقام المعتذرين بين أيدى السلاطين ، ومواقف المتهمين بعظيم الذنوب مع المتمردين الطاغين ، فما رأيت أذل من موقف محب هيمان بين يدى محبوب

غصان ، قد غمره السخط وغلب عليه الجفاء . ولقد امتحنت الأمرين ، وكنت فى الحالة الأولى أشد من الحديد وأنفذ من السيف ، لا أجيب إلى الدنيّة ، ولا أساعد على الخضوع ، وفى الثانية أذل من الرداء ، وألين من القطن ، أبادر إلى أقصى غايات التذلل لو نفع ، وأغتنم فرصة الخضوع لو نجع ، وأتحلل بلسانى ، وأغوص على دقائق المعانى ببيانى ، وأفنّن القول فنونا ، وأتصدّى لكل ما يوجب الترضّى .

والتجنّى بعض عوارض الهجران ، وهو يقع فى أول الحب وآخره ، فهو فى أوله علامة لصحة المحبة ، وفى آخره علامة لفتورها وباب للسلو .

• خبر :

وأذكر فى مثل هذا أنى كنت مجتازاً فى بعض الأيام بقرطبة ، فى مقبرة باب عامر ، فى لمة من الطلاب وأصحاب الحديث ، ونحن نريد مجلس الشيخ أبى القاسم عبد الرحمن بن أبى يزيد المصرى(٤) بالرصافة ، أستاذى رضى الله عنه ، ومعنا أبو بكر عبد الرحمن بن سليمان البلوى(٥) من أهل سبتة (٦) ، وكان شاعراً مفلقاً ، وهو ينشد لنفسه فى صفة متجن معهود أبياتاً له ، منها :

(٤) أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أبى يزيد الأزدى ، مصرى الأصل والنشأة ، قدم قرطبة تاجراً عام ٣٩٤ هـ = ١٠٠٣ م ، وفيها أقام يتاجر فى الأصواف ، ويضطلع بالتدريس ، وكان واسع الثقافة فى اللغة والأدب والأنساب والأشعار ، فعظمت حلقته واتسعت ، وتكاثر عليه الطلاب ، وكان ابن حزم أحد طلابه ، وهو هنا يدعوه أستاذى ، وترك قرطبة عائداً إلى مصر عام الفتنة ، عندما اقتحم البرابر عاصمة الخلافة . وفى مصر توفى عام ٤١٠ هـ = ١٠١٩ م . انظر :

• ابن بشكوال ، الصلة ، الترجمة رقم ٧٥٨ . • ابن الابار : تكملة الصلة ، ص ١٢٥

• Asin Palacios : Abenhazam, Vol. I, p. 102

(٥) أديب شاعر ، وخصه الضبى بترجمة قصيرة . ليست بذات أهمية . انظر :

• الضبى : بغية الملتمس ، الترجمة رقم ١٠١٤ .

(٦) سبتة Ceuta ، مدينة أندلسية عامرة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط من عدوة المغرب ، فى مواجهه الجزيرة الخضراء ، وخلال دولة الإسلام فى الأندلس كانت تكون جزءاً منه تارة ، ومن المغرب تارة أخرى . وقد استولى عليها البرتغاليون عام ١٤١٥ م ، أى قبل سقوط دولة الإسلام فى الأندلس بثلاثة أرباع القرن ، وآل أمرها إلى إسبانيا عام ١٦٤٠ م .

وكانت فى عصرها الإسلامى مزدهرة ثقافياً ، تزخر بالأدباء والعلماء والصلحاء ، وبالمساجد والمدارس . وألف عدد من المؤرخين كتباً ورسائل فى تاريخها ، على رأسهم القاضى عياض فله كتاب : « الفنون الستة فى أخبار سبتة » . وإليها ينسب سيدى عبد الرحيم القنائى ، صاحب المزار الشهير فى مدينة قنا بأعلى مصر .

ولقد اندثر ذلك كله الآن ، استعجم لسانها ، وعفت رسومها الإسلامية ، وأصبح سكانها البالغ عددهم ٧٦ ألفاً كلهم من الإسبان . ويرجى لها مع تحرر المغرب ، ويقظة المسلمين أن تعود فى القريب العاجل إلى الوطن الأم .

سريعٌ إلى ظهرِ الطريـقِ وإنّـــهِ إلى نَقْضِ أسبابِ المودَّةِ يُسْرع
يطـــولُ علينـــا أن نرقِّـــع ودَّهُ إذا كان فى ترقيعِـــهِ يَتَقطّع

فوافق إنشاد البيت الأول من هذين البيتين خطور أبى علىّ الحسين بن على الفاسى رحمه الله تعالى[٧]؛ وهو يؤم أيضاً مجلس ابن أبى يزيد ، فسمعه فتبسّم رحمه الله نحونا ، وطوانا ماشياً وهو يقول : بل إلى عقد المودة إن شاء الله فهو أولى ، هذا على جدِّ أبى علىّ الحسين رحمه الله وفضله ، وتقربه وبراءته ، ونسكه وزهده وعلمه . فقلت فى ذلك :

دعْ عنكَ نقضَ مودَّتى متعمِّـداً واعقدْ حبـالَ وصالِنَا يا ظالمُ
ولترجعنَّ أردْتَهُ أو لم تـــــرد كَرْهاً لِمَا قال الفقيـــهُ العالم

ويقع فيه الهجر والعتاب . ولعمرى إن فيه إذا كان قليلا للذة ، وأما إذا تفاقم فهو فأل غير محمود ، وأمارة وبيئة المصدر ، وعلامة سوء ، وهى بجملة الأمر مطية الهجران ، ورائد الصريمة ، ونتيجة التجنى ، وعنوان الثقل ، ورسول الانفصال ، وداعية القلى ، ومقدمة الصد . وإنما يستحسن إذا لطف وكان أصله الإشفاق .

وفى ذلك أقول :

لعلّك بَعْدَ عُتْبك أنْ تجـودا بما منهُ عَتَبْتَ وأنْ تَزيدا
فكم يـوم رأينا فيـــه صحْـوًا وأَسْمَعنـــا بآخـــرِهِ الرعـــودا
وعاد الصحْوُ بعـدُ كما علمنا وأنتَ كذاكَ نرجو أن تعودا

وكان سبب قولى هذه الأبيات عتاب وقع فى يوم هذه صفته من أيام الربيع ، فقلتها فى ذلك الوقت ، وكان لى فى بعض الزمن صديقان ، وكانا أخوين ، فغابا فى سفر ثم قدما ، وقد أصابنى رَمَد فتأخرا عن عيادتى ، فكتبتُ إليهما ، والمخاطبة للأكبر منهما ، شعراً منه :

---

(٧) صححته « أبى على الحسين » بدلا من « أبى الحسين » ، وذكر ابن بشكوال فى الصلة أن اسمه الحسن ، وأجمع كلاهما على أنه يكنى أبا على . وأورد له حواراً مع ابن حزم ، وقد وصفه بقوله : « ناهيك به سروا ودينا وعقلا وعلماً وورعا وتهذيباً وحسن خلق » . انظر :

- ابن بشكوال : الصلة ، الترجمة رقم ٣٢٠ .
- الضبى : البغية ، الترجمة رقم ٦٤٨ .
- الباب التاسع والعشرون ، الهامش رقم ٨ من هذا الكتاب .

وكنتُ أعَــدِّد أيضــاً عَلَى أخيكَ بمُثلِـــةِ السَّامعِ
ولكنْ إذا الدَّجْنُ غَطَّىٰ ذُكا ء فمـا الظنُّ بالقمرِ الطالع

ثم هجر يُوجبه الوُشاة ، وقد تقدم القول فيهم ، وفيما يتولّد من دبيب عقاربهم ، وربما كان سبباً للمقاطعة البتة .

ثم هجر الملل . والملل من الأخلاق المطبوعة فى الإنسان ، وأحرى لمن دُهى به ألاّ يصفو له صديق ، ولا يصح له إخاء ، ولا يثبت على عهد ، ولا يصبر على إلْف ، ولا تطولُ مُساعدته لمحبّ ، ولا يعتقد منه ودّ ولا بغض . وأولى الأمور بالناس ألا يعدّوه منهم ، وأن يفرّوا عن صحبته ولقائه ، فلن يظفروا منه بطائل . ولذلك أبعدنا هذه الصفة عن المحبين وجعلناها فى المحبوبين ، فهم بالجملة أهل التجنّى والتظنّى ، والتعرض للمقاطعة . وأما من تزيّا باسم الحُب وهو ملول فليس منهم ، وحقه ألا يتجرع مذاقه . ويُنْفَى عن أهل هذه الصفة ، ولا يدخل فى جملتهم .

وما رأيت قط هذه الصفة أشدّ تغلباً منها على أبى عامر محمد بن عامر(٨) رحمه الله . فلو وصف لى واصف بعضَ ماعلمته منه لما صدقته .

وأهل هذا الطبع أسرع الخلق محبة ، وأقلهم صبراً على المحبوب وعلى المكروه والصدّ ، وانقلابهم على الودّ على قدر تسرعهم إليه ، فلا تثق بملول ، ولا تشغل به نفسك ، ولا تعنها بالرجاء فى وفائه . فإن دُفِعْتَ إلى محبته ضرورةً فعدّه ابن ساعته ، واستأنفه كل حين من أحيانه بحسب ماتراه من تلوّنه ، وقابله بما يشاكله . ولقد كان أبو عامر المحدَّثُ عنه يرى الجارية فلا يصبر عنها ، ويحيق به من الاغتمام والهم ما يكاد أن يأتى عليه حتى يملكها ، ولو حال دون ذلك شوك القتاد ، فإذا أيقن بتصيُّرها إليه عادت المحبة نفاراً ، وذلك الأنس شروداً ، والقلق إليها قلقاً منها ، ونزاعه نحوها نزاعاً عنها ، فيبيعها بأوكس الأثمان .

---

(٨) يرد على الخاطر للوهلة الأولى أنه المنصور بن أبى عامر ، ولكن ذلك مستحيل ، لأن المنصور توفى وعمر بن حزم ثمانى سنوات ، وفى سن كهذه يستحيل أن يقص عليه الحكايات التى سوف يوردها ابن حزم فى آخر الباب نقلا عنه ، وأرجح على سبيل اليقين أنه ابن لعبد الملك المظفر ، أى أنه حفيد المنصور بن أبى عامر ، وكان يحمل اسم جده . انظر :

- الباب الثانى ، الهامش رقم ٤ .
- والباب الرابع ، الهامش رقم واحد .
- والباب ٢٩ ، الهامش رقم ١٨

هذا كان دأبه حتى أتلف فيما ذكرنا من عشرات ألوف الدنانير عدداً عظيماً ، وكان رحمه الله مع هذا من أهل الأدب والحذق والذكاء والنبل والحلاوة والتوقّد ، مع الشرف العظيم ، والمنصب الفخم ، والجاه العريض .

وأما حسن وجهه ، وكمال صُورته ، فشيء تقف الحدود عنه . وتكِل الأوهام عن وصف أقله ، ولا يتعاطى أحد وصفه .

ولقد كانت الشوارع تخلو من السيَّارة ، ويتعمدون الخطور على باب داره ، في الشارع الآخذ من النهر الصغير ، على باب دارنا في الجانب الشرقي بقُرطبة ، إلى الدرب المتصل بقصر الزاهرة ، وفي هذا الدرب كانت داره رحمه الله ملاصقة لنا ، لا لشيء إلا للنظر منه . ولقد مات من محبّته جوارٍ كنّ علّقن أوهامهن به ، ورثين له ، فخانهن مما أمّلْنه منه ، فصرن رهائن البِلَى ، وقتلتهن الوحدة (٩)

وأنا أعرف جارية منهن كانت تسمى عفراء ، عهدى بها لا تتستر بمحبته حيثما جلست ، ولا تجف دموعها . وكانت قد تصيرت من داره إلى أبي البركات الخيالي صاحب البنيان(١٠) ولقد كان رحمه الله يُخبرني عن نفسه أنه يمل اسمه ، فضلاً عن غير ذلك .

وأما إخوانه فإنّه تبدّل بهم في عُمره على قِصره مراراً ، وكان لا يثبُت على زى واحد كأبي بَراقش ، حيناً يكون في ملابس المُلوك ، وحيناً في ملابس الفتّاك .

فيجب على من امتحن بمخالطة من هذه صفته ، على أي وجه كان ، ألا يستفرغ عامة جُهده في محبته ، وأن يُقيم اليأس من دوامه خصماً لنفسه ، فإذا لاحت له مخايل الملل قاطعه أياماً حتى ينشط باله ، ويعد به عنه ، ثم يُعاوده ، فربما دامت المودّة مع هذا .

---

( ٩ ) تقدم لنا هذه الفقرة معلومات جيدة ومفصلة عن بعض ألوان الحياة العامة في قرطبة ، وعن سكن ابن حزم وداره بخاصة .

( ١٠ ) جاء هذا النص في المخطوطة وفي الطبعات العربية على النحو التالي : « إلى البركات الخيال صاحب الفتيان » . وصححه ليفي بروفنسال إلى : « إلى أبي البركات الخيالي صاحب البنيان » . فقد كان في قصر الخلافة إدارة يطلق على صاحبها اسم : « صاحب البنيان » ، ولم تكن هناك خطة يطلق على القائم بها « صاحب الفتيان » . وكلمة « الخيالي » تشير إلى أنه كان مولى للسيدة خيال ، زوجة المظفر ، أكبر أبناء المنصور بن أبي عامر ، فنسب إليها . وقد تزوجت السيدة خيال ، بعد موت المظفر من القاسم بن حمود ، أحد مؤسسي دولة الحموديين ، وأمير قرطبة لسنوات . وقد أخذنا بتصحيح ليفي بروفنسال . انظر :

• ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ص ١٣٣ .

• الباب الثاني ، الهامش رقم ٤ .

وفى ذلك أقول :

لا تَرجُوَنَّ ملـــــــولاً ليس المـــلول بعُـــدَّهْ
وُدُّ المـــــــلولِ فدَعْهُ عاريَةٌ مســـــــتردَّهْ

ومن الهجر ضَرب يكون متولّيه المحبّ ، وذلك عندما يرى من جفاء محبوبه والميل عنه إلى غيره ، أو لثقيل يلازمه ، فيرى الموت ويتجرّع غُصص الأسى . ولبعض على نقيف الحنظل أهون من رؤية مايكره ، فينقطع وكبده تتقطّع .

وفى ذلك أقول :

هجرتُ من أهـواهُ لا عن قـلًى يا عجبـاً للعـاشقِ الهـاجرِ
لكنَّ عينِي لم تُطِـقْ نظـرةً إلى مُحيَّـا الرَّشـأ الغـادر
فالموتُ أحلى مَطْعماً من هَوىً يُبـاحُ للـوارِدِ والصـادِرِ
وفى الفـؤادِ النـارُ مَـذْكِيَّـةٌ فاعجبْ لصَبٍّ جَزِعٍ صـابرِ
وقـد أبـاحَ اللهُ فى دِينـه تقيَّـةَ المـأسـورِ للآسر
وقـد أحـلَّ الكفرَ خوفَ الردى حتى ترى المـؤمنَ كـالـكـافر

• خبر :

ومن عجيب ما يكون فيها وشنيعه ، أنى أعرف مَن هام قلبه بمتناء عنه ، نافر منه ، فقاسى الوجد زمناً طويلا ، ثم سَنحت له الأيام بسانحة عجيبة من الوصل ، أشرف بها على بلوغ أمله ، فحين لم يكن بينه وبين غاية رجائه إلا كهؤلاء ، عاد الهجر والبعد إلى أكثر ما كان قبل .

فقلت فى ذلك :

كانتْ إلى دهـرىَ لِى حاجـةٌ مقرونـةٌ فى البعـدِ بالمُشترى
فسـاقها باللطف حتى إذا كانتْ من القُـربِ عـلى مَحْجِرِ
أبْعـدهـا عنِّى فعـادتْ كـأنْ لم تَبْـدُ للعـينِ ولم تظهر

وقلت :

دنـا أمـلِى حتى مَـدَدْتُ لأَخْـذِهِ يَـداً فانثنَى نحـوَ المجـرَّةِ راحـلاَ
فأصبحتُ لا أرجـو وقـد كنتُ موقنـاً وأُضْحِى مَعَ الشِّعْرَى وقد كان حاصِلا

وقد كنتُ محسوداً فأصبحتُ حاسداً ... وقد كنتُ مأمولاً فأصبحتُ آمـلا
كـذا الـدهرُ فى كرَّاتـه وانتقالِـهِ ... فلا يأمَنَنَّ الـدهرَ من كان عاقـلا

ثم هَجْر القلى ، وهنا ضلّت الأساطير ، ونفدت الحيل ، وعظم البلاء ، وهو الذى خلّى العقول ذواهل ، فمن دُهى بهذه الداهية فليتصد لمحبوب محبوبه ، وليتعمّد ما يعرف أنه يستحسنه ، ويجب أن يجتنب ما يدرى أنه يكرهه ، فربما عطفه ذلك عليه ، إنْ كان المحبوب ممن يدرى قدر المُوافقة والرغبة فيه ، وأمّا من لم يعلم قدر هذا فلا طمع فى استصرافه ، بل حسناتك عنده ذنوب ، فإن لم يقدر المرء على استصرافه فليتعمد السُّلوان ، وليحاسب نفسه بما هو فيه من البلاء والحرمان ، ويسعى فى نيل رغبته على أى وجه أمكنه .

ولقد رأيت من هذه صفته ، وفى ذلك أقول قطعة أولها :

دُهيتُ بمن لـو أدفـعُ المـوتَ دونَـهُ ... لقـالَ إذاً ياليتنِى فى المقـابرِ

ومنها :

ولا ذنبَ لى إذ صرْتُ أحُـسدو ركائبِى ... إلى الوِرْدِ والدُّنيا تُسيء مَصادرى
وماذا على الشمس المُنـيرةِ بالضُّحى ... إذا قَصَّرتْ عنها ضِعـافُ البصـائر

وأقول :

ما أقبحَ الهجرَ بَعْـدَ وَصْـلٍ ... وأحسنَ الوصـلَ بعـد هَجْرِ
كالوفْرِ تحويـه بعـد فَقْرٍ ... والفقْرِ يأتيـكَ بَعْـدَ وَفْـرِ

وأقول :

معهود أخـلاقِـك قسمـان ... والدهرُ فيـك اليوم صِنْفانِ
فإنَّك النعمانُ فيما مَضَى ... وكانَ للنعمانِ يومـانِ
يومُ نعيمٍ فيه سعْدُ الورى ... ويومُ بأساءَ وعُـدْوان
فيومُ نعماكَ لغيرى ويو ... مى منكَ ذو بُؤسٍ وهِجران
أليس حبِّى لك مُسْتأْهِلاً ... لأن تُجـازيهِ بإحسانِ

وأقول قطعة منها :

يامن جميعُ الحُسْن مُنتظِمٌ ... فيه كنْظم الدرِّ فى العِقْد
ما بال حَتْفِى منك يطْرُقُنى ... قَصْدا ووجْهُكَ طالعُ السَّعد

وأقول قصيدة أولها :

أساعةُ تَوْدِيعِيكِ أمْ ساعةُ الحَشْرِ ... وليلةُ بَيْنِي منك أمْ ليلةُ النشْرِ
وهجرُك تعْذيبُ الموحِّد ينقضِي ... ويرجو التلاقِي أمْ عذابُ ذوِى الكُفْرِ

ومنها :

سقى اللهُ أياماً مضتْ ولياليـــاً ... تحاكى لنا النَّيلُوفرَ الغضَّ فى النشْرِ
فأوراقهُ الأيامُ حُسناً وبهجةً ... وأوْسَطُه الليلُ المُقصَّرُ للعُمر
لهونا بها فى غَمرةٍ وتآلفٍ ... تَمُرُّ فلا تدْرى وتأتى فلا ندرى
فأعْقبنا منهُ زمانٌ كـــــأنّه ... ولاشكَ حُسْنُ العَقْدِ أعْقِبَ بالغدر

ومنها :

فلا تيأسى يانفْس علَّ زمانَنَا ... يعُودُ بوجهٍ مُقبلٍ غيْرِ مُدْبِرِ
كما صرف الرحمنُ مُلك أميّةٍ ... إليهم ولُوذى بالتجمُّل والصبر

وفى هذه القصيدة أمدح أبا بكر هشام بن محمد ، أخا أمير المؤمنين عبدالرحمن المرتضى[11] رحمه الله ، فأقول :

أليس يُحيط الرُّوح فينا بكل ما ... دنَا وتناءى وهو فى حُجبِ الصدْرِ
كذا الدهرُ جِسمٌ وهو فى الدَّهرِ رُوحُه ... مُحيطٌ بما فيه وإن شِئْتَ فاسْتقر

ومنها :

إتاوتُها تُهْدَى إليه ومِنَّـــــةٌ ... تقبُّلُهاَ منهُمْ يقاومُ بالشُّكر
كذا كلُّ نَهْرٍ فى البلاد وإن طمت ... غزارتُه ينصبُّ فى لُجَجِ البَحْر

---

(١١) عبد الرحمن المرتضى ، أول أموى ثار على حجابة بنى عامر وطالب بالخلافة ، ومعه ناضل ابن حزم من أجل أن تكون لهم ، وقد هزم المرتضى فى غرناطة على يد زاوى بن زيرى .

أما أبو بكر هشام بن محمد الذى يهديه ابن حزم قصيدته ، فكان الأخ الأكبر لعبد الرحمن المرتضى ، وهو آخر خليفة أموى فى قرطبة ، ولد ٣٦٤ هـ = ٩٧٤ م ، وبويع بالخلافة فى ٤١٨ هـ = ١٠٢٧ م ، ودخل قرطبة فى ٤٢٠ هـ = ١٠٢٩ م ، وأزيح عن الخلافة فى ٤٢٢ هـ = ١٠٣١ م ، ليموت مغموراً فى لاردة Lérida ، مدينة أندلسية فى الشمال الشرقى ، بعد ذلك بخمسة أعوام . انظر :

- المقرى : نفح الطيب ، جـ ١ ص ٤١١ وما بعدها .
- ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ص ١٤٥ .
- الباب السابع ، الهامش رقم ٦ .

## ٢٢
# باب الوفاء

ومن حميد الغرائز ، وكريم الشيم ، وفاضل الأخلاق فى الحُب وغيره الوفاء وإنه لمن أقوى الدلائل ، وأوضح البراهين ، على طيب الأصل ، وشَرف العنصر . وهو يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات .

وفى ذلك أقول قطعة منها :

أفعالُ كلِّ مرئ تُنْبى بعُنصره والعينُ تُغنيك عن أنْ تطلب الأثرا

ومنها :

وهل ترى قطُّ دِفْلى أنبتت عنبا أو تدّخرُ النحلُ فى أوكارها الصبرّا

وأول مراتب الوفاء أن يفى الإنسان لمن يفى له ، وهذا فرض لازم ، وحق واجب ، على المُحب والمحبوب ، لايحول عنه إلاّ خبيث المعتد ، لاخلاق له ، ولا خير عنده .

ولولا أن رسالتنا هذه لم نقصد بها الكلام فى أخلاق الإنسان وصفاته المطبوعة والتطبُّع بها ، وما يزيد من المطبوع بالتطبع ، وما يضمحل من التطبع بعدم الطبع ، لزدْتُ فى هذا المكان مايجب أن يوضع فى مثله . ولكنّا إنّما قصْدُنا التكلُّم فيما رغبتُه من أمر الحب فقط ، وهذا أمر كان يطول جدًّا ، إذ الكلام فيه يتفنن كثيراً .

* خبر :

ومن أرفع ماشاهدته من الوفاء فى هذا المعنى ، وأهوله شأناً ، قصة رأيتها عياناً ، وهو أنى أعرفُ مَنْ رضى بقطيعة محبوبه ، وأعز الناس عليه ، ومَنْ كان الموت عنده أحلى من هجر ساعة فى جَنب طيّه لسر أودعه ، والتزم محبوبه يميناً غليظة ألا يكلمه أبداً ، ولا يكون بينهما خبر أو يفضح إليه ذلك السر . على أن صاحب ذلك السر كان غائباً فأبى من ذلك ، وتمادى هو على كتمانه ، والثانى على هجرانه ، إلى أن فرقت بينهما الأيام .

ثم مرتبة ثانية ، وهو الوفاء لمن غدر . وهى للمُحبّ دون المحبوب . وليس للمحبوب هاهنا طريق ولا يلزمه ذلك ، وهى خُطّة لايُطيقها إلا جلد قوىّ واسع الصدر ، حر النفس ، عظيم الحلمْ ، جليل الصبر ، حصيف العقل ، ماجد الخلق ، سالم لنية .

ومن قابل الغدر بمثله فليس بمُستأهل للملامة ، ولكن الحال التى قدمنا تفوقها جدًّا ، وتفوتها بعداً . وغاية الوفاء فى هذه الحال تَرْكُ مكافأة الأذى بمثله ، والكف عن سيئ المعارضة بالفعل والقول ، والتأنّى فى جر حَبل الصحبة ما أمكن . ورُجيت الألفة ، وطُمع فى الرجعة ، ولا حت للعودة أدنى مخيلة ، وشيمت منها أقل بارقة ، أو توجس منها أيسر علامة .

فإذا وقع اليأس ، واستحكم الغيظ حينئذ ، والسلامة مِن غُرّك . والأمن من ضرّك ، والنجاة من أذاك . وأن يكون ذكر ماسلف مانعاً من شفاء الغيظ فيما وقع . فَرَعْىُ الأذمّة حق وَكِيدٌ ، على أهل العقول . والحنينُ إلى مامضى . وألاّ ينسى ما قد فرغ منه ، وفنيت مدته ، أثبتُ الدلائل على صحة الوفاء . وهذه الصفة حسنة جدّ . وواجب استعمالها فى كل وجه من وجوه معاملات الناس فيما بينهم ، على أى حال كانت .

• خبر :

ولعهدى برجل من صَفوة إخوانى قد عَلق بجارية فتأكد الود بينهما ثم غدرت بعهده ، ونقّضت وُده ، وشاع خبرهما ، فوَجد لذلك وجدا شديدا .

• خبر :

وكان لى مرة صديق فقسدت نيّته بعد وكيد مودّة لا يُكفر بمثلها ، وكان عِلْمُ كل واحد منا سرّ صاحبه ، وسقطت المئونة . فلما تغيّر علىّ أفشى كل ما اطلع لى عليه مما كنتُ اطلعتُ منه على أضعافه ، ثم اتصل به أن قوله فىّ قد بلغنى ، فجزع لذلك ، وخشى أن أقارضه على قبيح فعلته . وبلغنى ذلك فكتبت إليه شعراً أؤنسه فيه ، وأعلمه أنى لا أقارضه .

• خبر :

ومما يدخل فى هذا الدّرج ، وإن كان ليس منه ، ولا هذا الفصل المتقدم من جنس الرسالة والباب ، ولكنه شبيه له على ماقد ذكرنا وشرطنا ، وذلك أن محمد بن

وليد بن مكسير[١] الكاتب كان مُتصّلا بى ، ومنقطعاً إلىّ أيام وزارة أبى رحمة الله عليه ، فلما وقع بقرطبة ماوقع[٢] ، وتغيرت أحوال ، خرج إلى بعض النواحى فاتصل بصاحبها ، فعرض جاهُه ، وحدثت له وجَاهة وحال حسنة . فحللتُ أنا تلك الناحية فى بعض رحلتى ، فلم يوَفّنى حتى بل ثقل عليه مكانى ، وأساء معاملتى وصُحبتى ، وكلفته فى خلال ذلك حاجة لم يقم فيها ولا قَعد ، واشتغل عنها بما ليس فى مثله شغل ، فكتبت إليه شعراً أعاتبه فيه ، فجاوبنى مستعتباً على ذلك ، فما كلفته حاجة بعدها .

ومما لى فى هذا المعنى وليس من جنس الباب ولكنه يشبهه أبيات قلتها ، منها :

وليس يُحمدُ كِتمانٌ لمُكتتِمٍ ... لكنَّ كَتْمَكَ ما أفشاهُ مُفشيهِ

كالجُودِ بالوفْرِ أسنى مايكون إذا ... قلَّ الوجودُ له أوضنَّ مُعطيه

ثم مرتبة ثالثة ، وهى الوفاء مع اليأس البات ، وبعد حلول المنايا ، وفجاءات المنون . وإن الوفاء فى هذه الحالة لأجلّ وأحسن منه فى الحياة ومع رجاء اللقاء .

* خبر :

ولقد حدّثتنى امرأة أثق بها ، أنها رأت فى دار محمد بن أحمد بن وهب المعروف بابن الركيزة ، من ولد بدر الداخل مع الإمام عبد الرحمن بن معاوية رضى الله عنه ،[٣] جارية رائعة جميلة ، كان لها مولى فجاءته المنية فبيعت فى تركته ، فأبت أن ترضى بالرجال بعده ، وما جامعها رجل إلى أن لقيت الله عز وجل . وكانت تحسن الغناء فأنكرت علمها به ، ورضيت بالخدمة ، والخروج عن جملة المتخذات للنسل واللذة والحال الحسنة ، وفاء منها لمن قد دَثُر ووارته الأرض ، والتأمت عليه الصفائح ، ولقد رامها سيدها المذكور أن يضمها إلى فراشه مع سائر جواريه ، ويخرجها مما هى فيه فأبت ، فضربها غير مرة وأوقع بها الأدب ، فصبرت على ذلك كله ، فأقامت على

---

(١) لم أهتد إلى شخصية محمد بن وليد بن مكسير هذا ، ولعل لفظ « مكسير » محرّف .

(٢) بشير إلى اقتحام البربر مدينة قرطبة ، وانتهابهم لها عام ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م .

(٣) بدر ، خادم عبد الرحمن الداخل ومولاه ، ورفيقه فى رحلته المضنية إلى شمال أفريقية تلاحقه سيوف بنى العباس ، ورسوله إلى أهل الأندلس بعد أن استقر به المقام لاجئاً فى رحاب أخواله من البربر ، وظل إلى جواره بعد أن انتصر ، وأقبلت عليه الدنيا ، وأصبح أول أمير أموى فى قرطبة .

أما محمد بن وهب المعروف بابن الركيزة فلم أعثر له على ترجمة .

امتناعها ، وإن هذا من الوفاء غريب جداً .

واعلم أن الوفاء على المحبّ أوجب منه على المحبوب ، وشرطه له ألزم ، لأن المحبّ هو البادى باللصوق والتعريض لعقد الأذمة ، والقاصد لتأكيد المودة ، والمستدعى صحة العشرة ، والأول فى عدد طلاب الأصفياء ، والسابق فى ابتغاء اللذة باكتساب الخلة ، والمقيد نفسه بزمام المحبة قد عقلها بأوثق عقال ، وخطمها بأشد خطام ، فمن قسره على هذا كله إنْ لم يرد إتمامه ؟ ومن أجبره على استجلاب المقة إن لم ينْو ختمها بالوفاء لمن أراده عليها ، والمحبوب إنما هو مجلوب إليه ، ومقصود نحوه . ومخيّر فى القبول أو الترك ، فإن قبل فغاية الرجاء ، وإن أبى فغير مستحق للذم . وليس التعرض للوصل والإلحاح فيه ، والتأنى لكل مايُستجلب به من الموافقة ، وتصفيـة الحضرة والمغيب من الوفاء فى شىء ، فحظ نفسه أراد الطالب ، وفى سروره سعَى وله احتطب ، والحب يدعوه ويَحْدوه على ذلك ، شاء أو أبَى ، وإنما يَحمد الوفاء ممن يقدر على تركه .

وللوفاء شروط على المُحبين لازمة :

فأولها أن يحفظ عهدَ محبوبه ، ويرعى غيبته ، وتستوى علانيته وسريرته . ويطوى شره ، وينشر خيره ، ويغطى على عيوبه ، ويحسّن أفعاله ، ويتغافل عما يقع منه على سبيل الهفوة ، ويرضى بماحمله ولايكثر عليه بما ينفرد منه ، وألا يكون طُلَعَة ثؤوباً ، ولا مُلّة طَروقاً .

وعلى المحبوب إن ساواه فى المحبة مثل ذلك ، وإن كان دونه فيها فليس للمحب أن يكلفه الصعود إلى مرتبته ، ولا له الا ستشاطة عليه بأن يسومه الاستواء معه فى درجته . ويحسبه منه حينئذ كتمان خبره ، وألا يقابله بما يكره ، ولا يخيفه به .

وإن كانت الثالثة وهى السلامة مما يلقى بالجملة فليقنع بما وجد . وليأخذ من الأمر ما استدف ، ولا يطلب شرطاً ، ولايقترح حقاً ، وإنما له ماسنح بجده ، أوماحان بكده ، واعلم أنه لايستبين قبح الفعل لأهله ، ولذلك يتضاعف قبحه عند من ليس من ذويه ولا أقول قولى هذا مُمتدحاً ، ولكن آخذاً بأدب الله عز وجل « وأمَّا بِنعْمةِ ربِّك فحَدِّثْ »(٤) .

---

(٤) سورة الضحى ، الآية ١١ .

لقد مَنحنى الله عز وجل من الوفاء لكُلّ من يَمُت إلىّ بِلُقْيَةٍ واحدة، ووهبنى من المحافظة لمن يتذمم منى ولو بمحادثته ساعة حظًّا . أنا له شاكر وحامد ، ومنه مُستمِدّ ومُستزيد .

وما شيء أثقل علىّ من الغدر . ولعمرى ماسمحت نفسى قط فى الفكرة فى إضرار من بينى وبينه أقل ذمام . وإنْ عظمت جريرته ، وكثرت إلىّ ذنوبه . ولقد دَهمنى من هذا غيرُ قليل فما جزيت على السُّوءى إلاّ بالحسنى . والحمدلله على ذلك كثيراً .

وبالوفاء أفتخر فى كلمة طويلة ، ذكرت فيها مامضّنا من النكبات . ودهمنا من الحل والترحال والتحول فى الآفاق . أولها :

ولَى فؤادٌ جميلُ الصبر يَتبعُهُ ... وصرَّحَ الدمعُ مانُخفيه أضْلُعُهُ
جِسْمٌ مَلولٌ وقَلبٌ آلفٌ فإذا ... حلَّ الفراقُ عليه فهو مُوجِعُهُ
لم تستقرَّ بهِ دارٌ ولا وطنٌ ... ولا تَدَفَّأ منه قطُّ مَضْجعُهُ
كأنَّما صِيغ من رهْوِالسحاب فما ... تَزال ريحٌ إلى الآفاقِ تدفَعُهُ
كأنَّما هو توحيدٌ تضيقُ به ... نفسُ الكفورِ فتأبى حين تُودَعُهُ
أوكوكبٌ قاطعٌ فى الأفقِ منتقلٌ ... فالسيرُ يُغرِبُهُ حيناً ويُطلعُهُ

. . . . . .

أظنُّهُ لوجَزَتْهُ أوتُساعِدُه ... ألقتْ عليه انهمالَ الدمعِ يَتْبعُهُ (٥)

بالوفاء أيضاً أفتخر فى قصيدة لى طويلة أوردتها ، وإن كان أكثرها ليس من جنس الكتاب . فكان سبب قولى لها أن قوماً من مخالفىّ شرِقوا بى ، فأساءوا العتب فى وجهى . وقذفونى بأنى أعضّد الباطل بحجتى . عجزاً منهم عن مُقاومة ماأوردته من نصر الحق وأهله . وحسداً لى . فقلت ، وخاطبت بقصيدتى بعض إخوانى ، وكان ذا فهم ، منها :

وخُذنى عصا موسى وهاتِ جميعَهُمْ ... ولو أنَّهُمْ حيَّاتُ ضالٍ نَضائِضُ

---

(٥) يرى غرسية غومث ، وبحق ، أن هناك فجوة بين فكرة البيت الأخير ، والبيت السابق له ، مما يقطع بأن الناسخ حذف أبياتاً بينهما ذهبت بتكامل المعنى ، وجعلت معنى البيت الأخير غامضاً . ولهذا آثرت ان أشير إلى الحذف بسطر من النقط .

ومنها :

يُريغونَ فى عينى عجائبَ جَمَّةً وقد يُتمنَّى الليثُ وَالليثُ رابِض

ومنها :

ويَرْجونَ مالا يَبْلغونَ كمثْلِ ما يُرجَّى مُحالاً فى الإمامِ الروافضُ (٦)

ومنها :

ولو جَلَدِى فى كلِّ قلْبٍ ومُهْجَةٍ لَمَا أثَّرتْ فِيها العيونُ المرائضُ
أبتْ عن دنىِّ الوصْفِ ضرْبةُ لازبٍ كما أبتِ الفعلَ الحروفُ الخوافِضُ

ومنها :

ورأْيى لَهُ فى كلِّ ماغابَ مَسْلكٌ كما تَسْلُكُ الجسمَ العروقُ النوابضُ
يَبينُ مَدَبُّ النملِ فى غيرِ مُشْكِلٍ ويُسْتَرُّ عنهم للقبول المرابض

---

(٦) يشير إلى الرافضة ، وهى فرقة شيعية غالية . انظر :

• أحمد أمين : ضحى الإسلام ، جـ ٣ ص ١٣٦ ، ط ٣ ، القاهرة ١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣ م .

openkandil.com

# ٢٣

# باب الغدر

وكما أنّ الوفاء من سرىّ النعوت ، ونبيل الصفات ، فكذلك الغدر من ذميمها ومكروهها ، وإنما يسمى غدراً من البادى به ، وأمّا المقارض بالغدر على مثله ، وإن استوى معه فى حقيقة الفعل ، فليس بغدر ولا هو معيباً بذلك ، والله عزوجل يقول : « وجزاءُ سيِّئة سيئةٌ مِثْلُها »(١) وقد علمنا أن الثانية ليست بسيئة ، ولكن لما جانست الأولى فى الشبه أوقع عليها مثل اسمها . وسيأتى هذا مفسراً فى باب السلو إن شاء الله .

ولكثرة وجود الغدر فى المحبوب استغرب الوفاء منه ، فصار قليله الواقع منهم ، يقاوم الكثير الموجود فى سواهم ، وفى ذلك أقول :

قليلُ وفاءِ مَنْ يُهوَى يَجِلُّ ... وعُظْمُ وفاءِ مَنْ يَهوى يَقِلُّ
فنادِرَةُ الجبانِ أجـــلُّ ممَّا ... يجيءُ به الشجاعُ المسْتَقِلُّ

ومن قبيح الغدر أن يكون للمحبّ سفير إلى محبوبه ، يستريح إليه بأسراره فيسعى حتى يقلبه إلى نفسه ، ويستأثر به دونه . وفيه أقول :

أقمتُ سفيراً قاصداً فى مطالبى ... وَثِقْتُ به جَهْلاً فضرَّبَ بيْنَنَا
وحـلَّ عُرىَ ودِّى وأثبتَ وُدَّه ... وأبعدَ عنِّى كلَّ ما كانَ مُمْكنا
فصرتُ شهيداً بعد ما كنتُ مُشْهِداً ... وأصبحتُ ضَيْفاً بعدَ ما كانَ ضَيْفنا

* خبر :

ولقد حدّثنى القاضى يونس بن عبد الله(٢) قال : أذكر فى الصبى جارية فى بعض

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٤٠ .

(٢) يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث ، يكنى أبا الوليد ، ويعرف بابن الصفار ، قاضى الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة والخطبة بجامعها .

وقد تقلب فى مناصب كثيرة ، فكان قاضى بطليوس ، وخطيب مسجد الزهراء ، وتولى خطة الرد ، وكان مشاوراً ، وأصبح وزيراً . وكان محدثاً وفقيهاً ، وعالماً بالعربيـــة ، وله مؤلفات عديدة فى الزهد ، ويقول الشعر النفيس

السُّدَد ، يهواها فتى من أهل الأدب ، من أبناء الملوك ، وتهواه ويتراسلان . وكان السفير بينهما ، والرسول بكتبهما ، فتى من أترابه كان يصل إليها ، فلما عُرضت الجارية للبيع أراد الذى كان يُحبها ابتياعها ، فبدر الذى كان رسولا فاشتراها . فدخل عليها يوماً فوجدها قد فتحت درجاً لها تطلب فيه بعض حوائجها ، فأتى إليها ، وجعل يفتش الدرج ، فخرج إليه كتاب من ذلك الفتى الذى كان يهواها ، مضمخاً بالغالية ، مَصوناً مُكرماً ، فغضب وقال : من أين هذا يافاسقة ؟ قالت : أنت سقته إلىّ . فقال : لعله مُحدَث بعد ذاك الحين . فقالت : ماهو إلاّ من قديم تلك التى تعرف ، قال فكأنما ألقمته حجراً ، فسقط فى يديه وسكت .

---

فى معانى الزهد وما شابهه . ولد عام ٣٣٨ هـ = ٩٤٩ م ، وتوفى عام ٤٢٩هـ = ١٠٣٨م . انظر :

- ابن بشكوال : الصلة ، الترجمة رقم ١٥١٢ .
- الضبى : البغية ، الترجمة رقم ١٥٠٠ .
- ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ص ١٥٩ .

* Asin Palacios : Abenhazam, vol. I, p. 159

## ٢٤

# باب البين

وقد علمنا أنه لابد لكل مجتمع من افتراق . ولكل دان من تناء . وتلك عادة الله فى العباد والبلاد ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

وماشىء من دواهى الدنيا يَعدل الافتراق ، ولو سالت الأرواح به فضلاً عن الدموع كان قليلاً . وسمع بعض الحكماء قائلاً يقول : الفراق أخو الموت . فقال : بل الموت أخو الفراق .

والبين ينقسم أقساماً :

فأوّلها مُدة يُوقن بانصرامها وبالعودة عن قريب . وإنّه لشجى فى القلب ، وغصة فى الحلق ، لاتبرأ إلا بالرجعة . وأنا أعلم مَن كان يَغيب مَن يُحب عن بصره يوماً واحداً ، فيعتريه من الهلع والجزع وشُغل البال . وترادُف الكرب ، مايكاد يأتى عليه .

ثم بَيْنٌ منع من اللقاء . وتحظير على المحبوب من أن يراه محبه . فهذا ولو كان من تحبه معك فى دار واحدة فهو بين : لأنه بائن عنك . وإنّ هذا ليولّد من الحزن والأسف غير قليل ، ولقد جرّ بناه فكان مُرًّا .

وفى ذلك أقول :

أرى دارَها فى كلِّ حينٍ وساعةٍ ... ولكنَّ من فى الدارِ عنِّى مُغيَّبُ
وهل نافعى قُرْبُ الدِّيار وأهلُها ... على وصْلِهِمْ منِّى رقيبٌ مُرقِّبُ
فيالكَ جار الجَنْبِ أسمعُ حِسَّهُ ... وأعلمُ أن الصِّينَ أدنى وأقرب
كصادٍ يرى ماءَ الطوى بعينهِ ... وليس إليه من سبيلٍ يُسبَّب
كذلك من فى اللحْدِ عنكَ مُغيَّبٌ ... وما دونَه إلاّ الصفيحُ المُنصَّب

وأقول من قصيدة مطوّلة :

مَتى تشتفى نفسٌ أضَرَّ بها الوَجدُ ... وتصْقَبُ دارٌ قدطوى أهلَهَا البعْدُ
وعهدى بهنْدٍ وهى جارةُ بَيتنا ... وأقربُ من هِنْدٍ لطالبها الهنْد

بلَى إنّ فى قُربِ الديار لراحةً  كما يُمسِكُ الظمآنَ أنْ يدْنُو الوِرْد

ثم بَيْنٌ يتعمده المحب بُعداً عن قول الوُشاة ، وخوفاً أن يكون بقاؤه سبباً إلى منع اللقاء ، وذريعة إلى أنْ يفشو الكلام فيقع الحجابُ الغليظ .

ثم بَيْنٌ يولده المُحب لبعض مايدعوه إلى ذلك من آفات الزمان وعذره متبول أو مطرح على قدر الحافز له إلى الرحيل .

* خبر :

ولعهدى بصديق لى داره المرية ، فعنّتْ له حوائج إلى شاطبة فقصدها . وكان نازلا بها فى منزلى مدة إقامته بها[١] . وكان له بالمرية علاقة هى أكبر همه ، وأدهى غمه ، وكان يؤمِّل بتّها وفراغ أسبابه . وأن يُوشك الرَّجعة . ويُسرع الأوبة ، فلم يكن إلاّ حينٌ لطيفٌ بعد احتلاله عندى ، حتى جَيَّش الموفَّق أبوالجيش مجاهد صاحب الجزائر الجيوش وقرَّب العساكر ، ونابذ خيران صاحب المرية[٢] وعزم على استئصاله ، فانقطعت الطُرق بسبب هذه الحرب ، وتُحُومِيَت السبل . واحترس البحر بالأساطيل

---

(١) يرى نيكل Nykl المستشرق التشيكى ، والمهاجر إلى الولايات المتحدة ، فى ترجمته الإنجليزية للطوق ، أن هذه الفقرة تتصل بالصديق الذى أشار ابن حزم فى المقدمة إلى أنه اقترح عليه أن يصنّف له رسالة «فى صفة الحب ، ومعانيه وأسبابه وأغراضه» . وهو اجتهاد مصيب منه ، أشاركه فيه .

(٢) يطلق عليها فى المصادر العربية «الجزائر الشرقية» ، أو «جزائر شرق الأندلس» ، وأصبحت تعرف منذ القرن الماضى باسم «جزر البليار» . وهى مجموعة من الجزر فى البحر الأبيض المتوسط على مقربة من الأندلس ، وشاركتها على امتداد تاريخها نفس المصير ، وأشهر جزرها : ميورقة ومنورقة ويابسة .

وقد حكم أبو الجيش ، الموفق بالله ، مجاهد بن عبد الله العامرى ، خلال عصر الطوائف ، جزر البليار ودانية من عام ٤٠٠ هـ = ١٠٠٩ م إلى ٤٣٦ هـ = ١٠٤٤ م . وحكم خيران العامرى المرية من ٤٠٣ هـ = ١٠١٢ م إلى ٤١٩ هـ = ١٠٢٨ م .

ومجاهد وخيران كلاهما مولى صقلبى ، من موالى المنصور بن أبى عامر ، ولعبا فى الأحداث السياسية دوراً هاماً ، وبعد زوال العامريين ، وسقوط الخلافة ، أخذا بحظهما من التركة . وقد درست المستشرقة الإيطالية كليليا سارنللى تشركوا Clelia Sarnelli Cerqua مجاهد العامرى دراسة جيدة ، فى بحث تقدمت به لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب فى جامعة القاهرة ، عام ١٩٥٧ ، ثم نشرته فيما بعد . انظر :

- الحميرى : الروض المعطار ، الصفحات : ١٨٥ و ١٨٨ و ١٩٨ .
- ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ص ١٥٥ و ١٦٦ .
- كليليا سارنللى تشركوا : مجاهد العامرى ، قائد الأسطول العربى فى غربى البحر المتوسط ، فى القرن الخامس الهجرى ، ص ١٢٣ وما بعدها . الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٦١ .

فتضاعف كربه إذ لم يجد إلى الانصراف سبيلاً ألبتة ، وكاد يطفأ أسفاً ، وصار لا يأنس بغير الوحدة ، ولا يلجأ إلاّ إلى الزفير والوجوم ، ولعمرى لقد كان ممن لم أُقدّر قط فيه أن قلبه يُذعن للود ، ولا شراسة طبعه تجيب إلى الهوى .

وأذكر أنى دخلت قرطبة بعد رحيلى عنها(٣) ثم خرجتُ منصرفاً عنها ، فضمنى الطريق مع رجلٍ من الكتّاب قد رحل لأمر مهم ، وتخلف سَكن له ، فكان يَرتمض لذلك .

وإنّى لأعلم من عَلِق بهوى له ، وكان فى حال شَظف ، وكانت له فى الأرض مذاهبُ واسعة ، ومناديح رحبة ، ووجوه متصرف كثيرة ، فهان عليه ذلك ، وآثر الإقامة مع من يحب .

وفى ذلك أقول شعراً ، منه :

لكَ فى البلاد منادحٌ مَعلومةٌ  والسيفُ غُفل أو يَبين قِرابه

ثم بَيْن رحيلٍ وتباعد ديار ، ولا يكون من الأوْبة فيه على يقين خَبر ، ولا يَحدث تلاق . وهو الخطب الموجع ، والهم المُفظع ، والحادث الأشنع ، والداء الدوىّ ، وأكثر ما يكون الهلع فيه إذا كان النائى هو المحبوب ، وهو الذى قالت فيه الشعراء كثيراً

وفى ذلك أقول قصيدة ، منها :

ودى عِلّةٍ أعيا الطبيبَ علاجُها  ستوردُنى لاشكَّ مَنْهلَ مَصْرعى
رضيتُ بأنْ أُضْحى قتيلَ ودادِهِ  كجارعِ سِمٍّ فى رَحيق مُشعشع
فما للبالى ما أقلَّ حَيـــاءها  وأوْلعَها بالنفسِ من كلِّ مُولع
كأنَّ زمانى عَبْشمىٌّ يخالُنِى  أعنتُ على عثمانَ أهلَ التشيُّعِ

وأقول من قصيدة :

أظنّكَ تمثالَ الجنانِ أباحَهُ  لمُجتهدِ النسّاكِ مِنْ أوليـــائِهِ

وأقول من قصيدة :

لِأُبْرِدَ باللُّقْيا غليلاً من الهوَى  توقَّع نيرانَ الغَضَى هيمانُهُ

---

(٣) سوف يشير ابن حزم فيما بعد بإيضاح أكثر إلى هذه الرحلة ، التى قام بها إلى قرطبة ، وربما تمت فى الخفاء ، بعد أن غادرها مع دخول البربر إليها عام ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م

وأقول شعراً منه :

خَفِيت عن الأبصارِ والوَجْدُ ظاهرٌ ... فاعجب بأعْراضٍ تَبِينُ ولا شَخْصُ
غدا الفلكُ الدوّارُ حَلْقَةَ خاتمٍ ... مُحيطٍ بما فيه وأنتَ له فَصّ

وأقول من قصيدة :

غنيتَ عن التشبيه حُسناً وَبهْجةً ... كما غَنِيتْ شَمس السماءِ عن الحلى
عجبتُ لنفسي بعدَهُ كيف لم تمُتْ ... وهجرانُه دَفْنِي وفقدانه نَعْيِي
وللجَسدِ الغضِّ المُنعَّمِ كيف لمْ ... تُذِبْهُ يد خشناء . . (٤)

وإن للأوْبة من البَيْنِ الذى تشفق منه النفس لطول مسافته ، وتكاد تيأس من العودة فيه ، لروعة تبلغ مالا حد وراءه ، وربما قتلت .

وفى ذلك أقول :

للتلاقى بعـــدَ الفراقِ سرورُ ... كسُرورِ المُفيقِ حانتْ وفاتُهْ
فرحةٌ تُبهجُ النفوسَ وتحيِي ... مَن دنا منه بالفراقِ مماتُهْ
ربّمــا قد تكون داهيةُ المَوْ ... تِ وتودِى بأهلِهِ هجماتُهْ
كم رأينا من عبٍّ فى الماء عطشا ... ن فزارَ الحِمامَ وهو حياتُهْ

وإنى لأعلم من نأت دارُ محبوبه زمناً ، ثم تيسرت له أوبة فلم يكن إلا بقدر لتسليم واستيفائه ، حتى دعته نوى ثانية فكاد أن يهلك .

وفى ذلك أقول :

أطلتَ زمانَ البعدِ حتى إذا انقضىَ ... زمانُ النَوى بالقربِ عُدتَ إلى البعدِ
فلم يكُ إلا كَرَّةَ الطرْفِ قُرْبُكُمْ ... وعاودكم بُعْدِى وعاوَدَنِى وَجْدِى

كذا حائرٌ فى الليل ضاقتْ وجوهُه ... رأى البرقَ فى داجٍ من الليلِ مُسْوَدِّ
فأخلَفه منـــــهُ رجاءُ دوامِهِ ... وبعضُ الأراجِى لاتفيدُ ولاتُجدى

وفى الأوبة بعد الفراق أقول قطعة ، منها :

لقد قَرَّتِ العينانِ بالقربِ منكُمُ ... كما سَخُنَتْ أيامَ يَطْوِيكمُ البعْدُ
فللّه فيما قد مضىَ الصبرُ والرضَى ... ولله فيما قدْ قضَى الشكرُ والحمدُ

---

(٤) بياض فى الأصل .

• خبر :

ولقد نُعى إلىَّ بعض من كنت أحب من بلدة نازحة ، فقمت فارًّا بنفسى نحو المقابر ، وجعلت أمشى بينها وأقول :

وددتُ بأنّ ظهرَ الأرضِ بَطنٌ ... وأنّ البطنَ منها صـــارَ ظهْرا
وأنىّ متُّ قبل ورودِ خطبٍ ... أتى فأثارَ فى الأكبادِ جمْرا
وأنّ دمىِ لمن قد بان غُسْلٌ ... وأنّ ضلوعَ صدرى كنَّ قبرا

ثم اتصل بعد حين تكذيب ذلك الخبر فقلت :

بُشْرَى أتتْ واليأسُ مُستحكمٌ ... والقلبُ فى سْبعٍ طِباق شدادْ
كستْ فؤادِى خُضْرةً بعـدما ... كان فؤادى لابساً للحدادْ
جَلَى سوادُ الغمِّ عنىِّ كما ... يُجلىَ بلون الشمسِ لون السواد
هذا وما آملُ وصلاً سِوَى ... صـــــدْقِ وفاءٍ بقديم الوِدَاد
فالمُزْنُ قد تُطلبُ لا للحيَـــا ... لكنْ لظلِّ باردٍ ذى امتداد

ويقع فى هذين الصنفين من البيْن الوداع ، أعنى رحِيل المُحبِّ أو رحيل المحبوب . وإنه لمن المناظر الهائلة ، والمواقف الصعبة ، التى تفتضح فيها عزيمة كل ماضى العزائم ، وتذهب قوة كل ذى بصيرة ، وتسكب كلُّ عين جمود ، ويظهر مكنون الجوى . وهو فصل من فصول البيْن يجب التكلّم فيه ، كالعتاب فى باب الهجر .

ولعمرى لو أن ظريفاً يموت فى ساعة الوداع ، لكان معذوراً إذا تفكر فيما يحل به بعد ساعة من انقطاع الآمال ، وحلول الأوجال ، وتبدل السرور بالحزن . وإنّها ساعة تُرقّ القلوب القاسية ، وتُلين الأفئدة الغلاظ . وإنّ حركة الرأس ، وإدمان النظر ، والزفرة بعد الوداع ، لهاتكةٌ حجابَ القلب ، وموصلة إليه من الجزع بمقدار ماتفعل حركةُ الوجد فى ضد هذا .

والإشارة بالعين والتبسم ، ومواطن الموافقة والوداع ، تنقسم قسمين : أحدهما لايتمكن فيه إلاّ بالنظر والإشارة ، والثانى يتمكن فيه بالعناق والملازمة ، وربما لعله كان لايمكن قبل ذلك ألبتة مع تجاور المحال وإمكان التلاقى ، ولهذا تمنى بعض

الشعراء البَيْنَ ومدحوا يوم النوى ، وما ذاك بحسن ولا بصواب ولا بالأصيل من الرأى ، فما يفى سرورُ ساعة بحزن ساعات ، فكيف إذا كان البين أياماً وشهوراً وربما أعواماً ، وهذا سوء من النظر ومعْوَج من القياس ، وإنما أثنيت على النوى فى شعرى تمنياً لرجوع يومها ، فيكون فى كل يوم لقاء ووداع . على أن تحمُّل مضض هذا الاسم الكريه ، وذلك عند مايمضى من الأيام التى لا التقاء فيها ، فحينئذ يرغب المحب عن يوم لفراق لو أمكنه فى كل يوم .

وفى الصنف الأول من الوداع أقول شعراً ، منه :

تنوُب عن بهجةِ الأنوارِ بهجتُه ... كما تنوبُ عن النيرانِ أنفاسِى

وفى الصنف الثانى من الوداع أقول شعراً منه :

وجهٌ تخِرُّ له الأنوارُ ساجدةً ... والوجهُ تِيمٌ فلم يَنقُص ولم يَزِدِ
دفءٌ وشمسُ الضحى بالجَدْى نازلةٌ ... وباردٌ ناعمٌ والشمسُ فى الأسدِ

ومنه :

يومُ الفِراق لعَمرى لستُ أكرهُهُ ... أصْلاً وإن شَتَّ شملُ الروح عن جسدِى
ففيه عانقتُ من أهوى بلا جَزَعٍ ... وكان مِن قَبْلِهِ إن سِيلَ لم يَجد
أليسَ من عَجبٍ دمعى وعبْرتُهاَ ... يومُ الوصالِ ليومُ البَيْنِ ذو حَسَد

وهل هَجَسَ فى الأفكار ، أوقام فى الظنون ، أشنع وأوجع من هجر عتاب وقع بين محبين ، ثم فجأتهما النوى قبل حلول الصلح ، وانحلال عقدة الهجران ، فقاما إلى الوداع وقد نُسى العِتاب ، وجاء ماطمّ عن القُوى ، وأطال الكرى ؟ .

وفيه أقول شعراً ، منه :

وقد سَقَطَ العَتْبُ المقدَّمُ وامّحىَ ... وجاءتْ جيوش البيْنِ تجرِى وتُسْرِعُ
وقد ذَعَرَ البيْنُ الصدودَ فراعَهُ ... فولِّىَ فما يُدرَى له اليومَ مَوْضعُ
كذئبٍ خلا بالصيدِ حتى أضَلَّه ... هِزَبرٌ له من جانب الغيلِ مَطْلعُ
لئن سَرَّنى فى طَرْده الهجرَ أنَّنى ... لإبعادِهِ عنىّ الحبيبَ لَمُوجَعُ
ولا بُدَّ عندَ الموتِ من بعضِ راحةٍ ... وفى غيِّها المُوت الوحِىُّ المصرَّعُ

وأعرف من أتى ليودِّع محبوبه يوم الفراق فوجده قد فات ، فوقف على آثاره

ساعة ، وتردّد فى الموضع الذى كان فيه ،ثم انصرف كئيباً متغير اللون كاسف البال ، فما كان بعد أيام قلائل حتى اعتل ومات رحمه الله .

وإن للبيْن فى إظهار السرائر المطوية عملاً عجباً ، ولقد رأيت من كان حبه مكتوماً ، وبما يجد فيه مستتراً ، حتى وقع حادثُ الفراق فباح المكنون ، وظهر الخفى .

وفى ذلك أقول قطعة ، منها :

بذلتَ من الـودِّ مـا كان قبل ... مَنَعْتَ وأعطيتنيه جُزافا
وما لِى به حاجة عند ذاك ... ولو جُدْتَ قَبْلُ بلغتَ الشغافا
وما ينفعُ الطبُّ عنـــد الحِمام ... وينفعُ قبل الردَى مِن تلافا

وأقول :

الآن إذ حلّ الفراقُ جُدْت لِى ... بحُبِّ حبٍّ كنتَ تُبدى بُخْلَهُ
فزدتنى فى حَسْرتِى أضعافَها ... وَيْحِى فهلاَّ كان هذا قَبْلَهُ

ولقد أذكرنى هذا أنى حظيت ـ فى بعض الأزمان ، بمودة رجل من وزراء السلطان ، أيام جاهه ، فأظهر بعض الامتساك ، فتركته حتى ذهبت أيامه ، وانقضت دولته ، فأبدى لى من المودة والأخوة غير قليل ، فقلت :

بذلتَ لىَ الإعراضَ والدهرُ مقبلُ ... وتبذلُ لِى الإقبالَ والدهرُ مُعرضُ
وتبسُطُنى إذ ليس ينفعُ بسطُكُم ... فهلاَّ أبحتَ البسطَ إذ كنتَ تَقْبِض

ثم بَيْنُ الموتِ وهو الفوْت ، وهو الذى لايُرجى له إياب ، وهو المصيبة الحالّة ، وهو قاصمة الظهر ، وداهية الدهر ، وهو الويل ، وهو المغطّى على ظلمة الليل ، وهو قاطع كل رجاء ، ومَاحِى كل طمع ، والمؤيس من اللقاء . وهنا حارت الألسن ، وانجذم حبل العلاج . فلا حيلة إلا الصبر طوعاً أوكرهاً ، وهو أجل مايبتلى به المحبون ، فما لِمن دُهِى به إلاّ النوح والبكاء إلى أن يتلف أو يمل ، فهى القرحة التى لاتُنكى ، والوجع الذى لايَفنى ، وهو الغم الذى يتجدد على قدر بلاء من اعتمدته فى الثرى ، وفيه أقول :

كلُّ بيْن واقـــــع ... فمرجَّى لم يَفُتْ
لاتُعجِّـــــلْ قَنِطاً ... لم يَفُتْ مَنْ لم يمُت
والذى قد مـــات فالـ ... يأسُ عنه قد ثَبتْ

وقد رأينا مَن عرض له هذا كثيراً .

وعنى أخبرك أنى أحدُ من دُهى بهذه الفادحة . وتعجّلت له هذه المصيبة . وذلك أنى كنت أشدَّ الناس كلفاً ، وأعظمهم حبًّا بجارية لى ، كانت فيما خلا اسمها نُعْم . وكانت أمنية المتمنِّى ، وغاية الحسن خَلْقاً وخُلُقا ، ومُوافقة لى ، وكنت أبا عذرها . وكنّا قد تكافأنا المودة . ففجعتنى بها الأقدار ، واخترمتها الليالى ومرُّ النهار ، وصارت ثالثة التراب والأحجار . وسنِّى حين وفاتها دون العشرين سنة . وكانت هى دونى فى السن ، فلقد أقمتُ بعدها سبعة أشهر لا أتجرد عن ثيابى . ولا تفترلى دمعة على جُمود عينى ، وقلة إسعادها،وعلى ذلك فوالله ماسلوتُ حتى الآن ، ولو قبل فداء نفديتها بكل ماأملك من تالـد وطارف . وببعض أعضاء جسمى العزيزة علىّ ، مسارعا طائعا ، وما طاب لى عيش بعدها ، ولا نسيت ذكرها ، ولا أنست بسواها ، ولقد عَفَّى حُبّى لها على كل ماقبله ، وحرّم ماكان بعده(٥).

ومما قلت فيها :

مهذَّبةٌ بيضاءُ كالشمس إنْ بدتْ ... وسائرُ رَبّاتِ الحِجالِ نُجومُ

أطارَ هواها القلبَ عن مُستقرِّه ... فبعدَ وقوعٍ ظلَّ وهْوَ يحوم

ومن مراثىَ فيها قصيدة منها :

كأنِّى لم آنسْ بألفاظكَ التى ... على عُقَدِ الألبابِ هُنَّ نَوافثُ

ولم أتحكَّمْ فى الأمانى كأنَّنى ... لإفراط ما حُكِّمتُ فيهن عابث

ومنها :

ويبدين إعراضاً وهنَّ أوالفٌ ... ويُقسِمْنَ فى هَجرى وهنَّ حوانثُ

وأقول أيضاً فى قصيدة أخاطب فيها ابن عمى أبا المغيرة عبدالوهاب أحمد بن عبدالرحمن بن حزم بن غالب(٦)وأقرضه ، فأقول :

---

(٥) سبق لابن حزم أن تحدث عن نعم هذه ، وعن قصة أخرى له معها فى الباب الثانى .

(٦) ابن عم ابن حزم ، ورفيقه فيما بعد وزيرين فى وزارة عبد الرحمن بن هشام المستظهر ، توفى فى طليطلة عام ٣٤٨ هـ = ١٠٤٦ م ، وكان أديباً وشاعراً ومؤلفاً ، ولدينا عنه معلومات وافرة ، انظر :

- ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ١١٠ .
- ابن خاقان : مطمح الأنفس ، ص ٢٢ .
- ابن بشكوال : الصلة ، الترجمة رقم ٨١٥ .
- ابن سعيد : المغرب ، جـ ١ ص ٣٥٧ .

قفا فاسألا الأطلالَ أين قطينُها  أمرتْ عليها بالبِلى الملَّوان
على دارساتٍ مقفراتٍ عواطلٍ  كأن المغانى فى الخفاء معانى

واختلف الناس فى أى الأمرين أشدّ : البين أم الهجر؟ وكلاهما مُرتق صعب ، وموت أحمر . وبلية سوداء ، وسنة شهباء . وكل يستبشع من هذين ماضادّ طبعه ، فأمّا ذو النفس الأبية ، الألوف الحنّانة ، الثابتة على العهد ، فلاشىء يعدل عنده مُصيبة البين ، لأنه أتى قصداً ، وتعمدتْه النوائب عمداً ، فلا يجد شيئاً يسلّى نفسه ، ولا يصرف فكرته فى معنى من المعانى ، إلاّ وجد باعثاً على صُبابته ، ومحركا لأشجانه ، وعليه لا لهُ ، وحجة لوجده ، وحاضاً على البكاء على إلفه . وأمّا الهجر فهو داعية السلوّ ، ورائد الإقلاع .

وأما ذو النفس التوّاقة ، الكثيرة النزوع والتطلع ، القلوق العزوف ، فالهجر داؤه ، وجالبُ حتفه ، والبين له مَسلاة ومنساة .

وأما أنا فالموت عندى أسهل من الفراق ، وما الهجر إلا جالب للكمد فقط ، ويوشك إنْ دام أن يحدث إضراراً .

وفى ذلك أقول :

وقالوا ارتحلْ فلعلّ السُّلوَّ  يكونُ وترغبُ أن ترْغبهْ
فقلتُ الردَى لى قبلَ السلوِّ  ومَنْ يشربُ السمَّ عن تجرِبَهْ

وأقول :

سبى مهجتى هواهُ  وأودتْ بها نواهُ
كأنّ الغرامَ ضيفٌ  وروحى غداً قِراهُ

ولقد رأيت من يستعمل هجر محبوبه ، ويتعمده خوفاً من مرارة يوم البين ، وما يحدث به من لوعة الأسف عند التفرق ، وهذا وإن لم يكن عندى من المذاهب المرضية ، فهو حجة قاطعة على أن البين أصعب من الهجر ، وكيف لا وفى الناس من يلوذ بالهجر خوفاً من البين ، ولم أجد أحداً فى الدنيا يلوذ بالبين خوفاً من الهجر ، إنما يأخذ الناسُ أبداً الأسهل ويتكلفون الأهون . وإنما قلنا إنه ليس من المذاهب المحمودة ، لأن أصحابه قد استعجلوا البلاء قبل نزوله ، وتجرّعوا غصة الصبر قبل وقتها . ولعلّ ماتخوّفوه لايكون ، وليس من يتعجل المكروه ، وهو على

غير يقين مما يتعجل ، بحكم . وفيه أقول شعراً ، منه :

لبس الصبُّ للصبابةِ بيْنـــاً ... ليس مَن جانبَ الأحبةِ منّـــا
كغنيٍّ يعيشُ عيشَ فقـــيرٍ ... خوفَ فقْرٍ وفقرهُ قد أبناً

وأذكر لابن عمى أبى المغيرة هذا المعنى ، من أن البين أصعب مِن الصدّ،أبياتاً من قصيدة خاطبنى بها ، وهو ابن سبعة عشر عاماً أو نحوها ، وهى :

أجزعْتَ أنْ أزِفَ الرّحيـــلُ ... وَوَلَهْتَ أنْ نُصَّ الذميلُ
كلاَّ مُصـــــابُك فادِحٌ ... وأَجَلْ فراقُهُمُ جليـــــل
كذّبَ الأُلَى زعمـــــوا ... بأن الصدَّ مرتعُهُ وَبيل
لم يعرفوا كُنْهَ الغليـــــلِ ... وقد تحمَّلَت الحُمُول
أماَّ الفِـــــــــراقُ فإنَّهُ ... للموتِ إنْ أَهوَى دليـــل

ولى فى هذا المعنى قصيدة مطولة ، أولها :

لامِثْلُ يومِك ضَحْوَةُ التنعيم ... فى مَنْظرٍ حَسَنٍ وفى تَنْعيمِ
قد كانَ ذاكَ اليومُ نُدْرَةَ عاقرٍ ... وصوابَ خاطئةٍ ووُلْدَ عَقيم
أيامَ بَرْقُ الوصْلِ ليس بخُلَّبٍ ... عندى ولا رَوضُ الهوَى بهشيم
مِنْ كلِّ غانيةٍ تقول ثُدِيُّها ... سيرى أمامَكِ والإزارَ أقيمى
كلٌّ يُجاذبُها فحُمرةُ خَدِّها ... خَجلٌ من التأخيرِ والتقديمِ
مابى سِوَى تلكَ العيونِ وليس فى ... بُرْئى سِواها فى الورَى بزعيم
مثلُ الأفاعى ليس فى شىءسوَى ... أجسادها إبراءُ لدغ سليمِ

والبين أبكى الشعراء على المعاهد ، فأدرُّوا على الرسوم الدموع ، وسقوا الديار ماء الشوق ، وتذكروا ما قد سلف لهم فيها فأعولوا وانتحبوا ، وأحيت الآثار دفين شوقهم فناحوا وبكوا .

ولقد أخبرنى بعض الوراد من قرطبة ، وقد استخبرته عنها ، أنه رأى دورنا ببلاط مغيث ، فى الجانب الغربى منها ، وقد امحت رسومها ، وطمست أعلامها ، وخفيت معاهدها ، وغيّرها البلى ، وصارت صحارى مجدبة بعد العمران ، وفيافى مُوحشة بعد الأنس ، وخرائب منقطعةبعد الحُسن ، وشعاباً مفزِّعة بعد الأمن ، ومأوى للذئاب ، ومعازف للغيلان ، وملاعب للجان ، ومكامن للوحوش ، بعد رجال كالليوث ،

وخرائد كالدمى ، تفيض لديهم النعم الفاشية . تبدّد شملهم فصاروا فى البلاد أيادى سبا ، فكأن تلك المحاريب المنمّقة ، والمقاصير المزيّنة ، التى كانت تشرق إشراق الشمس ، ويجلو الهموم حسن منظرها ، حين شملها الخراب ، وعمها الهدم ، كأفواه السباع فاغرة ، تؤذن بفناء الدنيا ، وتُريك عواقب أهلها ، وتخبرك عما يصير إليه كل من تراه قائماً فيها . وتزهد فى طلبها ، بعد أن طال مازهدت فى تركها ، وتذكرت أيامى بها ، ولذّاتى فيها،وشهور صباى لديها ، مع كواعب إلى مثلهن صبا الحليم ، ومثلت لنفسى كونهن تحت الثرى ، وفى الآثار النائية ، والنواحى البعيدة ، وقد فرّقهن يدُ الجلاء ، ومزقهن أكفُّ النوى ، وخيل إلى بصرى بقاء تلك النصبة بعد ماعلمتُه من حسنها وغضارتها ، والمراتب المحكمة التى نشأت فيها لديها ، وخلاء تلك الأفنية بعد تضايقها بأهلها . وأوهمتُ سمعى صوت الصدى والهام عليها ، بعد حركة تلك الجماعات التى رُبّيت بينهم فيها ، وكان ليلُها تبعاً لنهارها فى انتشار ساكنها ، والتقاء عمارها ، فعاد نهارها تبعاً لليلها فى الهدوء والاستيحاش ، فأبكى عينى ، وأوجع قلبى ، وقرع صفاة كبدى ، وزاد فى بلاء لُبى ، فقلت شعرا منه(٧) :

سلامٌ على دارٍ رحلْنا وغُودرتْ ... خلاء من الأهلين موحشةً قفرا
تراها كأنْ لم تغنَ بالأمس بلْقَعاً ... ولا عمرتْ من أهلها قبلنا دهرا
فيا دارُ لم يقفرك منّا اختيارُنا ... ولو أنّنا نختار كنتِ لنا قبرا
ويا مجتلَى تلك البساتين حفَّها ... رياضٌ قواريرٌ غدتْ بعدنا غبْرا
ويادهرُ بلِّغْ ساكنيها تحيَّتى ... ولو ساكنوا المرْوَيْنِ أو جاوَزوا النهْرا
لئنْ كان أظمانا فقد طالما سَقى ... وإنْ ساءنا فيها فقد طالَما سَرَّا
وأيَّتُها الدارُ الحبيبةُ لا أُبـرم ... ربوعَكِ جونُ المزْنِ يهْمَى بها القطرا
كأنَّكِ لم يسكُنْكِ غيدٌ أوانسٌ ... وصيدُ رجال أشْبَهوا الأنجمَ الزهْرا

---

(٧) فى هذه الفقرة يبكى بن حزم ، فى نثر بليغ وعاطفة صادقة ، ما حل بمدينته قرطبة ، وبمنازل أهله فيها ، على يد البرابر ، بعد أن اقتحمو المدينة ونهبوها ، عام ٤٠٣ هـ = ١٠١٣ م ، وأورد لنا ابن الخطيب فى كتابه : « أعمال الأعمال » ، ص ١٠٧ وما بعدها ، طبعة الرباط ، تفاصيل الأحداث كاملة ، وأورد لنا أبياتاً من الشعر لابن حزم يبكى فيها المدينة الحزينة ، وقد اكتفى ناسخ مخطوطة الطوق بالبيت السادس منها فحسب ، وجئت بها كاملة ، على نحو ما أوردها ابن الخطيب .

والبيْن يولِّد الحنين والاهتياج والتذكّر . وفى ذلك أقول :

ليتَ الغرابَ يُعيدُ اليومَ لى فعسىَ ... يَبينُ بينَهُمُ عنّى فقد وَقفا
أقولُ والليلُ قد أرخَى أجِلَّتَهُ ... وقد تأَلَّى بألاّ ينقضِى فوَقَ
والنجمُ قد حارَ فى أفقِ السماءِ فما ... يمضِى ولا هو للتغوير مَنصْرِفـا
تخالُهُ مخطِئاً أو خائِفاً وَجِـــلاً ... أوْ راقباً مَوعداً أوعاشقاً دَنِفا

opeikandl.com

## ٢٥

# باب القنوع

ولا بد للمحب ، إذا حُرم الوصل ، من القنوع بما يجد ! وإن فى ذلك لمتعللا للنفس ، وشغلا للرجا ، وتجديداً للمنى ، وبعض الراحة . وهو مراتب على قدر الإصابة والتمكن :

فأولها الزيارة ، وإنها لأمل من الآمال ، ومن سرى مايسنح فى الدهر مع ماتبدى من الخفر والحياء لما يعلمه كل واحد منهما مما فى نفس صاحبه . وهى على وجهين :

أحدهما أن يزور المحبّ محبوبه ، وهذا الوجه واسع .

والوجه الثانى أن يزور المحبوب مُحبّه ، ولكن لا سبيل إلى غير النظر والحديث الظاهر . وفى ذلك أقول :

فإنْ تنأ عنّى بالوصالِ فإننى ... سأرضَى بلحظِ العينِ إنْ لم يكنْ وصلُ
فحسبىَ أنْ ألقاكَ فى اليوم مرّة ... وما كنتُ أرضى ضعفَ ذا منك لى قبل
كذا هِمّةُ الوالى تكونُ رفيعةً ... ويرضى خلاصَ النفسِ إنْ وقع العزل

وأمّا رجع السلام والمخاطبة فأمل من الآمال ، وإن كنت أنا أقول فى قصيدة لى :

فها أنا ذا أُخْفِى وأقنـــــعُ راضياً ... برجع سلامٍ إنْ تيسَّرَ فى الحين

فإنما هذا لمن ينتقل من مَرتبة إلى ماهو أدنى منهاً . وإنما تتفاضل المخلوقات فى جميع الأوصاف على قدر إضافتها إلى ماهو فوقها أو دونها .

وإنى لأعلم من كان يقول لمحبوبه : عدنى واكذب ، قنوعاً بأن يسلى نفسه فى وعده ، وإن كان غير صادق . فقلت فى ذلك :

إنْ كان وصلُكَ ليس فيه مَطمعٌ ... والقربُ ممنوعٌ فعِدْنِى واكذبِ
فعسى التعلّلُ بالتقائك مُمسِكٌ ... لحياةِ قلبٍ بالصُّدودِ مُعذَّب
فقد يُســـلّى المجدبين إذا رأوْا ... فى الأفقِ يلمعُ ضوءُ بَرْقٍ خُلَّب

ومما يدخل فى هذا الباب شىءٌ رأيته ورآه غيرى معى ، أنَّ رجلا من إخوانى

جرحه من كان يُحبّه بمدية . فلقد رأيته وهو يُقبِّل مكان الجرح . ويندُبه مرة بعد مرة . فقلت فى ذلك :

يقولون : شَجَّكَ مَن هِمْت فيه ... فقلتُ : لعمـــرىَ ما شجَّنى
ولكنْ أحسَّ دمى قُـــــربه ... فطار إليـــــه ولم ينثنِ
فيا قاتلى ظالمـــاً مُحسنـــاً ... فديتُكَ من ظالمٍ مُحسنِ

ومن القنُوع أن يُسرَّ الإنسان ويَرضى ببعض آلات محبوبه . وإنّ له من النفس لموقعا حسنا ، وإن لم يكن فيه إلاّ ما قص الله تعالى علينا ، من ارتداد يعقوب بصيراً حين شَمّ قميص يوسف عليهما السلام .

وفى ذلك أقول :

لَمّا مُنعتُ القرب من سيِّدى ... ولجَّ فى هجرى ولم يُنصفِ
صرْتُ بإبصـــارىَ أثوابَهُ ... أو بعض ماقد مسَّهُ أكْتفى
كذاكَ يعقوبُ نـــبى الهدى ... إذ شفَّهُ الحزنُ على يوسف
شمَّ قميصاً جاء من عنده ... وكان مكفوفاً فمنـــهُ شُفِى

وما رأيت قط متعاشقين إلاّ وهما يتهاديان خصل الشعر مبخرة بالعَنبر ، مرشوشة بماء الورد ، وقد جمعت فى أصلها بالمصطكى وبالشمع الأبيض المصفى ، ولُفَّتْ فى تطاريف الوَشْى والخز وما أشبه ذلك . لتكون تذكرة عند البين .

وأما تهادى المساويك بعد مضغها ، والمصطكى إثراستعمالها ، فكثير بين كل متحابين قد حظر عليهما اللقاء . وفى ذلك أقول قطعة منها :

أرى ريقَها ماء الحيـــاة تبقُّنـــاً ... على أنها لم تُبقِ لى فى الهوى حشا

## ٥ خبر :

وأخبرنى بعض إخوانى عن سليمان بن أحمد الشاعر ، أنه رأى ابن سهل الحاجب بجزيرة صقلية[1] ، وذكر أنه كان غاية فى الجمال . فشاهده يوما فى بعض المتنزهات

---

(١) لا تمدنا المصادر بأية معلومات عنهما ، فقط يتحدث ابن بشكوال فى كتابه « الصلة » ، الترجمة رقم ٤٥٣ ، فى إيجاز شديد عمن يدعى : سليمان بن أحمد بن محمد الأندلسى ، من أهل سرقسطة ، يكنى أبا الربيع ، وكانت له رحلة إلى المشرق . وثمة احتمال بأن يكون سليمان هذا هو الذى يشير إليه ابن حزم .

ماشياً ، وامرأة خلفه تنظر إليه . فلما أبعد أتت إلى المكان الذى قد أثّر فيه مشيه ، فجعلت تقبّله وتلثم الأرض التى فيها أثر رجله .

وفى ذلك أقول قطعة ، أولها :

يلومونى فى مَوْطئٍ خَفِّـــهِ خطًا ... ولو علموا عادَ الذى لَامَ يَحْسُدُ
فيا أهل أرضٍ لاتجودُ سحابُها ... خُذوا بوصَاتى تستقلّوا وتحمدوا
خذوا من ترابٍ فيه موضعُ وَطئه ... وأضمنُ أن المَحْلَ عنكم يُبعَّد
فكلُّ ترابٍ واقعٌ فيه رِجـــلُهُ ... فذاك صعيدٌ طيِّبٌ ليس يُجحد
كذلك فعْلُ السامرىِّ وقد بدا ... لعينيه من جبريل إثرٌ ممجّد
فصيّر جوف العجل من ذلك الثرى ... فقـــام له منـــه خُوارٌ ممدّد

وأقول :

لقد بُوركتْ أرضٌ بها أنت قاطنٌ ... وبورك من فيها وحلّ بها السعدُ
فأحجارُها دُرٌّ وسعدانُها وَرْدٌ ... وأموالُهـــا شُهدٌ وتربتُها نَدّ

ومن القنوع الرضا بمزار الطيف ، وتسليم الخيال . وهذا إنما يحدث عن ذكر لايفارق ، وعهد لايحول ، وفكر لا ينقضى ، فإذا نامت العيون ، وهدأت الحركات سرى الطيف . وفى ذلك أقول :

زار الخيالُ فتىً طالتْ صَبابتهُ ... على احتفاظٍ من الحُرَّاس والحفظهْ
فبتُّ فى ليلتى جذلان مُبتهجاً ... ولذَّةُ الطيفِ تُنسى لذَّة اليقظه

وأقول :

أتى طيفُ نُعْمٍ(٢) مَضْجعى بعد هَدْأَةٍ ... ولليـــلِ ســـلطانٌ وظلٌّ ممدّدُ
وعهدِى بها تحتَ الترابِ مُقيمةٌ ... وجاءتْ كما قد كنتُ من قبلُ أعهد
فعُدْنا كما كنّا وعاد زماننـــا ... كما قد عهدْنا قبلُ والعودُ أحمدُ

وللشعراء فى علة مزار الطيف أقاويل بديعة المرمى مخترعة ، كلٌّ سبق إلى معنى من المعانى . فأبو إسحاق بن سيّار النّظام(٣) رأس المعتزلة جعل علة مزار الطيف خوف الأرواح من الرقيب المرقّب على بهاء الأبدان . وأبو تمام حبيب بن أوس الطائى

---

(٢) نعم : الجارية التى كان يعشقها ابن حزم ، وتحدث عنها فى الفصل السابق ، انظر الهامش رقم ٥ .

(٣) أبو إسحاق بن سيار النظام ، سبق أن عرفنا به ، فى الباب الأول ، الهامش رقم ١١ .

جعل علّته أنّ نكاح الطيف لايفسد الحب ونكاح الحقيقة يفسده . والبُحترى جعل علة إقباله استضاءته بنار وجده ، وعلّة زواله خوف الغرق فى دموعه .

وأنا أقول من غير أن أمثل شعرى بأشعارهم ، فلهم فضل التقدم والسابقة . و نحن نحن لاقطون وهم الحاصدون ، ولكن اقتداء بهم . وجريا فى ميدانهم ، وتتبعاً لطريقتهم التى نهجوا وأوضحوا ، أبياتاً بينت فيها مزار الطيف مقطّعة :

أغارُ عليك من إدْراكِ طَرْقى ... وأشفقُ أنْ يُذيبك لمْسُ كفّى
فأمتنعُ اللقاءَ حـــــذارَ هـذا ... وأعتمدُ التـــلاقِ حين أُغْفى
فروحى إنْ أنمْ بك ذو انفرادٍ ... من الأعضاءِ مُســـتَرٌ ومَخْفى
وَوَصْلُ الروحِ ألطفُ فيكَ وَقْعاً ... من الجسمِ المواصلِ ألْفَ ضِعْف

وحال المزُور فى المنام ينقسم أقساماً أربعة :

أحدهما محب مهجور قد تطاول غمه ، ثم رأى فى هجعته أن حبيبه وصله فسر بذلك وابتهج ، ثم استيقظ فأسف وتلهّف ، حيث علم أن ما كان فيه أمانى النفس وحديثها .

وفى ذلك أقول :

أنت فى مشرقِ النهارِ بخيـــــلٌ ... وإذا الليلُ جنَّ كنتَ كريما
تجعلُ الشمسَ منك لى عِوَضاً هيـ ... ـهات ماذا الفعالُ منك قويما
زارنى طيفُكَ البعيدُ فيـــــأتى ... واصلاً لى وعائداً ونديمـــا
غير أنىَّ مَنَعْتنى من تمام العيـ ... ـش لكنْ أبحتَ لى التشميما
فكأنّى من أهل الأعراف لاالفر ... دَوْسُ دارى ولا أخافُ الجحيما

والثانى محب مواصل مشفق من تغير يقع ، قد رأى فى وسنه أن حبيبه يهجره فاهتمّ لذلك هماً شديداً ، ثم هب من نومه فعلم أن ذلك باطل وبعض وساوس الإشفاق .

والثالث محب دانى الديار يرى أنّ التنائى قد فدحه ، فيكترث ويوجل ، ثم ينتبه فيذهب مابه ويعود فرحاً .

وفى ذلك أقول قطعة ، منها :

رأيتُكَ فى نومى كأنّكَ راحـــلٌ ... وقمنا إلى التوديع والدمعُ هاملُ

وزال الكرَى عنِّى وأنتَ معانقى وغَمِّى إذا عاينتُ ذلك زائل
فجدَّدتُ تَعْنيقـــاً وضمًّا كأنَّنِي عليكَ من البيْنِ المفرِّق واجل

والرابع محب نائى المزار ، يرى أن المزار قد دنا ، والمنازل قد تصاقبت ، فيرتاح ويأنس إلى فقد الأسى ، ثم يقوم من سنته فيرى أن ذلك غير صحيح ، فيعود إلى أشدما كان فيه من الغم ، وقد جعلت فى بعض قولى علة النوم الطمع فى طيف الخيال . فقلت :

طاف الخيالُ على مستهترٍ كَلِفٍ لولا ارتقابُ مزارِ الطيفِ لم يَنم
لاتعجبوا إذ سرَى والليلُ مُعتكرٌ فنورُهُ مُذهبٌ فى الأرض للظلَمِ

ومن القنوع أن يقنع المحبّ بالنظر إلى الجدران ، ورؤية الحيطان التى تحتوى على من يحبّ ، وقد رأينا من هذه صفته . ولقد حدثنى أبو الوليد أحمد بن محمد ابن إسحاق الخازن[٤] رحمه الله ، عن رجل جليل ، أنه حدث عن نفسه بمثل هذا .

ومن القنوع أن يرتاح المحبّ ، إلى أنْ يرى مَن رأى محبوبه ، ويأنس به ، ومَن أتى من بلاده ، وهذا كثير . وفى ذلك أقول :

تَوحَّشَ من سُكَّانه فكأنَّهمْ مساكنُ عادٍ أعقبتْهُ ثمـــودُ

ومما يدخل فى هذا الباب أبيات لى ، موجبها أنى تنزهت أنا وجماعة من إخوانى ، من أهل الأدب والشرف ، إلى بستان لرجل من أصحابنا ، فجلنا ساعة ، ثم أفضى بنا القعود إلى مكان دونه يتمنى ، فتمددنا فى رياض أريضة ، وأرض عريضة للبصر فيها منفسح ، وللنفس لديها مسرح ، بين جداول تطرد كأباريق اللجين ، وأطيار تغرد بألحان تزرى بما أبدعه معبد و الغريض[٥] . وثمار مهدلة قد ذللت للأيدى ، ودنت للمتناول ، وظلال مظلة تلاحظنا الشمس من بينها ، فتتصور بين

---

(٤) أبو الوليد أحمد بن محمد بن إسحاق ، والد أبى بكر محمد ، الذى عرفنا به فى الباب الثانى ، انظر الهامش رقم ٤ ، وكان أبو بكر صديقاً ودوداً لابن حزم . وكلمة الخازن تومئ إلى وظيفته ، أى القائم على الشئون المالية فى دار الخلافة .

(٥) « معبد ، أبو عباد معبد بن وهب ، زنجى الأب ، مولى لعبد الرحمن بن قطن فى المدينة المنورة ، وعمل فى شبابه صيرفياً ، ثم احترف الموسيقى فيما بعد ، وأصبح مغنى الأمراء من بنى أمية فى المشرق ، ويصفه إسحاق الموصلى بأنه « من أحسن الناس غناء ، وأجودهم صنعة ، وأحسنهم خلقاً ، وهو فحل المغنين » . وتوفى عام ١٢٥ هـ = ٧٤٣ م .

« الغريض ، ويكنى أبا يزيد ، أو أبا مروان ، والغريض لقب معناه المغنى المجيد ، وهو من أصل بربرى ،

أيدينا كرقاع الشطرنج ، والثياب المدبجة ، وماء عذب يوجدك حقيقة طعم الحياة . وأنهار متدفقة تنساب كبطون الحيات . لها خرير يقوم ويهدأ ، ونواوير مونقة ، مختلفة الألوان . تصفقها الرياح الطيبة النسيم . وهواء سجسج ، وأخلاق جلاس تفوق كل هذا ، فى يوم ربيعى ذى شمس ظليلة . تارة يغطيها الغيم الرقيق . والمزن اللطيف ، وتارة تتجلى ، فهى كالعذراء الخفرة ، والخريدة الخجلة ، تتراءى لعاشقها من بين الأستار ثم تغيب فيها ، حذر عَيْنٍ مُراقِبَة . وكان بعضنا مطرقاً كأنه يحادث أخرى ، وذلك لسر كان له ، فعرض لى بذلك ، وتداعبنا حيناً ، فكلفت أن أقول على لسانه شيئاً فى ذلك ، فقلت بديهة ، وما كتبوها إلا من تذكّرها بعد انصرافنا وهى :

ولمّا تروَّحْنا بأكنافِ روْضـــةٍ ... مهدّلةِ الأفنانِ فى تُرْبها النَّدى
وقد ضَحكتْ أنوارُها وتضوَّعتْ ... أساوِرُها فى ظلّ فَيْءٍ ممدَّد
وأبدتْ لنا الأطيارُ حُسْنَ صَريفها ... فمن بين شاكٍ شجْوَهُ ومغرِّد
وللمـــاءِ فيما بيننـــا مُتَصرّفٌ ... وللعـــينِ مُرتادٌ هناك ولليد
وما شئتَ من أخلاقِ أروعَ ماجدٍ ... كريمِ السجايا للفخارِ مُشيِّد
تَنغَّص عندى كلُّ ماقد وصفْتُهُ ... ولم يَهْنِنى إذْ غاب عنى سيِّدى
فياليتنى فى السجنِ وهو معانقى ... وأنتمْ معاً فى قصرِ دارِ المجدّدْ(٦)
فمن رامَ منّا أن يبدِّل حَالَه ... بحالِ أخيه أو بملكٍ مُخلّد
فلا عاش إلاّ فى شقـــاءٍ ونكبةٍ ... ولا زالَ فى بُؤسىَ وحزْنٍ مردَّد

فقال هو ومن حضر : آمين آمين .

وهذه الوجوه التى عددت وأوردت فى حقائق القناعة هى الموجودة فى أهل المودة ، بلا تزيّد ولا إعياء .

---

وكان مولى للأخوات المعروفات باسم العبلات فى مكة ، وتحول فيما بعد إلى ولاء السيدة سكينة بنت الحسين ، وحين حوم والى مكة الغناء والموسيقى التجأ إلى اليمن ، وتوفى عام ٩٨ هـ = ٧١٧ م . انظر :

• فارمر : تاريخ الموسيقى العربية ، ص ٩٨ ، ترجمة الدكتور حسين نصار ، ومراجعة الدكتور عبد العزيز الأهوانى ، القاهرة ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٦ م .

(٦) قصر المجدد : من القصور التى بناها عبد الرحمن الناصر إلى جانب قصر الزهراء ، القصر الرئيسى فى مدينة الزهراء . انظر :

• المقرى : نفح الطيب ، جـ ٢ ص ١١ .

وللشعراء فن من القنوع أرادوا فيه إظهار غرضهم ، وإبانة اقتدارهم على المعانى الغامضة ، والمرامى البعيدة ، وكلٌّ قال على قدر قُوة طبعه ، إلاّ أنه تحكّم باللسان ، وتشدّق فى الكلام ، واستطال بالبيان ، وهو غير صحيح فى الأصل .

فمنهم من قنع بأن السماء تظله هو ومحبوبه والأرض تقلهما . ومنهم من قنع باستوائهما فى إحالة الليل والنهار بهما ، وأشباه هذا ، وكلٌّ مبادر إلى احتواء الغاية فى الاستقصاء ، وإحراز قصب السبق فى التدقيق .

ولى فى هذا المعنى قول لايمكن لمتعقب أن يجد بعده متناولاً ، ولا وراءه مكاناً ، مع تبيينى علة قرب المسافة البعيدة ، وهو :

وقالوا بَعيدٌ قلتُ حسبى بأنّه ... معى فى زمانٍ لايطيقُ مَحيدا
تَمُرُّ علَى الشمسُ مثلَ مُرُورِها ... به كلَّ يومٍ يَستنيرُ جديدا
فمنْ ليس بينى فى المسير وبينَه ... سوى قطعِ يومٍ هل يكونُ بعيدا
وعِلم إلهِ الخلقِ يجمعنا معاً ... كفى ذا التدانى ما أريدُ مزيدا

فبينت كما ترى أنى قانع بالاجتماع مع من أحب فى علم الله ، الذى السموات والأفلاك والعوالم كلها ، وجميع الموجودات ، لاتنفصل منه ولاتتجزأ فيه ، ولا يشذ عنه منها شىء .

ثم اقتصرت من علم الله تعالى على أنه فى زمان ، وهذا أعم مما قاله غيرى فى إحاطة الليل والنهار ، وإن كان الظاهر واحداً فى البادى إلى السامع ؛ لأن كل المخلوقات واقعة تحت الزمان ، وإنما الزمان اسم موضوع لمرور الساعات ، وقطع الفلك وحركاته وأجرامه ، والليل والنهار متولدان عن طلوع الشمس وغروبها ، وهما متناهيان فى بعض العالم الأعلى ، وليس هكذا الزمان فإنهما بعض الزمان . وإنْ كان لبعض الفلاسفة قول إن الظل متماد ، فهذا يخطئه العيان ، وعللُ الردِّ عليه بينة ليس هذا موضعها .

ثم بيّنت أنه وإن كان فى أقصى المعمور من المشرق ، وأنا فى أقصى المعمور من المغرب ، وهذا طول السكنى ، فليس بينى وبينه إلا مسافة يوم ، إذا الشمس تبدو فى أول النهار فى أول المشارق وتغرب فى آخر النهار فى آخر المغارب .

ومن القنوع فصل أورده وأستعيذ بالله منه ومن أهله ، وأحمده على ماعرّف

نفوسنا من منافرته ، وهو أن يضل العقل جُملة وتفسد القريحة ، ويتلف التمييز ، ويهون الصعب ، وتذهب الغيرة ، وتعدم الأنفة ، فيرضى الإنسان بالمشاركة فيمن يحب . وقد عرض هذا لقوم . أعاذنا الله من البلاء . وهذا لايصلح إلا مع كلبية فى الطبع ، وسقوط من العقل الذى هو عيار على ماتحته ، وضعف حس . ويؤيد هذا كلهُ حب شديد معم . فإذا اجتمعت هذه الأشياء ، وتلاحقت بمزاج الطبائع ، ودخول بعضها فى بعض ، نتج بينهما هذا الطبع الخسيس ، وتولدت هذه الصفة الرذلة ، وقام منها هذا الفعل المقذور القبيح . وأما رجل معه أقل همة ، وأيسر مروءة فهذا منه أبعد من الثريا ، ولومات وجداً ، وتقطع حبا .

وفى ذلك أقول زارياً على بعض المسامحين فى هذا الفصل :

رأيتُك رَحبَ الصدرترضى بما أتى ... وأفضلُ شىءٍ أنْ تلينَ وتَسْمَحا
فحظُّك من بعضِ السوانى مفضَّلٌ ... على أن يحوزَ المِلْكُ من أصلِها الرحى
وعضو بعيرٍ فيه فى الوزنِ ضعفُ ما ... تُقدِّره فى الجدْى فاعْصِ الذى لَحا
ولَعْبُ الذى تهوَى بسَيْفَيْنِ مُعْجِبٌ ... فكُنْ ناحياً فى نحْوِه كيفما نَحا

## ٢٦

# باب الضنى

ولا بد لكل محب صادق المودّة . ممنوع الوصل ، إمّا بيّنٍ وإمّا بهجر وإمّا بكتمان واقع لمعنى ، من أن يؤول إلى حد السقام والضنى والنحول ، وربما أضجعه ذلك . وهذا الأمر كثير جداً ، موجود أبداً ، والأعراض الواقعة من المحبة غيرُ العلل الواقعة من هجمات العلل ، ويميزها الطبيب الحاذق ، والمتفرس الناقد .

وفى ذلك أقول :

يقولُ لِيَ الطبيبُ بغير علمٍ ... تداوَ فأنتَ باهذا عليـــــلُ
ودائى ليس يدريه سوائى ... وربٌّ قادرٌ ملكٌ جليـــــــل
أأكتُمهُ ويكشفُهُ شهيقٌ ... يُلازمنى وإطراقٌ طويل
ووجهٌ شاهداتُ الحزنِ فيه ... وجسمٌ كالخيالِ ضَنىً نحيـــل
وأثبتُ ما يكون الأمرُ يوماً ... بلا شكٍّ إذا صحَّ الدليل
فقلتُ له أَبِنْ عنّى قليـــلاً ... فلا واللهِ تعرفُ ما تقول
فقال أرى نُحولاً زادَ جِدّا ... وعلَّتُكَ التى تشكو ذُبول
فقلتُ له الذبولُ تَعِلُّ منه ال ... جوارحُ وهى حُمَّى تستحيل
وما أشكو لعمرُ اللهِ حمَّى ... وإنّ الحرَّ فى جسمى قليـــل
فقال أرى التفاتاً وارتقـــاباً ... وأفكاراً وصمتاً لا يزول
وأحسبُ أنها السوداء فانظرْ ... لنفسِكَ إنّها عَرَضٌ ثقيـــل
فقلتُ له كلامُك ذا محالٌ ... فما للدّمع من عَيْنِي يَسيل
فأطـــــرقَ باهتاً ممَّـــا رآه ... ألاَ فى مِثلِ ذا بُهتَ النبيل
فقلتُ له دوائى منه دائى ... ألاَ فى مثل ذا ضلّتْ عقول
وشاهدُ ما أقولُ يرى عياناً ... فُرُوعُ النبتِ إنْ عُكِسَتْ أُصول
وتِرياقُ الأفاعى ليس شىءٌ ... سواهُ بِبرْءِ ما لدَغتْ كَفيل

وحدثنى أبوبكر محمد بن بقى الحجرى[١]. وكان حكيم الطبع عاقلا فهيما ، عن رجل من شيوخنا لايمكن ذكره ، أنه كان ببغداد فى خان من خاناتها ، فرأى ابنة لوكيلة الخان فأحبها وتزوجها . فلما خلا بها نظرت إليه وكانت بكراً ، وهو قد تكشف لبعض حاجته ، فراعها كبر أيره ، ففرت إلى أمها وتفادت منه ، فرام بها كل من حواليها أن تُرد إليه ، فأبت وكادت أنْ تموت . ففارقها ثم ندم ، ورام أن يراجعها فلم يمكنه ، واستعان بالأبهرى[٢] وغيره ، فلم يقدر أحد منهم على حيلة فى أمره ، فاختلط عقله ، وأقام فى المارستان يعانى مدة طويلة حتى نقه وسلا وما كاد . ولقد كان إذا ذكرها يتنفس الصعداء .

وقد تقدم فى أشعارى المذكورة فى هذه الرسالة ، من صفة النحول مفرّقاً مااستغنيت به عن أن أذكر هنا من سواها شيئاً خوف الإطالة . والله المعين والمستعان .

وربما ترقّت إلى أن يغلب المرء على عقله ، ويحال بينه وبين ذهنه فيوسوس .

* خبر :

وإنى لأعرف جارية من ذوات المناصب والجمال والشرف من بنات القواد ، وقد بلغ بها حُبُّ فتى من إخوانى جدا من أبناء الكتاب مبلغ هيجان المرار الأسود ، وكادت تختلط . واشتهر الأمر وشاع جدًّا حتى علمه الأباعد ، إلى أن تدوركت بالعلاج وهذا إنما يتولد عن إدمان الفكر ، فإذا غلبت الفكرة وتمكّن الخلط السوداوىّ ، خرج الأمر عن حدّ الحب إلى حدّ الوله والجنون ، وإذا أغفل التداوى فى الأول إلى المعاناة ، قَوِىَ جدًّا ، ولم يوجد له دواء سوى الوصال .

ومن بعض ما كتبت إليه قطعة ، منها :

قد سَلَبْتَ الفؤادَ منها اختلاساً أىُّ خلقٍ يعيش دون فؤاد

---

(١) شخصية لم أهتد إليها ، ولا أجد لها فيما بين يدى من مصادر خبرا .

(٢) الأبهرى : أبو بكر محمد بن عبد الله ، من كبار علماء المذهب المالكى ، وكان ثقة ثبتاً مشهوراً ، تفقه ببغداد ، وشرح المختصرين الكبير والصغير لابن عبد الحكم ، وكان القيم برأى مالك فى العراق على وقته ، وترك من المؤلفات : كتاب الأصول ، وكتاب إجماع أهل المدينة ، وكتاب الرد على المازنى ، وغير ذلك . وتوفى ببغداد عام ٣٩٥ هـ = ١٠٠٤ م . وبعد موته ضعف مذهب مالك فى العراق ، انظر :

• محمد الخضرى : تاريخ التشريع الإسلامى ص ٣٥٣ ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م .

فأَغثْها بالوصل تَحْيَ شريفاً وتَفُزْ بالثواب يَوْمَ المعاد
وأراها تَعْتاضُ إنْ دام هـــذا من خَلاخِيلها حُلَى الأقياد
أنتَ حقًّا متيَّمٌ الشمسِ حتَّى عِشْقُها بيْن ذا الورَى لك بادِ

• خبر :

وحدثنى جعفر ، مولى أحمد بن محمد بن حُدير ، المعروف بالبلبينى[٣] : أن سبب اختلاط مروان بن يحيى بن أحمد بن حدير ، وذهاب عقله ، اعتلاقه بجارية لأخيه ، فمنعها منه ، وباعها لغيره ، وما كان فى إخوته مثله ، ولا أتم أدباً منه .

وأخبرنى أبو العافية ، مولى محمد بن عباس بن أبى عبدة ، أن سبب جنون يحيى بن محمد[٤] بن أحمد بن عباس بن أبى عبدة[٥] بَيْعُ جارية له كان يجد بها وجْداً شديداً ، كانت أمه باعتها وذهبت إلى إنكاحه من بعض العامريات .

---

(٣) لم أهتد إلى شخصية جعفر المولى ، ونسبته البلبينى محرفة دون ما شك ، وتحتاج إلى تصحيح .
وبنو حدير ، وليس جدير كما فى الطبعات العربية ، سبق أن تحدثنا عنهم فى الباب الرابع عشر ، الهامش رقم ٤ .

(٤) سقطت كلمة « بن محمد » من كل الطبعات العربية .

(٥) بنو عبدة ، بيت آخر أندلسى عريق ، من البيوتات الكبيرة التى لعبت دوراً هاماً فى تاريخ الأندلس ، على أيام دولة بنى أمية ، وفى عصر الطوائف . وينسبون إلى حسان بن مالك ، أبو عبدة ، وكان جدهم الأعلى ، عبد الله بن جابر والد حسان ، مملوكاً لمروان بن الحكم ، وأبلى يوم وقيعة مرج راهط بلاء حسناً فأعتقه .
وقد دخل أبو عبدة الأندلس سنة ١١٣ هـ = ٧٣١ م ، أى قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل بخمس وعشرين سنة . ولما توطد عبد الرحمن بالأندلس استوزر أبا عبدة واستقوده ، فاستعمله على إشبيلية . وما زال أبناؤه من بعده فى نفس مكانته من أمراء وخلفاء بنى أمية ، فاستعملوهم وزراء وقواداً وعمالاً .
وقد تفرع من بيت أبى عبدة بيت بنى جهور ، أمراء قرطبة على عهد دول الطوائف ، على خلاف فى سلسلة النسب بين المؤرخين ، لا يتسع لها المجال هنا ، وكانوا أكثر الأمراء اعتدالا وعدلا ، فنعمت قرطبة على أيامهم بالاستقرار والأمن . وقد ذهبت دولتهم على يد المعتمد بن عباد أمير إشبيلية ، حين استولى عليها عام ٤٦٣ هـ = ١٠٦٤ م ، وضمها إلى إمارته . ولدينا عن بنى عبدة أخبار وافرة فى عدد من المصادر والمراجع ، انظر مثلا :
• ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ١ ص ٢٤٥ وما بعدها .
• ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ص ١٨٥ وما بعدها .
• ابن حيان : المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، ص ١٩٦ وما بعدها ، القطعة التى نشرها الدكتور محمود على مكى ، بيروت ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م .
• محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، ص ٢٠ وما بعدها .

فهذان رجلان جليلان مشهوران فقدا عقولهما واختلطا ، وصارا فى القيود والأغلال ، فأما مروان فأصابته ضربة مخطئة يوم دخول البربر قرطبة وانتهائهم إليها[٦]. فتوفى رحمه الله . وأما يحيى بن محمد فهو حىّ على حالته المذكورة فى حين كتابتى لرسالتى هذه ، وقد رأيته أنا مراراً ، وجالسته فى القصر قبل أن يمتحن بهذه المحنة . وكان أستاذى وأستاذه الفقيه أبو الخيار اللغوى[٧] ، وكان يحيى لعمرى حلواً من الفتيان نبيلا .

وأمّا مَن دون هذه الطبقة فقد رأينا منهم كثيراً ، ولكن لم نسمهم لخفائهم ، وهذه درجة إذا بلغ المشغوف إليها فقد انبتّ الرجاء ، وانصرم الطمع ، فلا دواء له بالوصل ولا بغيره ، إذ قد استحكم الفساد فى الدماغ ، وتلفت المعرفة ، وتغلبت الآفة . أعاذنا الله من البلاء بطوله ، وكفانا النقم بمنه .

---

(٦) كذا فى الأصل ، وفى كل الطبعات العربية ، ويبدو لى أنه تحريف من الناسخ ، وأن صحة الجملة : « وانتهابهم لها » .

(٧) مسعود بن سليمان بن مفلت الشنتريني ، من أهل قرطبة ، ويكنى أبا الخيار ، وكان ظاهرى المذهب ، توفى عام ٤٢٦ هـ = ١٠٣٤ م . انظر :

• ابن بشكوال : الصلة ، الترجمة رقم ١٣٥٢ .

## ٢٧

# باب السلوّ

وقد علمنا أنّ كل ماله أول فلا بد له من آخر ، حاشى نعيم الله عز وجل ، بالجنة لأوليائه ، وعذابه بالنار لأعدائه . وأمّا أعراض الدنيا فنافدة فانية ، وزائلة مضمحلة،وعاقبة كل حب إلى أحد أمرين : إمّا اختزام منية ، وإما سلوّ حادث .

وقد نجد النفس تغلب عليها بعض القوى المصرّفة معها فى الجسد ، فكمانجد نفساً ترفض الراحات والملاذ للعمل فى طاعة الله تعالى ، وللرياء فى الدنيا ، حتى تشتهر بالزهد ، فكذلك نجد نفساً تنصرف عن الرغبة فى لقاء شكلها للأنفة المستحكمة المنافرة للغدر ، أو استمرار سوء المكافأة فى الضمير . وهذا أصحّ السلوّ . وما كان من غير هذين الشيئين فليس إلا مذموماً .

والسلو المتولّد من الهجر وطوله إنما هو كاليأس ، يدخل على النفس من بلوغها إلى أملها ، فيفتر نزاعها ، ولا تقوى رغبتها .

ولى فى ذم السلو قصيدة ، منها :

إذا مارنتْ فالحىُّ مَيْتٌ بلحظِها ... وإنْ نَطقتْ قلتُ السلامُ رطابُ

كأنّ الهوَى ضيفٌ ألمّ بمهجتِى ... فلحمى طعـــامٌ والنجيعُ شرابُ

ومنها :

صبورٌ على الأزْمِ الذى العزُّ خَلْفَهُ ... ولو أمْطرتْهُ بالحريقِ سحاب

جَزوعاً من الراحاتِ إنْ أنتجتْ له ... خُمُولاً وفى بعضِ النعيمِ عذابُ

والسلو فى التجربة الجميلة ينقسم قسمين :

سلو طبيعى ، وهو المسمى بالنسيان ، يخلوبه القلب ، ويفرغ به البال ، ويكون الإنسان كأنه لم يحب قط ، وهذا القسم ربما لحق صاحبه الذم لأنه حادث عن أخلاق مذمومة ، وعن أسباب غير موجبة استحقاق النسيان . وستأتى مبيّنة إن شاء الله تعالى . وربما لم تلحقه اللائمة لعذر صحيح .

والثانى سلو تطبّعى ، قهر النفس ، وهو المسمى بالتصبّر ، فترى المرء يُظهر

التجلّد وفى قلبه أشد لدغاً من وخز الإشفى ، ولكنه يرى بعض الشر أهون من بعض ، أو يحاسب نفسه بحجة لاتصرف ولا تكسر ، وهذا قسم لا يذم آتيه ، ولا يلام فاعله ، لأنّه لايحدث إلاّ عن عظيمة ، ولا يقع إلاّ عن فادحة ، إمّا لسبب لايصبر على مثله الأحرار ، وإما لخطب لامردله تجرى به الأقدار ، وكفاك من الموصوف به أنه ليس بناس لكنه ذاكر ، وذو حنين واقف على العهد ، ومتجرّع مرارات الصبر ، والفرق العامى بين المتصبر والناسى ، أنك ترى المتصبّر وإن أبدى غاية الجلد ، وأظهر سبّ محبوبه والتحمّل عليه ، لا يحتمل ذلك من غيره .

وفى ذلك أقول قطعة ، منها :

دعونى وسبّى للحبيبِ فإنّنى ... وإن كنتُ أُبدِى الهجرَ لستُ مُعادِيا

ولكنَّ سبّى للحبيب كقولهمْ ... أجادَ فلقّاه الإلهُ الدواهيا

والناسى ضدّ هذا ، وكل هذا فعلى قدر طبيعة الإنسان وإجابتها وامتناعها ، وقوة تمكّن الحب من القلب أو ضعفه ، وفى ذلك أقول ، وسميت السالى فيه المتصبّر ، قطعة منها :

ناسِى الأحبَّة غيرُ مَن يسلوهُمُ ... حُكْمُ المقصِّرِ غيرُ حُكْمِ المقصِرِ

ماقاصِرٌ للنفسِ غير مُجيبِهَا ... ما الصابرُ المطبوعُ كالمتصبِّرِ

والأسباب الموجبة للسلو المنقسم هذين القسمين كثيرة ، وعلى حسبها وبمقدار الواقع منها يعذر السالى ويذم .

فمنها الملل ، وقد قدمنا الكلام عليه ، وإنَّ مَن كان سلوّه عن ملل فليس حبه حقيقة ، والمتسم به صاحب دعوى زائفة ، وإنما هو طالب لذة ، ومبادر شهوة ، والسالى من هذا الوجه ناسٍ مذموم .

ومنها الاستبدال ، وهو وإنْ كان يشبه الملل ففيه معنى زائد ، وهو بذلك المعنى أقبح من الأول ، وصاحبه أحق بالذم .

ومنها حياء مركّب يكون فى المحب ، يحول بينه وبين التعريض بما يجده . فيتطاول الأمر ، وتتراخى المدة ، ويبلى جديد المودة ، ويحدث السلو . وهذا وجه إنْ كان السالى عنه ناسياً فليس بمنصف ، إذ منه جاء سبب الحرمان ، وإن كان متصبّراً فليس بملوم ، إذ آثر الحياء على لذة نفسه . وقدورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

أنه قال : « الحياء من الإيمان . والبذاء من النفاق » .

وحدثنا أحمد بن محمد ، عن أحمد بن مُطَرِّف ، عن عبيد الله[١] بن يحيى ، عن أبيه ، عن مالك ، عن سلمة بن صفوان الزرقى ، عن زيد بن طلحة بن ركانة ، يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكل دين خلق ، وخلق الإسلام الحياء » .

فهذه الأسباب الثلاثة أصلها من المحب ، وابتداؤها من قِبَله ، والذمّ لاصق به فى نسيانه لمن يحب .

ثم منها أسباب أربعة هن من قبل المحبوب ، وأصلها عنده . فمنها :

الهجر ، وقد مر تفسير وجوهه . ولا بد لنا أن نورد منه شيئاً فى هذا الباب يوافقه ، والهجر إذا تطاول ، وكثر العتاب ، واتصلت المفارقة ، يكون باباً إلى السلوّ .

وليس من وصلك ثم قطعك لغيرك من باب الهجر فى شىء ، لأنه الغدر الصحيح ، ولا مَن مال إلى غيرك دون أن يتقدم لك معه صلة من الهجر أيضاً فى شىء ، إنماذاك هو النفار . وسيقع الكلام فى هذين الفصلين بعدهذا إن شاء الله تعالى .

لكن الهجر ممن وصلك ثم قطعك لتنقيل واش ، أو لذنب واقع ، أو لشىء قام فى النفس ، ولم يمل إلى سواك ، ولا أقام أحداً غيرك مقامك . والناسى فى هذا الفصل من المحبين ملوم دون سائر الأسباب الواقعة من المحبوب ؛ لأنه لاتقع حالة تقيم العذر فى نسيانه ، وإنما هو راغب عن وصلك ، وهو شىء لايلزمه . وقد تقدم من أذمة الوصال وحق أيامه ، مايُلزم التذكر ويوجب عهد الألفة ، ولكن السالى على جهة التصبّر والتجلّد هاهنامعذور ، إذا رأى الهجر متمادياً ولم ير للوصال علامة . ولاللمراجعة دلالة . وقد استجاز كثير من الناس أن يسموا هذا المعنى غدراً ، إذ ظاهرهما واحـد ، لكن علتيهما مختلفتان . فلذلك فرقنا بينهما فى الحقيقة .

وأقول فى ذلك شعراً ، منه :

فكونوا كمن لم أدرِ قطُّ فإنَّنى ... كآخرَ لم تدْرُوا ولم تَصِلوهُ

أنا كالصدَى ماقال كلٌّ أجيبهُ ... فما شِئتمُوهُ اليومَ فاعتمدوه

---

(١) فى كل الطبعات العربية « عبدالله » ، والصواب ما أثبتناه .

وأقول أيضاً قطعة . ثلاثة أبيات قلتها وأنا نائم ، واستيقظت فأضفت إليها البيت الرابع :

ألاَ لِلهِ دهرٌ كنتُ فيـــه ... أعزَّ علىَّ مِن روحى وأهلِى
فما بَرِحتْ يدُ الهجرانِ حتىَّ ... طواك بنانُها طىَّ السجلِّ
سقانى الصبرَ هجرُكُم كما قدْ ... سقانى الحبَّ وصلُكُم بِسجْلِ
وجدتُ الوصلَ أصل الوجدِ حقًّا ... وطولَ الهجْرِ أصـــلاً للتسلِّى

وأقول أيضاً قطعة ، منها :

لـــو قِيـــلَ لى مِن قَبْـــلِ ذا ... أنْ ســـوف تســـلُوا مَنْ تَوَدْ
لحـلفتُ ألـــفَ قســـامة ... لا كانَ ذا أبـــدَ الأبـــدْ
وإذا طـــــويلُ الهجـــــرِ ما ... معـــهُ من السُّـــلْوانِ بُـــدْ
لِلهِ هجـــــرُكَ إنَّـــــه ... ســـاعٍ لـــبرئِىَ مُجْتَهِـــــد
فالآنَ أعجـــبُ للســـلـ ... ـــوِّ وكنتُ أعجـبُ للجـلَدْ
وأرَى هـــــواك كجَمـــرةٍ ... تحتَ الـرَّمـــادِ لهـــا مَـــدَدْ

وأقول :

كانت جهنَّمُ فى الحشَى من حُبِّكمْ ... فلقـــد أراهـــا نارَ إبراهيمَـــا

ثم الأسباب الثلاثة الباقية التى هى من قِبَل المحبوب ، فالمتصبر من الناس فيها غير مذموم . لما سنورده إن شاء الله فى كل فصل منها .

فمنها نِفار يكون فى المحبوب ، وانزواء قاطع للأطماع .

• خبر :

وإنى لأخبرك عنى[٢] : أنى ألفت فى أيام صباى ، ألفةَ المحبة ، جارية نشأت

---

( ٢ ) هذه القصة الجميلة التى سوف يرويها ابن حزم عن حب له ، أول ما عرف من كتاب الطوق ، وشاعت على نحو واسع ، ويعود الفضل فى ذيوعها إلى المستشرق الهولندى ريهارت دوزى ( ١٨٢٠ – ١٨٨٣م ) فلم تكد عينه تقع عليها ، حتى أخذ بها ، وترجمها فى فرنسية رقيقة ، عذبة وصافية ، فى كتابه : « تاريخ مسلمى إسبانيا Histoire des musulmans d'Espagne وعنه ترجمها إلى الألمانية المستشرق الألمانى شاك Schack فى كتابه : « شعر العرب وفنهم فى إسبانيا وصقلية Poesie und Kunst der Araber in Spanien und Sizilien » . وحين ترجم الأديب الإسبانى خوان فليرا Juan Valera ( ١٨٢٧ – ١٩٠٥ ) هذا الكتاب إلى اللغة الإسبانية أعطى القصة

فى دارنا ، وكانت فى ذلك الوقت بنت ستة عشر عاماً ؛ وكانت غايةً فى حُسن وجهها وعقلها وعفافها وطهارتها وخفرها ودَماثتها ، عديمة الهزل ؛ منيعة البذل ، بديعة البشر ، مُسبلة الستر ، فقيدة الذام ، قليلة الكلام ؛ مغضوضة البصر ، شديدة الحذر ، نقية من العيوب ، دائمة القطوب ؛ حلوة الإعراض ، مطبوعة الانقباض ، مليحة الصدود ، رزينة القعود ، كثيرة الوقار ، مستلذة النفار ، لا توجه الأراجى نحوها ، ولا تقف المطامع عليها ، ولا معرس للأمل لديها ، فوجهها جالب كل القلوب ، وحاظها طارد مَن أمَّها ، تزدان فى المنع والبخل ، ما لا يزدان غيرها بالسماحة والبذل ، موقوفة على الجد فى أمرها ، غير راغبة فى اللهو .

على أنها كانت تحسن العود إحساناً جيداً ، فجنحت إليها ، وأحببتها حباً مفرطاً شديداً ، فسعيت عامين أو نحوهما أن تجيبنى بكلمة ، وأسمع من فيها لفظة ، غير ما يقع فى الحديث الظاهر إلى كل سامع ، بأبلغ السعى فما وصلت من ذلك إلى شىء ألبتة .

فلعهدى بمُصطنع كان فى دارنا لبعض ما يصطنع له فى دور الرؤساء ، تجمعت فيه دخلتنا ، ودخلة أخى رحمه الله ، من النساء ونساء فتياننا ومن لاث بنا من خدمنا ، ممن يخف موضعه ، ويلطف محله ، فلبثن صدراً من النهار ، ثم تنقلن إلى قصبة كانت فى دارنا ، مشرفة على بُستان الدار ، ويطلع منها على جميع قرطبة وفحوصها[٣] ، مفتحة الأبواب ، فصرن ينظرن من خلال الشراجيب وأنا بينهن ، فإنى لأذكر أنى كنت أقصد نحو الباب الذى هى فيه ، أنساً بقربها ، متعرضاً للدنوّ منها ، فما هو إلا أن ترانى فى جوارها فتترك ذلك الباب ، وتقصد غيره فى لطف الحركة ، فأتعمد أنا القصد إلى الباب الذى صارت إليه ، فتعود إلى مثل ذلك الفعل من الزوال إلى غيره .

وكانت قد علمت كلفى بها ، ولم يشعر سائر النسوان بما نحن فيه ، لأنهنّ كنّ عدداً كثيراً . وإذا كلهن يتنقلن من باب إلى باب ، لسبب الاطلاع من بعض الأبواب

---

العذوبة نفسها ، ورغم ذلك قام المستشرق الإسبانى الشاب فرانسيسكو بونس بويجس Francisco Pons Boigues (١٨٦٣ - ١٨٩٩ م) بترجمتها مرة ثانية من اللغة العربية مباشرة ، وقد أثارت القصة جدلاً كبيراً حول عفة ابن حزم ، وعذرية الحب فى الأندلس ، وسندرس ذلك تفصيلاً فى كتابنا قيد النشر : « دراسات عن ابن حزم » .

(٣) الفحوص : الوديان والسهول والجبال المخضرة التى تحيط بقرطبة .

على جهات لا يطلع من غيرها عليها . واعلم أنّ قيافة النساء فيمن يميل إليهن أنفذ من قيافة مدلج فى الآثار .

ثم نزلن إلى البستان ، فرغب عجائزنا[٤] وكرائمنا إلى سيدتها فى سماع غنائها ، فأمرتْها . فأخذت العود وسوته بخفر وخجل لاعهد لى بمثله ، وإن الشيء يتضاعف حسنه فى عين مستحسنه ، ثم اندفعت تغنى بأبيات العباس بن الأحنف حيث يقول :

إنّى طربتُ إلى شمس إذا غربتْ ... كانتْ مغاربُها جوفَ المقاصيرِ
شمسٌ ممثّلةٌ فى خَلْق جـــاريةٍ ... كأنّ أعطافَها طىُّ الطوامير
ليستْ من الإنس إلاّ فى مناسبةٍ ... ولامن الجنِّ إلاّ فى التصاوير
فالوجهُ جوهرةٌ والجسمُ عَبْهَرةٌ ... والريحُ عنبرةٌ والكلُّ من نور
كأنّها حين تخطو فى مجاسدها ... تخطو على البيضِ أوحدِّ القوارير

فلعمرى لكأنّ المضراب إنما يقع على قلبى ، وما نسيت ذلك اليوم ، ولاأنساه إلى يوم مفارقتى الدنيا . وهذا أكثر ماوصلتُ إليه من التمكن من رؤيتها وسماع كلامها ، وفى ذلك أقول :

لاتَلُمْها على النفارِ ومَنْعِ الـــــوَصْلِ ما هذا لها بنكيرِ
هل يكون الهلالُ غيرَ بعيدٍ أو يكونُ الغزال غيرَ نَفور

وأقول :

مَنَعْتِ جمالَ وجهكِ مُقْلَتياً ... ولفظُكِ قد ضننتِ به علياً
أراكِ نذرتِ للرحمن صـــوما ... فلستِ تكلّمين اليوم حيـّا
وقد غنّيْت للعباس شـــعراً ... هنيئا ذا لعبّاسٍ هَنياً
فلو يلقاك عباسٌ لأضحى ... لفوزٍ قالياً ويكمْ شَجياً

ثم انتقل أبى رحمه الله من دورنا المحدثة بالجانب الشرقى من قرطبة ، فى ربض الزاهرة ، إلى دورنا القديمة فى الجانب الغربى من قرطبة ببلاط مغيث ، فى اليوم

---

( ٤ ) تطلق كلمة « عجوز » فى لهجة أهل الأندلس ، على أية امرأة متزوجة ، مهما كانت شابة ، فهى تتوقف على زواج الفتاة ، دون نظر إلى السن ، فكل متزوجة — حتى لو ترمّلت أو انفصلت عن زوجها فيما بعد — عجوز . والكلمة مستخدمة بهذا المعنى ، حتى يومنا هذا ، فى المغرب والجزائر وتونس ، وبخاصة فى المناطق التى استقبلت عدداً كبيراً من مهاجرى الأندلس ، حين طردوا من وطنهم بعد سقوط دولة الإسلام هناك ، وقد تم الطرد النهائى للإسبان المسلمين عام ١٦١٣م .

الثالث من قيام أمير المؤمنين محمد المهدى بالخلافة . وانتقلت أنا بانتقاله ، وذلك فى جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلثمائة[٥]، ولم تنتقل هى بانتقالنا لأمور أوجبت ذلك .

ثم شغلنا بعد قيام أمير المؤمنين هشام المؤيد بالنكبات ، وباعتداء أرباب دولته ، وامتحنا بالاعتقال والترقيب ، والإغرام الفادح والاستتار ، وأرزمت الفتنة ، وألقت باعها ، وعمت الناس ، وخصتنا ، إلى أن تُوُفِّى أبى الوزيرُ رحمه الله ، ونحن فى هذه الأحوال ، بعد العصر يوم السبت لليلتين بقيتا من ذى القعدة عام اثنتين وأربعمائة[٦]

واتصلت بنا تلك الحال بعده ، إلى أن كانت عندنا جنازة لبعض أهلنا فرأيتها ، وقد ارتفعت الواعية[٧]. قائمة فى المأتم وسط النساء ، فى جملة البواكى والنوادب ، فلقد أثارت وجدا دفيناً ، وحرّكت ساكناً ، وذكرتنى عهداً قديماً ، وحبا تليداً، ودهراً ماضياً ، وزمناً عافياً ، وشهوراً خوالى ، وأخباراً بوالى ، ودهوراً فوانى،وأياماً قدذهبت ، وآثاراً قد دثرت ، وجدّدت أحزانى ، وهيجت بلابلى . على أنى كنت فى ذلك النهار مرزأ مصاباً من وجوه ، وما كنت نسيت ، ولكن زاد الشـــجى ، وتوقّدت اللوعة ، وتأكد الحزن ، وتضاعف الأسف ، واستجلب الوجد ما كان منه كامنا فلباه مجيباً . فقلت قطعة منها :

يُبكّى لميْتٍ ماتَ وهوَ مكرَّمُ ولَلْحَيُّ أولى بالدموع الذوارفِ
فيا عجباً من آسفٍ لامرئ ثوى وما هُوَ للمقتول ظُلماً بآسف

ثم ضرب الدهر ضربانه ، وأجلينا عن منازلنا ، وتغلب علينا جند البربر فخرجت عن قرطبة أول المحرم سنة أربع وأربعمائة[٨]، وغابت عن بصرى بعد تلك الرؤية الواحدة ستة أعوام وأكثر .

ثم دخلت قرطبة فى شوال سنة تسع وأربعمائة[٩]، فنزلت على بعض نسائنافرأيتها هنالك ، وماكدت أن أميّزها حتى قيل لى هذه فلانة ، وقد تغير أكثر محاسنها ،

---

(٥) أى من ٣١ يناير إلى ٢٨ فبراير ١٠٠٩ بالتاريخ الميلادى
(٦) ٢٠ من يونية ١٠١٢م .
(٧) الواعية : الصراخ والصوت ، لا الصارخة .
(٨) ١٣ من يولية من عام ١٠١٣م .
(٩) من ١٠ فبراير إلى ١٠ مارس ١٠١٩م .

وذهبت نضارتها ، وفنيت تلك البهجة ، وغاض الماء الذى كان يُرى كالسيف الصقيل ، والمرآة الهندية ، وذبل ذلك النوار الذى كان البصر يقصد نحوه متنوراً ، ويرتاد فيه متخيراً ، وينصرف عنه متحيراً ، فلم يبق إلا البعض المنبئ عن الكل ، والخبر المخبر عن الجميع ، وذلك لقلة اهتبالها بنفسها ، وعدمها الصيانة التى كانت غذيت بها أيام دولتنا ، وامتداد ظلنا ، ولتبذلها فى الخروج فيما لابد لها منه ، مما كانت تصان وترفع عنه قبل ذلك .

وإنما النساء رياحين متى لم تُتعاهد نقصت ، وبنية متى لم يُحتبل بها استهدمت ، ولذلك قال من قال : إنّ حسن الرجال أصدق صدقاً ، وأثبت أصلا ، وأعتق جودة ، لصبره على مالو لقى بعضه وجوه النساء لتغيرت أشد التغير ، مثل الهجير والسموم والرياح واختلاف الهواء وعدم الكَنّ .

وإنى لونلت منها أقل وصل ، وأنست لى بعض الأنس ، لخولطت طرباً ، أولمت فرحاً ، ولكن هذا النفار الذى صبرنى وأسلانى .

وهذا الوجه من أسباب السلو صاحِبُهُ فى كلا الوجهين معذور وغير ملوم ، إذ لم يقع تثبت يوجب الوفاء ، ولا عهد يقتضى المحافظة ، ولا سلف ذمام ، ولا فرط تصادق يلام على تضييعه ونسيانه .

ومنها جفاء يكون من المحبوب ، فإذا أفرط فيه وأسرف وصادف من المحب نفساً لها بعض الأنفة والعزة تَسَلَّى ، وإذا كان الجفاء يسيراً منقطعاً أودائماً ، أو كبيراً منقطعاً ، احتمل وأغضى عليه ، حتى إذا كثر ودام فلا بقاء عليه ، ولا يلام الناس لمن يحب فى مثل هذا .

ومنها الغدر ، وهو الذى لايحتمله أحد ، ولا يغضى عليه كريم ، وهو المسلاة حقاً . ولا يلام السالى عنه على أى وجه كان ناسياً أو متصبراً ، بل اللائمة لاحقة لمن صبر عليه ، ولولا أن القلوب بيد مقلّبها لاإله إلاهو ، ولا يكلف المرء صرف قلبه ، ولا إحالة استحسانه ، لولا ذاك لقلت إن المتصبِّر فى سلوه مع الغدر يكاد أن يستحق الملامة والتعنيف . ولا أَدْعَى إلى السلوّ عند الحرِّ النفس ، وذوى الحفيظة ، والسرىّ السجايا ، من الغدر ، فما يصبر عليه إلا دنئ المروءة ، خسيس الهمة ، ساقط الأنفة .

وفى ذلك أقول قطعة ، منها :

هواك فلستُ أقربُهُ غُرُورٌ وأنتِ لكلِّ من يأتى سريرُ
وما إنْ تَصْبرينَ عـــلى حبيبٍ فحولكِ منهمُ عددٌ كثيرِ
فلو كنتِ الأميرَ لما تعاطىَ لقاءَك خوفَ جمعهمُ الأميرِ
رأيتُكِ كالأمانى ما على مَن يلمُّ بها ولو كثُروا غُرورِ
ولا عنها لمن يأتى دفاعٌ ولو حَشَدَ الأنامَ لهم نفيرُ

ثم سبب ثامن ، وهو لا من المحب ولا من المحبوب ، ولكنّه من الله تعالى ، وهو اليأس ، وفروعه ثلاثة : إما موت ، وإما بيْن لايرجى معـه أوبة ، وإما عارض يدخل على المتحابيْن بعلّة المحب التى من أجلها وثق المحبوب فيغيرها .

وكل هذه الوجوه من أسباب السلو والتصبر . وعلى المحب القاسى ، فى هذا الوجه المنقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة ، من الغضاضة والذم واستحقاق اسم اللوم والغدر غير قليل .

وإن لليأس لعملا فى النفوس عجيباً ، وثلجاً لحر الأكباد كبيراً . وكل هذه الوجوه المذكورة أولا وآخراً فالتأنى فيها واجب ، والتربص على أهلها حسن ، فيما يمكن فيه التأنى ، ويصح لديه التربص ، فإذا انقطعت الأطماع ، وانحسمت الآمال فحينئذ يقوم العذر .

وللشعراء فن من الشعر يذمون فيه الباكى على الدمن ، ويثنون على المثابر على اللذات ، وهذا يدخل فى باب السلو . ولقد أكثر الحسن بن هانئ فى هذا الباب وافتخر به ، وهو كثيراً مايصف نفسه بالغدر الصريح فى أشعاره ، تحكما بلسانه ، واقتداراً على القول .

وفى مثل هذا أقول شعراً ، منه :

خلِّ هذا وبادرِ الدهرَ وارحلْ فى رياضِ الرُبَى مَطىَّ العقارِ
واحْدُها بالبديعِ من نغماتِ الـ ـعودِ كَيْماَ تُحَثُّ بالمزمارِ
إنَّ خيراً من الوقوفِ على الدا رِ وقوفُ البنانِ بالأوتارِ
وبدا النرجسُ البديعُ كصبٍّ حائرُ الطرفِ مائلاً كالمدارِ
لونُه لونُ عاشقٍ مُستهامٍ وهو لاشكَّ هائمٌ بالبَهارِ

ومعاذ الله أن يكون نسيان مادرس لنا طبعاً ، ومعصية الله بشرب الراح لنا خلقاً ، وكساد الهمة لنا صفة ، ولكن حسبنا قول تعالى ، ومن أصدق من الله قيلا فى الشعراء : « ألم تَرَ أنَّهمْ فى كلِّ وادٍ يَهيمونَ ، وأنَّهمْ يقولونَ مالا يَفْعلونَ »(١٠). فهذه شهادة الله العزيز الجبار لهم ، ولكن شذوذ القائل للشعر عن مرتبة الشعر خطأ .

وكان سبب هذه الأبيات أن ضنَى العامرية ، إحدى كرائم المظفر عبد الملك بن أبى عامر(١١)، كلفتنى صنعتها فأجبتها ، وكنت أجلها ، ولها فيها صنعة فى طريقة النشيد والبسيط رائقة جداً . ولقد أنشدتها بعض إخوانى من أهل الأدب فقال مسروراً بها : يجب أن توضع هذه فى جملة عجائب الدنيا .

فجميع فصول هذا الباب كما ترى ثمانية : منها ثلاثة هى من المحب . اثنان منها يُذمّ السالى فيهما على كل وجه ، وهما الملل والاستبدال ، وواحد منها يُذم السالى فيه ولا يذم المتصبِّر ، وهو الحياء كما قدمنا . وأربعة من المحبوب ، منها واحد يُذم الناسى فيه ولا يُذم المتصبر ، وهو الهجر الدائم ، وثلاثة لايذم السالى فيها على أى وجه كان ناسياً أو متصبِّراً ، وهى النفار والجفاء والغدر . ووجه ثامن وهو من قبل الله عز وجل ، وهو اليأس إما بموت أو بيْن أو آفة تزمن . والمتصبِّر فى هذه معذور .

وعنى أخبرك ، أنى جُبلت على طبيعتين لايهنئنى معهما عيش أبداً ، وإنى لأبرم بحياتى باجتماعهما ، وأود التثبّت من نفسى أحياناً ، لأفقد ما أنا بسببه من النكد من أجلهما ، وهما : وفاء لايشوبه تلوّن ، قد استوت فيه الحضرة والغيب ، والباطن والظاهر ، تولده الألفة التى لم تعزف بها نفسى عما دريته ، ولا تتطلع إلى عدم من صحبته . وعزة نفس لاتقرّ على الضيم ، مهتمة لأقل مايرد عليها من تغيّر المعارف ، مؤثرة للموت عليه . فكل واحدة من هاتين السجيتين تدعو إلى نفسها . وإنى لأُجنى فأحتمل ، وأستعمل الأناة الطويلة ، والتلوّم الذى لا يكاد يطيقه أحد ، فإذا أفرط

---

(١٠) سورة الشعراء ، الآيتان : ٢٢٥ و٢٢٦

(١١) لم أجد فيما بين يدى من مصادر مايزيدنى معرفة بضنى العامرية هذه ، ابنة المظفر . أما أبوها فهو الأبن الأكبر للمنصور بن أبى عامر ، وخليفته فى الحجابة ، وعرضنا له أكثر من مرة . انظر :

- الباب الأول ، الهامش رقم ٢
- الباب الثانى ، الهامش رقم ٤
- الباب الرابع ، الهامش رقم ١

الأمر وحميت نفسي تصبّرت ، وفي القلب مافيه .

وفي ذلك أقول قطعة ، منها :

لي خلّتانِ أذاقاني الأسى جُرَعاً ... وَنغّصا عيشتي واستَهْلَكا جلَدِي
كِلتاهما تُطبيني نحو جَلَّتِها ... كالصيْدِ ينشبُ بين الذئبِ والأسد
وفاءُ صدقٍ فما فارقتُ ذا مِقةٍ ... فزالَ حُزني عليه آخِـــر الأبَد
وعِزَّةٌ لا يحلّ الضيْمُ ساحتَها ... صرامةً فيه بالأموال والولدِ

ومما يشبه مانحن فيه ، وإن كان آيس منه ، أن رجلا من إخواني كنت أحللته من نفسي محلّها ، وأسقطت المؤونة بيني وبينه ، وأعددته ذخراً وكنزاً ،وكان كثير السمع من كل قائل ، فدب ذو النميمة بيني وبينه ، فحاكوا له ، وأنجح سعيهم عنده ، فانقبض عما كنت أعهده ، فتربّصت عليه مدة في مثلها أوب الغائب ، ورضى العاتب ، فلم يزدد إلا انقباضاً فتركته وحاله .

# ٢٨

# باب الموت

وربما تزايد الأمر ، ورق الطبع ، وعظم الإشفاق ، فكان سبباً للموت ومفارقة الدنيا ، وقد جاء فى الآثار : من عشق فعف فمات فهو شهيد .

وفى ذلك أقول قطعة ، منها :

فإنْ أَهْلِكْ هوًى أَهْلِكْ شهيداً ... وإنْ تَمْنُنْ بَقيتُ قَريرَ عَيْنِ

روَى هذا لنا قومٌ ثِقـــاتٌ ... نَوَوْا بالصدقِ عَنْ جَرْحٍ ومَيْنِ

ولقد حدثنى أبو السرى عمّار بن زياد[١] صاحبنا ، عمن يثق به ، أن الكاتب ابن قزمان امتحن بمحبة أسلم بن عبد العزيز ، أخى الحاجب هاشم بن عبد العزيز ، وكان أسلم غاية فى الجمال ، حتى أضجره لما به ، وأوقعه فى أسباب المنية . وكان أسلم كثير الإلمام به ، والزيارة له ، ولا علم له بأنه أصل دائه ، إلى أن توفى أسفاً ودنفاً[٢] .

---

(١) مر علينا أبو السرى عمار بن زياد مرتين فيما سبق ، مرة فى الباب الثالث ، وأخرى فى الباب السادس عشر .

(٢) أسلم بن عبدالعزيز ، اسمه كاملا : أبو الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن أسلم بن عبدالعزيز ، وينتهى به نسبه إلى إبان بن عمرو مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه . وكان أسلم من كبار فقهاء الأندلس ، جلس إلى بقى بن مخلد ، وسمعه زمنا طويلاً ، ورحل إلى الشرق عام ٢٦٠ هـ = ٨٧٣م حاجاً ، وتوقف فى القاهرة فدرس على أعلام المالكية ، ثم عاد إلى قرطبة ، وتولى فيها قضاء الجماعة مرتين وله كتاب فى « أغانى زرياب » كان مشهوراً على أيامه ، ضاع ولم يصلنا . توفى فى شهر رجب من عام ٣١٩ هـ = يوليه ٩٣١ .

• هاشم بن عبد العزيز ، أخو أسلم وكبيره ، وكان هاشم خاصاً بالأمير محمد بن عبدالرحمن : يؤثره بالوزرة ، ويرشحه مع بنيه ، ومفرداً ، للقيادة والإمارة ، وولاه كورة جيان Jaén وقد اجتمعت فيه خصال لم تجتمع فى سواه من أهل زمانه ، إلى ما كان عليه من البأس والجود والفروسية والكتابة والبيان والبلاغة ، وقرض الأشعار البديعة ، إلى ماله من القديم والبيت والسابقة . ونكبه المتنفذون محمد لأشهر من خلافته ، بعد أن ولاه الحجابة ، أى رئاسة الوزارة تقريباً ، وأظهر عنه الرضا ، لأشياء حقدها عليه فى خلافة أبيه محمد ، فحبسه ، ثم قتله ، وهدم داره ، ونكل بأسرته ، ولم تحل دار بقرطبة من بكاء عليه ، فقد كان رحمة مبسوطة للعامة والخاصة . وكان مصرعه سنة ٢٧٣ هـ = ٨٨٧م .

• ابن قزمان . أحمد بن قزمان ، الشهير بابن كليب الكاتب ، كان شاعراً أندلسياً نحوياً متفقهاً ، وكان يعشق أسلم ، وأوقف شعره عليه ، حتى فشت أخباره ، وجرت بها الألسنة ، وتنوشدت فى المحافل ، ومات بسبب حبه هذا كما فى القصة التى معنا ، ويظن أنه من أسلاف الشاعر الزجال ابن قزمان الذى عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى

قال المخبر : فأخبرت أسلم بعد وفاته بسبب علته وموته فتأسف وقال: هلا أعلمتنى ؟ فقلت : ولم ؟ قال كنت والله أزيد فى صلته وما أكاد أفارقه ، فما علىّ فى ذلك ضرر.

وكان أسلم هذا من أهل الأدب البارع والتفنن ، مع حظ من الفقه وافر ، وذا بصارة فى الشعر ، وله شعر جيد ، وله معرفة بالأغانى وتصرّفها ، وهو صاحب تآليف فى طرائق غناء زرياب وأخباره ، وهو ديوان عجيب جداً . وكان أحسن الناس خَلْقاً وخُلُقاً ، وهو والد أبى الجعد الذى كان ساكناً بالجانب الغربى من قرطبة .

وأنا أعلم جارية كانت لبعض الرؤساء ، فعزف عنها لشىء بلغه فى جهتها لم يكن يوجب السخط فباعها . فجزعت لذلك جزعاً شديداً ، وما فارقها النحول والأسف ، ولا بان عن عينها الدمع إلى أن سلت ، وكان ذلك سبب موتها . ولم تعش بعد خروجها عنه إلا أشهراً ليست بالكثيرة . ولقد أخبرتنى عنها امرأة أثق بها ، أنّها لقيتها وهى قد صارت كالخيط نحـولاً ورقة ، فقالت لها : أحسب هذا الذى بك من محبتك لفلان ؟ فتنفست الصعداء وقالت : والله لا نسيته أبداً ، وإن كان جفانى بلا سبب . وما عاشت بعد هذا القول إلا يسيراً .

وأنا أخبرك عن أبى بكر أخى رحمه الله ، وكان متزوجاً بعاتكة بنت قَنْد[٣] ، صاحب

---

* رواية ابن حزم لقصة حب ابن قزمان لأسلم بن عبدالعزيز ، موجزة جدا وغامضة ، وأشك فى أن يد الناسخ قد امتدت إليها بالتلخيص ، ربما ورعا منه ، لأن تفاصيلها تضع يدنا على جانب غير محبب للورعين .

* ولكن الضبى فى كتابه « البغية » ، وداود الأنطاكى فى كتابه « تزيين الأسواق » أوردا القصة تفصيلاً ، ولا يتسع المقام لإيرادها هنا ، ولكن سوف نلزمها فى كتابنا : « دراسات عن ابن حزم » . انظر :

* الضبى : بغية الملتمس ، الترجمة رقم ٤٦٢ .
* داود الأنطاكى : تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ، ص ١٦٢ ، القاهرة ١٣٣٨ هـ .
* ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ١ ، ص ١٣٧ وما بعدها .
* ابن سعيد : المغرب ، جـ٢ ص ٩٤

* Castejón Calderón : op. cit., p. 146.

(٣) ليس لدينا معلومات عن هذه الأسرة غير مايقدمه ابن حزم هنا ، وكل مانعرفه عنها ، أن عاتكة كانت رائعة الجمال ، وأن أباها قند كان مولى عبد الرحمن الناصر ، وأنه أصبح فى عهد المنصور بن أبى عامر قائد الثغر الأعلى ، ومقره مدينة سالم ، ويجب ألا نخلط بينه وبين مولى آخر لعبد الرحمن الناصر ، كان يحمل الاسم نفسه ، قند الأكبر ، وكان قائماً على خطة المزاريق ، وتوفى عام ٣٠٤ هـ = ٩١٦ م . انظر :

* ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٢ ص ٢٣٠

* Asin Palacios : Op. Cit.' Vol. I, p. 38, nota 34.

الثغر الأعلى أيام المنصور أبي عامر محمد بن عامر ، وكانت التي لا مرمى وراءها في جمالها وكريم خلالها ، ولا تأتي الدنيا بمثلها في فضائلها ، وكانا في حد الصبا وتمكن سلطانه ، تُغْضِبُ كل واحد منهما الكلمة التي لا قدر لها ، فكانا لم يزالا في تغاضب وتعاتب مدة ثمانية أعوام .

وكانت قد شفّها حبه ، وأضناها الوجد فيه ، وأنحلها شدة كلفها به، حتى صارت كالخيال المتوسم دنفا ، لايلهيها من الدنيا شيء ، ولا تسر من أموالها ، على عَرْضها وتكاثرها ، بقليل ولا كثير ، إذا فاتها اتفاقه معها وسلامته لها ، إلى أن توفي أخي رحمه‌الله في الطاعون الواقع بقرطبة في شهر ذي القعدة سنة إحدى وأربعمائة[٤]، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، فما انفكت منذ بان عنها من السقم الدخيل والمرض والذبول إلى أن ماتت بعده بعام ، في اليوم الذي أكمل هو فيه تحت الأرض عاماً .

ولقد أخبرتني عنها أمها وجميع جواريها أنها كانت تقول بعده : ما يقوِّي صبري ، ويمسك رمقي في الدنيا ساعة واحدة بعد وفاته ، إلاّ سروري وتيقني أنه لايضمه وامرأة مضجع أبداً ، فقد أمنتُ هذا الذي ماكنتُ أتخوّف غيره ، وأعظم آمالي اليوم اللحاق به .

ولم يكن له قبلها ولا معها امرأة غيرها ، وهي كذلك لم يكن لها غيره ، فكان كما قدرت ، غفر الله لها ورضي عنها .

وأمّا خبر صاحبنا أبي عبدالله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين التميمي ، المعروف بابن الطبني[٥]: فإنه كان رحمه الله كأنّه قد خُلِقَ الحسن على مثاله ، أوخُلِقَ

---

( ٤ ) يونيه ١٠١١م .

( ٥ ) بيت الطبني ، أسرة قرطبية شهيرة ، ينسبون إلى طبنة ، قاعدة منطقة الزاب في المغرب ، وتمتد جنوب مدينة قسنطينة الحالية ، بين شط هدنة وجبال أوراس ، ونزلت بها جماعات من مهاجرة العرب منذ أيام الفتح الأولى ، واختلطوا بالنازلين هناك من البربر ، ومعظمهم من هوارة . وكان الزاب الأعلى من الناحية الإدارية تابعاً لولاية أفريقية ، أي تونس الحالية ، ولهذا كان عربه يعدون أنفسهم من عرب أفريقية . أما الزاب الأسفل فكان معدودا في المغرب الأوسط ، أي الجزائر الحالية .

وكان أول من طرأ على الأندلس منهم ، أبو مضر زيادة الله بن علي التميمي ، على أيام المنصور بن أبي عامر ، ومالبث أبو مضر أن أصبح بأدبه وظرفه نديم المنصور . وقد استقر به المقام في قرطبة ، وترك خلفا صالحاً وكثيراً ، فكان من أبنائه وأحفاده شعراء وأدباء وعلماء ورجال دولة ، وقد جمع ابن بسام في كتابه : « الذخيرة » شطراً كبيراً من أشعارهم . وأخبارهم متناثرة في شتى مصادر تاريخ الأندلس . انظر مثلا :

من نفس كل من رآه ، لم أشهد له مثلا حُسْناً وجمالا وخلقاً ، وعفة وتصاوناً وأدباً ، وفهماً وحلماً ووفاء ، وسؤدداً وطهارة وكرماً ، ودماثة وحلاوة ولباقة ، وإغضاء وعقلا ومروءة ، وديناً ودراية ، وحفظاً للقرآن والحديث والنحو واللغة ، وشاعراً مفلقاً ، حسن الخط ، وبليغاً مفنّناً ، مع حظ صالح من الكلام والجدل ، وكان من غلمان أبي القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي ، أستاذي في هذا الشأن .

وكان بينه وبين أخيه[٦] اثنا عشر عاماً في السن ، وكنت أنا وهو متقاربين في الأسنان ، وكنا أليفين لانفترق ، وخدنين لايجرى الماء بيننا إلاّ صفاء ، إلى أن ألقت الفتنة جرانها ، وأرخت عزاليها ، ووقع انتهاب جند البربر منازلنا في الجانب الغربي بقرطبة ، ونزولهم فيها . وكان مسكن أبي عبدالله في الجانب الشرقي ببلاط مغيث ، وتقلّبت بي الأمور إلى الخروج عن قرطبة ، وسكنى مدينة المرية ، فكنا نتهادى النظم والنثر كثيراً ، وآخر ماخاطبني به رسالة في درجها هذه الأبيات :

ليتَ شِعْرى عن حَبْلِ وُدِّكَ هل يـ ... ـسِي جديداً لدىَّ غَيْرَ رَثِيثِ
وأراني أرى مُحيَّاكَ يومـــاً ... وأناجيـك في بَلاَط مُغيث
فلو انَّ الديارَ يُنْهِضُهاَ الشـــوْ ... قُ أتاكَ البلاطُ كالمستغيثِ
ولو أنَّ القلوبَ تَسْطيعُ سيْراً ... سار قلبي إليكَ سَيْرَ الحثيث
كُنْ كما شئتَ لى فإنى مُحِبٌّ ... ليس لى غيرُ ذكركمْ من حديث
لَكَ عندِى وإنْ تناسيتَ عَهْدٌ ... فى صميمِ الفؤادِ غيرُ نكيثِ

فكنّا على ذلك إلى أن انقطعت دولة بنى مروان ، وقُتل سليمان الظافر أمير المؤمنين[٧] وظهرت دولة الطالبية[٨] ، وبويع على بن حمود الحسنى ، المسمى بالناصر

---

• ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الثانى ، ص ٥٢ وما بعدها
• ابن بشكوال : الصلة ، الترجمة رقم ٤٧٤ .
• ابن سعيد : المغرب ، جـ١ ، ص ٩٢ وما بعدها .
• الضبى : بغية الملتمس ، الترجمة رقم ٣١٦ .

(٦) في الأصل ، وفي كل الطبعات العربية « . . وبين أبيه » ، ولا يتأتى ، فصوّبتها على نحو ما في الأصل .

(٧) يلقب عادة بسليمان المستعين . انظر :
• الباب السابع ، الهامش رقم ٢

(٨) الطالبية ، نسبة إلى الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، لأنهم ينتسبون إلى أدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة في المغرب ، وكان إدريس يذهب بنسبه إلى الإمام على ، فهم علويون إذن ، وكانت بداية دولتهم في

بالخلافة ، وتغلب على قرطبة وتملّكها ، واستمر فى قتاله إياها بجيوش المتغلّبين والثوّار فى أقطار الأندلس .

وفى إثر ذلك نكبنى خيران[٩] صاحب المرية ، إذ نقل إليه من لم يتق الله عز وجل من الباغين – وقد انتقم الله منهم – عنى وعن محمد بن إسحاق صاحبى[١٠] ، أنانسعى فى القيام بدعوة الدولة الأموية . فاعتقلنا عند نفسه أشهرا ، ثم أخرجنا على جهة التغريب ، فصرنا إلى حصن القصر[١١] ، ولقينا صاحبه أبو القاسم عبدالله بن محمد بن هذيل التجيبى ، المعروف بابن المُقفَّل[١٢] . فأقمنا عنده شهوراً فى خير دار إقامة ، وبين خير أهل وجيران ، وعند أجل الناس همة . وأكملهم معروفاً ، وأتمهم سيادة .

ثم ركبنا البحر قاصدين بلنسية عند ظهور أمير المؤمنين المرتضى عبد الرحمن بن محمد ، وساكنّاه بها . فوجدت ببلنسية أبا شاكر عبد الواحد بن محمد بن مَوْهِب

---

الأندلس الأخوين عليّا والقاسم ابنى حمود بن أبى العيش ، وقد عينهما الخليفة المستعين حاكمين على منطقة العدوة ، أى مضيق جبل طارق بشاطئيه الأوربى والإفريقى ، فاستقر علىّ حاكماً فى مدينة سبتة ، وذهب القاسم حاكماً على الجزيرة الخضراء ، ولما قوى مركزهما أخذا يمهدان للاستيلاء على الخلافة. وهكذا اقتحم على بن حمود مدينة قرطبة فى ٢٢ محرم ٤٠٧ هـ = أول يولية ١٠١٦ م ، وعزل المستعين وقتله ، وأخاه عبدالرحمن وأباه الحكم ، وتولى الخلافة متلقباً بالناصر لدين الله . وكان ذلك بداية غروب شمس الخلافة فى الأندلس . انظر :

- ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ ٢ ص ٢٦
- ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ ٣ ص ١١٩

* Seco de Lucena Luis : Los Hammudies, Senores de Màlaga y Algeciras, Màlaga 1955.

(٩) عن خيران صاحب المرية ، انظر : الباب ٢٤ الهامش الثانى .

(١٠) عن محمد بن إسحاق ، انظر :

- الباب الثانى ، الهامش رقم ٤
- والباب الخامس ، الهامش رقم ١

(١١) حصن القصر Aznalcàzar قرية صغيرة ، ماتزال قائمة حتى يومنا هذا فى مقاطعة إشبيلية .

(١٢) لم أهتد له إلى ترجمة فيما بين يدى من مصادر

(١٣) بلنسية Valencia مدينة ، ومحافظة ، كبيرة فى شرق إسبانيا ، على شاطئ البحر المتوسط ، وهى مشهورة بخصبها ، ومزارعها الواسعة ، وبساتينها المثمرة ، وقد تأصلت فيها الحضارة العربية منذ وقت مبكر ، وازدهرت على نحو واضح ، وكانت منذ أيام الفتح الأولى مهبط عدد كبير من الأسر العربية العريقة ، ومولد عدد من كبار الشعراء ، ، تميزوا بنهج فنى محدد ، فهم يصدرون فى إلهامهم عن الطبيعة ، ومنها استمدوا مادة إبداعهم الشعرى ، كابن خفاجة ، وابن الزقاق ، والرصافى وابن عميرة ، وغيرهم . وتعرضت لغزو السيد القنبيطور ، فاقترن اسمه بها ، وقد سقطت نهائياً فى يد الكاثوليك بقيادة خايمة الأول ملك أرجون الملقب بالفاتح Jaime I el Conquistador سنة ٦٣٦ هـ = ١٢٣٨ م . انظر :

القبرى(١٤)صديقنا . فنعى إلىّ أبا عبدالله بن الطبنى وأخبرنى بموته رحمه الله . ثم أخبرنى بعد ذلك بمديدة القاضى أبو الوليد يونس بن محمد المُرادى ، وأبوعمرو أحمد ابن محرز(١٥): أن أبا بكرمصعب بن عبدالله الأزدى . المعروف بابن الفرضى(١٦) . حدّثهما . وكان والد مصعب هذا قاضى بلنسية أيام أمير المؤمنين المهدى . وكان مصعب لنا صديقاً وأخاً وأليفاً . أيام طلبنا الحديث على والده . وسائر شيوخ المحدّثين بقرطبة ، قالا : قال لنا مصعب :

سألت أبا عبدالله بن الطبنى عن سبب علته . وهو قد نحل . وخفيت محاسن وجهه بالضنى . فلم يبق إلا عين جوهرها . المخبر عن صفاتها السالفة . وصار يكاد أن يطيّره النفس . وقرب من الانحناء . والشجاباد على وجهه . ونحن منفردان . فقال

---

- عبد المنعم الحميرى : الروض المعطار ، ص ٤٧
- غرسية غومث : مع شعراء الأندلس والمتنبى ، ص ١٦٩ وما بعدها ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى ، القاهرة ١٩٧٤
- الطاهر أحمد مكى : ملحمة السيد ، ص ١٢٣ وما بعدها ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٧٠ .

* Piles Ibárs Andrés : Valencia árabe. 2 tomos. Valencia, 1901.
* Ribera y Tarrago Julián : Historia arabe Valenciana, en : Disertaciones y opusculos. p. 177 ss., Madrid 1928.

(١٤) أبوبكر عبد الواحد بن محمد بن موهب القبرى ، وليس عبدالرحمن ، أو العنبرى ، كما ورد فى كل الطبعات العربية ، نسبة إلى بلدة قبرة Cabra ، وتقع جنوبى قرطبة ، وإليها ينسب مقدم بن معافى القبرى ، مخترع الموشحات.وقد ترجم الضبى فى كتابه« البغية » لأبى بكر ، وذكر أنه فقيه ومحدث وأديب وخطيب وشاعر ، وأورد له أبياتا من الشعر برواية ابن حزم ، وأنه نشأ بقرطبة ، وسكن شاطبة ، وولى الأحكام بها ، وتوفى ٤٥٦ هـ = ١٠٦٤ م . انظر :

- الضبى : البغية ، الترجمة رقم ١١٠٧ .
- ابن بشكوال : الصلة ، الترجمة رقم ٨٢٤ .
- الحميدى : جذوة المقتبس ، الترجمة رقم ٦٥٥

(١٥) عن أبى الوليد يونس بن محمد المرادى ، انظر :

- الباب الثالث والعشرين ، الهامش رقم ٢ .

وأما أبوعمرو أحمد بن محرز ، فلم أستطع الاهتداء له إلى أية ترجمة فى المصادر المختلفة .

(١٦) مصعب بن عبدالله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدى ، يكنى أبا بكر ، من أهل قرطبة ، وهو ولد القاضى أبى الوليد بن الفرضى ، صاحب كتاب : « تاريخ علماء الأندلس » ، الذى قتل فى فتنة قرطبة .

وكان مصعب أديباً إخبارياً محدثاً شاعراً ، ولى الحكم بالجزيرة وتوفى بعد عام ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م ، انظر :

- الضبى : البغية ، الترجمة رقم ١٣٧٨
- ابن بشكوال : الصلة ، الترجمة رقم ١٣٨٠

لى : نعم ، أخبرك أنى كنت فى باب دارى بغدير ابن الشماس[١٧] فى حين دخول على بن حمود قرطبة ، والجيوش واردة عليها من الجهات تتسارب . فرأيت فى جملتهم فتى لم أقدر أن للحسن صورة قائمة حتى رأيته . فغلب على عقلى ، وهام به لبى ، فسألت عنه فقيل لى : هذا فلان بن فلان ، من سكان جهة كذا ، ناحية قاصية عن قرطبة ، بعيدة المأخذ ، فيئست من رؤيته بعد ذلك . ولعمرى يا أبا بكر لا فارقنى حبّه أو يوردنى رمسى .

فكان كذلك ، وأنا أعرف ذلك الفتى وأدريه ، وقد رأيته ، لكنى ضربت عن اسمه لأنه قد مات . والتقى كلاهما عند الله عز وجل ، عفا الله عن الجميع .

هذا على أنّ أبا عبدالله ، أكرم الله نزله ، ممن لم يكن له ولهٌ قط ، ولا فارق الطريقة المثلى : ولا وطئ حراماً قط ، ولا قارف منكراً ، ولا أتى منهياً عنه يخل بدينه ومروءته ، ولا قارض من جفا عليه ، وما كان فى طبقتنا مثله .

ثم دخلت أنا قرطبة ، فى خلافة القاسم بن حمود المأمون[١٨]، فلم أقدم شيئاً على قصد أبى عمرو القاسم بن يحيى التميمى[١٩] لمأخى عبدالله رحمه الله . فسألته عن حاله ، وعزيته عن أخيه، وما كان أولى بالتعزية عنه منى . ثم سألته عن أشعاره ورسائله ، إذ كان الذى عندى منه قد ذهب بالنهب فى السبب الذى ذكرته فى صدر هذه الحكاية ، فأخبرنى عنه أنه لما قربت وفاته ، وأيقن بحضور المنية ، ولم يشكّ فى الموت ، دعا بجميع شعره ، وبكتبى التى كنت خاطبته أنا بها ، فقطعها كلّها ، ثم أمر بدفنها . قال أبو عمرو : فقلت له : يا أخى دعها تبقى . فقال : إنى أقطعها وأنا أدرى أنى أقطع فيها أدباً كثيراً ، ولكن لو كان أبو محمد بعينى حاضراً لدفعتها إليه ، تكون عنده تذكرة لمودتى ، ولكنى لا أعلم أى البلاد أضمرته ، ولا أحىّ هو أم ميت . وكانت نكبتى اتصلت به ، ولم يعلم مستقرى ، ولا إلى ما آل إليه أمرى .

---

(١٧) فى كل الطبعات العربية ، وفى الأصل : « بقديد الشماس » وصححها ليفى بروفنسال : « بغدير ابن الشماس » ، وهو حى فى قرطبة انظر :

* Lévi-Provençal : op. cit., vol V, p. 247, nota 128.

(١٨) انظر الهامش رقم ٨ من هذا الباب .

(١٩) أبو عمرو القاسم بن يحيى التميمى ، أخو أبى عبدالله محمد بن يحيى التميمى ، الذى تحدثنا عنه فى الهامش رقم ٥ من هذا الباب ، وأورد له الضبى فى البغية ترجمة موجزة تحت رقم ١٣١١ .

فمن مراثيّ له قصيدة ، منها :

لئن سَتَرَتْكَ بطـــونُ اللحودِ فَوَجْدِيَ بَعْـــــدَكَ لا يَسْتَتِرْ
قَصَدتُ ديارَكَ قصْدَ المشُوقِ وللدهْرِ فينا كُرُورٌ ومَرْ
فألفيتُهاَ منكَ قفـــــراً خلاءً فأسكبتُ عَيْنِي عليكَ العِبَرْ

وحدثني أبوالقاسم الهمذاني[٢٠] رحمه الله قال : كان معنا ببغداد أخ لعبدالله ابن يحيى بن أحمد دحون الفقيه[٢١] ، الذي عليه مدار الفتيا بقرطبة ، وكان أعلم من أخيه وأجل مقداراً ، ما كان في أصحابنا ببغداد مثله ، وأنه اجتاز يوماً بدرب قطنة ، في زقاق لا ينفذ ، فدخل فيه فرأى في أقصاه جارية واقفة مكشوفة الوجه ، فقالت له : ياهذا ، إن الدرب لاينفذ ، قال : فنظر إليها فهام بها . قال : وانصرف إلينا فتزايد عليه أمرها . وخشي الفتنة فخرج البصرة فمات بها عشقاً رحمه الله ، وكان فيما ذكر من الصالحين .

• **حكاية** :

لم أزل أسمعها عن بعض ملوك البربر ، أن رجلاً أندلسياً باع جارية ، كان يجد بها وجدا شديد ، لفاقة أصابته ، من رجل من أهل ذلك البلد ، ولم يظن بائعها أن نفسه تتبعها ذلك التتبع . فلما حصلت عند المشترى كادت نفس الأندلسي تخرج . فأتى إلى الذي ابتاعها منه . وحكّمه في ماله أجمع وفي نفسه ، فأبى عليه . فتحمل

(٢٠) سوف يتحدث عنه ابن حزم فيما بعد ، في الباب التاسع والعشرين ، الهامش رقم ٣١ ، وسوف يذكرلنا أنه كان حيّا في قرطبة عام ٤٠١ هـ = ١٠١٠ م ، ومع ذلك يتساءل غرسية غومث ، هل هو أبوالقاسم محمد بن علي ابن البواق الهمداني ، الذي ترجم له الضبي في كتابه « البغية » ، رقم ٢٣٥ ، وأورد عنه سطوراً قليلة ، وذكر له أبياتاً من الشعر في الزهد ، وقال عنه إنه توفي ٣٩٥ هـ = ١٠٠٤ م ؟

(٢١) عبد الله بن يحيى بن أحمد الأموي ، يعرف بابن دحون ، ويكنى أبا محمد ، من أهل قرطبة ، كان من جلة الفقهاء وكبارهم ، عالماً بالفتوى ، عارفاً بالشروط وعللها ، بصيراً بالأحكام ، مشاوراً فيها . وكان أستاذاً لابن حزم ، وتوفي ٤٣١ هـ = ١٠٤٠ م .

وثمة فقيه آخر كان يعرف بابن دحون أيضاً ، وله المكانة نفسها ، ولكنه توفي ٢٣١هـ = ٨٤٥م . انظر :
• ابن بشكوال : الصلة ، الترجمة رقم ٥٩٠

* Asin Palacios : Op. Cit., Vol. I, p. 108.
* Castejàn Calderón : Op. Cit., p. 60.

عليه بأهل البلد فلم يسعف منهم أحد . فكاد عقله أن يذهب . ورأى أن يتصدى إلى الملك . فتعرض له وصاح ، فسمعه فأمر بإدخاله ، والملك قاعد فى علية له مشرفة عالية فوصل إليه . فلما مثل بين يديه أخبره بقصته ، واسترحمه وتضرع إليه . فرق له الملك . فأمر بإحضار الرجل المبتاع فحضر ، فقال له : هذا رجل غريب . وهو كما تراه . وأنا شفيعه إليك فأبى المباع وقال : أنا أشد حبًّا لها منه . وأخشى إن صرفتها إليه أن أستغيث بك غداً وأنا فى أسوأ من حالته .

فعرض له الملك ومن حواليه من أموالهم ، فأبى ولج واعتذر بمحبته لها . فلما طال المجلس . ولم يروا منه ألبتة جنوحاً إلى الإسعاف ، قال للأندلسى : ياهذا . مالك يبدى أكثر مما ترى . وقد جهدت لك بأبلغ سعى ، وهو تراه يعتذر بأنه فيها أحب منك وأنه يخشى على نفسه شرًّا مما أنت فيه ، فاصبر لما قضى الله عليك . فقال له الأندلسى : فمالى بيدك حيلة ؟ قال له : وهل هاهنا غير الرغبة والبذل ، ما أستطيع لك أكثر .

فلما يئس الأندلسى منها جمع يديه ورجليه ، وانصب من أعلى العلية إلى الأرض ، فارتاع الملك وصرخ . فابتدر الغلمان من أسفل ، فقضى أنه لم يتأذ فى ذلك الوقوع كبير أذى . فصعد به إلى الملك ، فقال له : ماذا أردت بهذا ؟ فقال : أيها الملك . لاسبيل لى إلى الحياة بعدها . ثم همَّ أن يرمى نفسه ثانية فَمُنع .

فقال الملك : الله أكبر . قد ظهر وجه الحكم فى هذه المسألة . ثم التفت إلى المشترى فقال : ياهذا . إنك ذكرت أنك أودّ لها منه . وتخاف أن تصير فى مثل حاله . فقال : نعم . قال : فإن صاحبك هذا أبدى عنوان محبته . وقذف بنفسه يريد الموت ، لولا أن الله عز وجل وقاه فأنت قم فصحح حبك . وترام من أعلى هذه القصبة . كما فعل صاحبك ، فإن مت فبأجلك ، وإن عشت كنت أولى بالجارية ، إذ هى فى يدك ، ويمضى صاحبك عنك . وإن أبيت نزعت الجارية منك رغما ودفعتها إليه

فتمنّع ثم قال : أترامى . فلما قرب من الباب ، ونظر إلى الهوى تحته رجع القهقرى ، فقال له الملك : هو والله ماقلت ، فهمّ ثم نكل ، فلما لم يقدم قال له الملك : لاتتلاعب بنا ، ياغلمان ، خذوا بيديه ، وارموا به إلى الأرض . فلما رأى العزيمة قال : أيها الملك ، قد طابت نفسى بالجارية . فقال : جزاك الله خيرا . فاشتراها منه . ودفعها إلى بائعها : وانصرفا .

# ٢٩

# باب قبح المعصية

قال المصنف رحمه الله تعالى :

وكثير من الناس يطيعون أنفسهم ، ويعصون عقولهم ، ويتبعون أهواءهم ، ويرفضون أديانهم ، ويتجنبون ماحض الله تعالى عليه ورتّبه فى الألباب السليمة ، من العفة ، وترك المعاصى ، ومقارعة الهوى ، ويخالفون الله ربهم ، ويوافقون إبليس فيما يحبه من الشهوة المعطبة ، فيواقعون المعصية فى حبهم . وقد علمنا أن الله عزوجل ركب فى الإنسان طبيعتين متضادتين :

إحداهما لاتشير إلاّ بخير ، ولا تحض إلاّ على حسن ، ولا يتصور فيها إلاّ كل أمر مرضى ، وهى العقل ، وقائده العدل .

والثانية ضدٌّ لها لا تشير إلاّ إلى الشهوات ، ولا تقود إلاّ إلى الردَى ، وهى النفس ، وقائدها الشهوة ، والله تعالى يقول : « إنَّ النفسَ لأمَّارةٌ بالسوءِ »[١] وكنَّى بالقلب عن العقل فقال : « إنَّ فى ذلك لذكرى لمنْ كانَ له قلبٌ أو ألْقَى السمْعَ وهو شهيدٌ »[٢]. وقال تعالى : « وحبَّب إليْكُمُ الإيمانَ وزيَّنَهُ فى قُلوبِكُمْ »[٣] وخاطب أولى الألباب .

فهاتان الطبيعتان قطبان فى الإنسان ، وهما قوّتان من قوى الجسد الفعال بهما ، ومطرحان من مطارح شعاعات هذين الجوهرين العجيبين الرفيعين العلويين ، ففى كل جسد منهما حظه ، على قدر مقابلته لهما فى تقدير الواحد الصمد ، تقدّست أسماؤه ، حين خلقه وهيّأه . فهما يتقابلان أبداً ، ويتنازعان دأباً ، فإذا غلب العقلُ النفس ارتدع الإنسان ، وقمع عوارضه المدخولة ، واستضاء بنور الله ، واتبع العدل ، وإذا غلبت النفسُ العقل عميت البصيرة ، ولم يتضح الفرق بين الحسن والقبيح ، وعظم الالتباس ، وتردى فى هوة الردى ومهواة الهلكة . وبهذا حسن الأمر والنهى .

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٥٣ .

(٢) سورة ق ، الآية ٣٧ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية ٧ .

ووجب الاكتمال ، وصح الثواب والعقاب ، واستحق الجزاء .

والروح واصل بين هاتين الطبيعتين ، وموصل مابينهما ، وحامل الالتقاء بهما . وإن الوقوف عند حد الطاعة لمعدوم إلاّ مع طول الرياضة ، وصحة المعرفة ، ونفاذ التمييز ومع ذلك اجتناب التعرض للفتن . ومداخلة الناس جملة ، والجلوس فى البيوت ، وبالحرى أن تقع السلامة المضمونة أو يكون الرجل حصوراً لا أرب له فى النساء ، ولا جارحة له تعينه عليهن قديماً . وورد : « من وقى شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقى شر الدنيا بحذافيرها » . واللقلق : اللسان ، والقبقب : البطن ، والذبذب : الفرج .

ولقد أخبرنى أبو حفص الكاتب ، وهو من ولدروح بن زنباع الجذامى ، أنه سمع بعض المتسمين باسم الفقه من أهل الرواية المشاهير ، وقد سئل عن هذا الحديث فقال : القبقب : البطيخ .

وحدثنا أحمد بن محمد بن أحمد ، حدثنا وهب بن مسرة ، ومحمد بن أبى دَلِيم عن محمد بن وضاح ، عن يحيى بن يحيى[٤] ، عن مالك بن أنس ، عن

---

( ٤ ) تضم سلسلة الإسناد هذه خمسة من الأندلسيين :

- أحمد بن محمد بن أحمد بن برد ، أبو عمر ، ويقول الحميدى عنه فى « الجذوة » إنه رآه بالمرية بعد عام ٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م ، يزور ابن حزم فى بيته ، أثناء إقامة هذا هناك ، أكثر من مرة ، وأورد له الضبى فى « البغية » أبياتاً رقيقة من الشعر ، فى وصف الطبيعة وفى الغزل ، وسنلتقى به ثانية بعد قليل فى حديث آخر . انظر :
- الضبى ، البغية ، الترجمة رقم ٣٥٤ .
- وهب بن مسرة بن مفرج التميمى ، يكنى أبا الحسن ، من وادى الحجارة Guadaljara مدينة قائمة حتى الآن شرق مدريد ، درس الحديث ، وأصبح أستاذاً يدرس مدونة سحنون ، ومسند ابن أبى شيبة ، وأورد لنا فهرسة بشيوخة ، وتفسيراً للقرآن ، وضاعت كلها فيما أعلم . وتوفى عام ٣٤٦ هـ = ٩٥٧ م ، انظر :
- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، الترجمة رقم ١٥١٦
- عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبى دليم ، يكنى أبا محمد ، من قرطبة ، عمل قاضياً لمدينة إليبرة ، ثم المرية ، وشغل منصب القضاء فى قرطبة ، حيث توفى عام ٣٥١ هـ = ٩٦٢م . انظر :
- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ، الترجمة رقم ٧٠٥
- محمد بن وضاح ، أبو عبدالله ، قرطبى المولد والنشأة ، وقف نفسه على درس الحديث وتدريسه ، ورحل إلى المشرق ، ودرس على الإمام أحمد بن حنبل ، وجاء معه فى أحد رحلاته بمسند ابن أبى شيبة ، وكتبا أخرى فى الحديث ، عمر طويلاً ، وتوفى عام ٢٨٧ هـ = ٩٠٠ م ، انظر :
- الضبى : البغية ، الترجمة رقم ٢٩١ .
- يحيى بن يحيى الليثى ، أشهر الفقهاء وأقواهم نفوذاً فى عصر الإمارة ، ينحدر من أصول بربرية ، ولد فى قرطبة ،

زيد بن أسلم . عن عطاء بن يسار : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى حديث طويل : « من وقاه الله شر اثنتين دخل الجنة . فسئل عن ذلك فقال : مابين لحييه وما بين رجليه »

وإنى لأسمع كثيراً ممن يقول : الوفاء فى قمع الشهوات فى الرجال دون النساء ، فأطيل العجب من ذلك . وإن لى قولا لا أحول عنه : الرجال والنساء فى الجنوح إلى هذين الشيئين سواء . وما رجل عرضت له امرأة جميلة بالحب ، وطال ذلك ، ولم يكن ثمّ من مانع إلا وقع فى شرك الشيطان ، واستهوته المعاصى ، واستفزّه الحرص ، وتغوّله الطمع . وما امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة إلا وأمكنته ، حتماً مقضيا ، وحكما نافذا لامحيد عنه ألبتة .

ولقد أخبرنى ثقة صدق من إخوانى ، من أهل التمام فى الفقه والكلام والمعرفة ، وذو صلابة فى دينه ، أنه أحبّ جارية نبيلة أديبة ذات جمال بارع ، قال : فعرضتُ لها فنفرت ، ثم عرضتُ فأبت . فلم يزل الأمر يطول وحبها يزيد ، وهى لاتطيع ألبتة ، إلى أن حملنى فرط حبى لها مع عمَى الصبا على أن نذرتُ أنى متى نلت منها مرادى أنْ أتوب إلى الله توبة صادقة . قال : فما مرّت الأيام والليالى حتى أذعنت بعد شماس ونفار . فقلت له : أبا فلان ، وفيت بعهدك ؟ فقال . أى والله ، فضحكت .

وذكرت بهذه الفعلة مالم يزل يتداول فى أسماعنا ، من أن فى بلاد البربر التى تجاور أندلسنا ، يتعهد الفاسق على أنه إذا قضى وطره ممن أراد أن يتوب إلى الله ،

---

ورحل إلى المشرق طلباً للعلم ، وتتلمذ على الإمام مالك ، وقد أعجب الأستاذ بطالبه وأطلق عليه لقب « عاقل الأندلس » . وجاء القاهرة ودرس فيها على أعلام المالكية ، وأمضى ثمانى سنوات بين المدينة والقاهرة ، وعاد إلى وطنه بعلم وفير . ورفض أن يتولى أى منصب رسمى ، ولكن نفوذه كان أكبر من أى موظف ، وابن حزم يجعله ثالث اثنين بلغ نفوذهما قدراً كبيراً ، فى عزل القضاة وتعيينهم وأثر بالتالى فى الاتجاه الثقافى : أبو يوسف فى العراق ، وسحنون فى المغرب ، ويحيى فى الأندلس . وتوفى يحيى عام ٢٣٤ هـ = ٨٤٩ م .

ومعلوماتنا عنه وفيرة ، ولا يخلو مصدر أندلسى من الإشارة إليه ، انظر مثلاً :

- ابن سعيد : المغرب ، جـ١ ص ١٦٣ .
- المقرى : نفح الطيب ، جـ٢ ص ٢١٧ .
- ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ٣٥٠

* Castejón : op. cit., p. 57.

* López Ortiz : La Recepción de la escuela malequi en España, en : "A.H. D.E.", VII, p. 65 - 74.

فلا يُمنع من ذلك . وينكرون على من تعرّض له بكلمة . ويقولون له : أتحرم رجلاً مسلماً التوبة .

قال : ولعهدى بها تبكى وتقول : والله لقد بلغتنى مبلغاً ماخطر قط لى ببال . ولا قدرت أن أجيب إليه أحداً .

ولست أبعد أن يكون الصلاح فى الرجال والنساء موجوداً . وأعوذ بالله أن أظن غير هذا . وإنى رأيت الناس يغلطون فى معنى هذه الكلمة ، أعنى الصلاح ، غلطاً بعيداً ، والصحيح فى حقيقة تفسيرها أن الصالحة من النساء هى التى إذا ضبطت انضبطت . وإذا قطعت عنها الذرائع أمسكت . والفاسدة هى التى إذا ضبطت لم تنضبط ، وإذا حيل بينها وبين الأسباب التى تسهل الفواحش تحيّلت فى أن تتوصل إليها بضروب من الحيل .والصالح من الرجال من لايداخل أهل الفسوق . ولايتعرض إلى المناظر الجالبة للأهواء ، ولا يرفع طرفه إلى الصورة البديعة التركيب . والفاسق من يعاشر أهل النقص ، وينشر بصره إلى الوجوه البديعة الصنعة ، ويتصدّى للمشاهد المؤذية ، ويحب الخلوات المهلكات ، والصالحان من الرجال والنساء كالنار الكامنة فى الرماد ، لا تحرق من جاورها إلا بأنْ تُحرك ، والفاسقان كالنار المشتعلة تحرق كل شىء .

وأمّا امـرأة مهملة ، ورجل متعرض ، فقد هلكا وتلفا . ولهذا حَرُمَ على المسلم الالتذاذ بسماع نغمة امرأة أجنبية . وقد جعلت النظرة الأولى لك والأخرى عليك ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من تأمّل امرأة وهو صائم حتى يرى حجم عظامها فقد أفطر » . وإن فيما ورد من النهى عن الهوى بنص التنزيل لشيئاً مقنعاً . وفى إيقاع هذه الكلمة ، أعنى الهوى ، اسماً على معان ، واشتقاقها عند العرب ، وذلك دليل على ميل النفوس وهويّها إلى هذه المقامات . وإن المتمسك عنها مقارع لنفسه ، محارب لها .

وشىء أصفه لك تراه عياناً ، وهو أنى مارأيت قط امرأة فى مكان تحس أن رجلا يراها ، أو يسمع حسها ، إلاّ وأحدثت حركة فاضلة كانت عنها بمعزل ، وأتت بكلام زائد كانت عنه فى غنية ، مخالفيْن لكلامها وحركتها قبل ذلك . ورأيت التهمم لمخارج لفظها ، وهيئة تقلبها ، لائحاً فيها ، ظاهرا عليها ، لاخفاء به .

والرجال كذلك إذا أحسوا بالنساء .

وأمّا إظهار الزينة ، وترتيب المشى ، وإيقاع المزاح عند خطور المرأة بالرجل ، واجتياز الرجل بالمرأة ، فهذا أشهر من الشمس فى كل مكان ، والله عز وجل يقول : « قُلْ للمؤمنينَ يَغُضُّوا مِنْ أبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُروجَهُمْ »(٥) وقال تقدست أسماؤه : « ولاَ يَضْرِبْنَ بأرجُلِهِنَّ ليعلمَ ما يخفينَ من زِينَتِهِنَّ »(٦) . فلو لا علم الله عز وجل برقة إغماضهن فى السعى لإيصال حبّهن إلى القلوب ، ولطف كيدهن فى التحيّل لاستجلاب الهوى ، لما كشف الله عن هذا المعنى البعيد الغامض ، الذى ليس وراءه مرمى ، وهذا حد التعرُّض فكيف بما دونه .

ولقد أطلعت من سر معتقد الرجال والنساء فى هذا على أمر عظيم ، وأصل ذلك أنى لم أحسن قط بأحد ظنا فى هذا الشأن ، مع غيرة شديدة رُكِّبت فىَّ .

وحدثنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن أحمد ، حدثنا أحمد ، حدثنا أحمد بن على ابن رفاعه ، حدثنا على بن عبدالعزيز ، حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام عن شيوخه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الغيرة من الإيمان » . فلم أزل باحثاً عن أحوالهن ، كاشفاً عن أسرارهن ، وكن قد أنسن منى بكتمان ، فكن يطلعنى على غوامض أمورهن ، ولولا أن أكون منبهاً على عورات يُستعاذ بالله منها ، لأوردت من تنبههن فى الشر ، ومكرهن فيه ، عجائب تذهل الألباب .

وإنى لأعرف هذا وأتقنه ، ومع هذا ، يعلم الله وكفى به علماً ، أنى برىء الساحة ، سليم الأديم ، صحيح البشرة ، نقى الحجزة ، وإنى أقسم بالله أجل الإقسام أنى ماحللت مئزرى على فرج حرام قط ، ولا يحاسبنى ربى بكبيرة الزنا مذ عقلت إلى يومى هذا . والله المحمود على ذلك ، والمشكور فيما مضى ، والمستعصم فيما بقى .

حدثنا القاضى أبو عبد الرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن جحّاف المعافرى ، وإنه لأفضل قاض رأيته ، عن محمد بن إبراهيم الطليطلى ، عن القاضى بمصر بكر بن العلاء ، فى قول الله عز وجل : « وأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »(٧) ، أن لبعض المتقدمين

---

(٥) سورة النور ، الآية ٣٠

(٦) سورة النور ، الآية ٣١ .

(٧) سورة الضحى ، الآية ١١

فيه قولا ، وهو أنّ المسلم يكون مخبراً عن نفسه ، بما أنعم الله تعالى به عليه من طاعة ربه ، التى هى من أعظم النعم ، ولا سيما فى المفترض على المسلمين اجتنابه وتباعه .

وكان السبب فيما ذكرته . أنى كنت وقت تأجج نار الصبا ، وشرة الحداثة . وتمكنّ غرارة الفتوة ، مقصورا محظرا علىّ بين رقباء ورقائب ، فلما ملكتُ نفسى وعقلت ، صحبتُ أبا على الحسين بن على الفاسى[٨] ، فى مجلس أبى القاسم عبدالرحمن بن أبى يزيدالأزدى[٩] ،شيخنا وأستاذى رضى الله عنه ، وكان أبو على المذكور عاقلا عاملا عالماً ، ممن تقدم فى الصلاح والنسك الصحيح فى الزهد فى الدنيا ، والاجتهاد للآخرة ، وأحسبه كان حصوراً ، لأنه لم تكن له امرأة قط ، وما رأيت مثله جملة علماً وعملاً ودينا وورعاً فنفعنى الله به كثيراً ، وعلمت موقع الإساءة ، وقبح المعصى . ومات أبو على رحمه الله فى طريق الحج .

وقد ضمنى المبيت ليلة ، فى بعض الأزمان ، عند امرأة من بعض معارفى ، مشهورة بالصلاح والخير والحزم ، ومعها جارية من بعض قراباتها ، من اللاتى قد ضمتها معى النشأة فى الصبا ، ثم غبت عنها أعواماً كثيرة . وكنت تركتها حين أعصرت ، ووجدتها قد جرى على وجهها ماء الشباب ففاض وانساب ، وتفجرت عليها ينابيع الملاحة فترددت وتحيّرت ، وطلعت فى سماء وجهها نجوم الحسن فأشرقت وتوقدت ، وانبعثت فى خديها أزاهير الجمال فتمت واعتمت ، فأتت كما أقول :

خريدةٌ صاغَها الرحمنُ من نُور ... جلّتْ ملاحتُهَا عن كلِّ تَقْدِيرِ
لوجاءنى عملِى فى حُسْنِ صورتِها ... يومَ الحسابِ ويومَ النفْخِ فى الصُّور
لكنتُ أحظىَ عبادِ اللهِ كلِّهِمُ ... بالجنتَيْنِ وقُرْبِ الخرّدِ الحُور

وكانت من أهل بيت صباحة ، وقد ظهرت على صورة تعجز الوصاف ، وقد طبّق وصف شبابها قرطبة ، فبت عندها ثلاث ليال متوالية ، ولم تحجب عنى على جارى العادة فى التربية . فلعمرى لقد كاد قلبى أن يصبو ويثوب إليه مرفوض الهوى ، ويعاوده منسىّ الغزل . ولقد امتنعت بعد ذلك من دخول تلك الدار ، خوفاً على

---

(٨) عرضنا له فى الباب الواحد والعشرين ، فى الهامش رقم ٧

(٩) عرّفنا بأبى القاسم عبد الرحمن بن أبى يزيد الأزدى المصرى ، فى الهامش رقم ٤ من الباب الواحد والعشرين .

لبي أن يزدهيه الاستحسان . ولقد كانت هى وجميع أهلها ممن لاتتعدّى الأطماع إليهن ، ولكن الشيطان غير مأمون الغوائل ، وفى ذلك أقول :

لا تُتبع النفسَ الهـــوَى ودعِ التعرُّضَ للمِحنْ
إبليسُ حيٌّ لم يَمُتْ والعينُ بابٌ للفِتَنْ

وأقول :

وقائلٍ لىَ هـــــذا ظنٌّ يزيدك غَيـــًّا
فقلتُ دعْ عنك لومِي أليسَ إبليسُ حيـــًّا

وما أوردَ الله تعالى علينا من قصة يوسف بن يعقوب ، وداود بن إيشى رسل الله عليهم السلام ، إلّاليعلمنا نقصاننا وفاقتنا إلى عصمته ، وأنّ بنيتنا مدخولة ضعيفة ، فإذا كانا صلى الله عليهما ، وهما نبيان رسولان ، أبناء أنبياء رسل ، ومن أهل بيت نبوّة ورسالة ، متكررين فى الحفظ ، مغموسين فى الولاية ، محفوفين بالكلاءة ، مؤيدين بالعصمة ، لايجعل للشيطان عليهما سبيل ، ولا فتح لوسواسه نحوهما طريق ، وبلغاحيث نصّ اللهُ عز وجل علينا فى قرآنه المنزل ، بالجبلة الموكلة ، والطبع البشرى ، والخلقة الأصيلة،لابتعمدالخطيئة ولا القصد إليها ، إذ النبيون مبرءون من كل ما خالف طاعة الله عز وجل ، لكنه استحسان طبيعى فى النفس للصور ، فمن ذا الذى يصف نفسه بملكها ، ويتعاطى ضبطها ، إلا بحول الله وقوته .

وأول دم سفك فى الأرض قدم أحد ابنى آدم على سبب المنافسة فى النساء ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « باعدوا بين أنفاس الرجال والنساء » وهذه امرأة من العرب تقول ، وقد حبلت من ذى قرابة لها ، حين سئلت : مايبطنك ياهند ؟ فقالت : قرب الوساد وطول السواد .

وفى ذلك أقول شعراً ، منه :

لا تَلُمْ مَن عرَّضَ النفْسَ لمـا ليس يَرْضَى غيرُهُ عند المِحَنْ
لا تُقَرِّبْ عَرْفَجاً مِن لَهَـــبٍ ومتى قرَّبْتَهُ قامتْ دُخَنْ
لا تُصرِّفْ ثقةً فى أحـــــدٍ فَسَدَ الناسُ جَميعاً والزمَنْ
خلِقَ النِّسْوَانُ للفَحْلِ كما خُلِقَ الفَحْلُ بلا شَكٍّ لَهَنْ
كلُّ شَكْلٍ يَتَشَهَّى شكلَهُ لا تكُنْ عنْ أحدٍ تَنْفِي الظِنَنْ

صفةُ الصالحِ مَن إنْ صُنْتَهُ عن قبيح أَظْهرَ الطوْعَ الحسَنْ
وسواهُ مَن إذا ثقَّفْتَـــــه اعملَ الحيلةَ فى خَلْعِ الرسَنْ

وإنى لأعلم فتى من أهل الصيانة قد أُولع بهوى له ، فاجتاز بعض إخوانه فوجده قاعداً مع من كان يحب ، فاستجلبه إلى منزله ، فأجابه إلى منزله بامتثال المسير بعده . فمضى داعيه إلى منزله وانتظره حتى طال عليه التربّص فلم يأته . فلما كان بعد ذلك ، اجتمع به داعيه فعدّد عليه ، وأطال لومه على إخلافه موعده ، فاعتذر وورى . فقلت أنا للذى دعاه : أنا أكشف عذره صحيحاً من كتاب الله عز وجل إذ يقول : « ما أخْلَفْنَا موْعدكَ بملكنا ولكِنّا حُمِّلْنَا أَوْزاراً مِن زِينةِ القومِ »(١٠) ، فضحك من حضر . وكُلِّفتُ أن أقول فى ذلك شيئاً فقلت :

وجرحُكَ لِى جُرْحٌ جُبَارٌ فلا تَلُمْ ولكنَّ جُرْحَ الحبِّ غيرُ جُبَارِ
وقد صارتِ الخِيلانُ سَطْرَ بياضِهِ كَنِيلُوفَرٍ حَفَّتْهُ روضُ بَهارِ
وكم قال لى من مُتُّ وَجْداً بحبِّهِ مقالةَ مَحْلولِ المقالةِ زارى
وقد كُنْتُ منِّى إليه مطالبٌ ألحُّ عليـــه تارةً وأُدارى
أما فى التوائِى ما يبرِّد غُـــلَّةً ويُذْهِبُ شَوْقاً فى ضلوعِكَ سارى
فقلتُ له لوْ كانَ ذلك لم تكنْ عـــداوةُ جارٍ فى الأنامِ لجارِ
وقد تَتَرَاءَى العَسْكَرانِ لدى الوغَى وبينهما للموتِ سُبْلٌ بوارِ

ولى كلمتان قلتهما معرّضاً ، بل مصرّحاً ، برجل من أصحابنا كنا نعرفه كلنا ، من أهل الطلب والعناية والورع وقيام الليل ، واقتفاء آثار النساك ، وسلوك مذاهب المتصوفين القدماء ، باحثاً مجتهداً ، وقد كنا نتجنب المزاح بحضرته ، فلم يمض الزمن حتى مكّن الشيطان من نفسه ، وفتك بعد لباس النساك ، وملك إبليس من خطامه فسوّل له الغرور ، وزيّن له الويل والثبور ، وأجرّه رسنه بعد إباء ، وأعطاه ناصيته بعد شماس ، فخبّ فى طاعته وأوضع ، واشتهر بعد ماذكرته فى بعض المعاصى القبيحة الوضرة ، ولقد أطلت ملامه ، وتشددت فى عذله ، إذ أعلن بالمعصية بعد استتار ، إلى أن أفسده ذلك ضميره علىّ ، وخبثت نيته لى ، وتربّص بى دوائر السوء ، وكان بعض أصحابنا يساعده بالكلام استجراراً إليه ، فيأنس به ، ويظهر له عداوتى ،

(١٠) سورة طه ، الآية ٨٧ .

إلى أنْ أظهر الله سريرته ، فعلمها البادى والحاضر ، وسقط من عيون الناس كلهم بعد أن كان مقصداً للعلماء ، ومتاباً للفضلاء ، ورذل عند إخوانه جملة . أعاذنا الله من البلاء ، وسترنا فى كفايته ، ولا سلبنا مابنا من نعمته ، فياسوءتاه لمن بدأ بالاستقامة ولم يعلم أن الخذلان يحل به ، وأن العصمة ستفارقه ، لا إله إلا الله ، ما أشنع هذا وأفظعه . لقد دهمته إحدى بنات الحرس ، وألقت عصاها به أم طبق ، من كان لله أولا ثم صار للشيطان آخرا .

ومن إحدى الكلمتين :

أمّا الغلامُ فقد حانتْ فضيحَتُهُ ... وإنّه كان مَستوراً فقد هُتكِا
مازالَ يضحكُ من أهْلِ الهَوَى عجباً ... فالآنَ كلُّ جهولٍ منه قد ضَحِكا
إليكَ لاتَلْحُ صبًّا هائماً كَلفاً ... يرى التهتُّكَ فى دينِ الهَوَى نسُكا
قدكان دهراً يُعانِى النُسْكَ مجتهداً ... يُعَدُّ فى نُسْكِه كلُّ امرئٍ نُسُكَا
ذو مَخْبَرٍ وكتابٍ لا يُفارِقُـــه ... نحوَ المحدِّثِ يسعىَ حيثُ ماسَلَكا
فاعتاضَ مِن سُمْرِ أقلامٍ بَنانَ قَنًى ... كأنَّهُ مِن لُجَيْنٍ صِيغ أو سُبِكا
يا لائمِى سَفَهاً فى ذاكَ قِلَّ فلم ... تَشْهَدْ جبِينَيْنِ يومِ الملتقَى اشْتَبَكَا
دَعْنِى وورْدِىَ فى الآبارِ أطْلُبُه ... إليكَ عنِّى كذا لا أبتغى البَرَكا
إذا تعفَّفْتَ عفَّ الحبُّ عنكَ وإنْ ... تركْتَ يوماً فإنَّ الحبَّ قد تَرَكا
ولاتحُلُّ سن الهجرانِ مُنْعقداً ... إلاَّ إذا ماحلَلْتَ الأزْرَ والتِكَكَا
ولا تُصحِّحُ للسلطانِ مملكةً ... أو تدخُلُ البرْدُ عن إنفاذِهِ السِكَكا
ولا بغيْرِ كثيرِ المسْحِ يذهبُ ما ... يعلُو الحديدَ من الأصداءِ إن سُبكا

وكان هذا المذكور من أصحابنا قد أحكم القراءات إحكاماً جيداً ، واختصر كتاب الأنبارى فى « الوقف والابتداء »[١١] اختصاراً حسناً ، أعجب به من رآه من المقرئين ، وكان دائباً على طلب الحديث وتقييده ، والمتولى لقراءة مايسمعه على الشيوخ

---

(١١) القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى ، المتوفى عام ٣٠٣ هـ = ٩١٦ م ، من أهل الأنبار ، سكن بغداد ، ووقف نفسه على العلم ، وعرف بالأدب والأخبار ، ولدينا من مؤلفاته : شرح المفضليات ، وخلق الإنسان ، والأمثال ، وغريب الحديث ، وشرح القصائد السبع الطوال . انظر :

- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١ ص ٥٠٣ .
- ياقوت : معجم الأدباء ، جـ٦ ، ص ١٩٦ . طبعة ، مصر ١٩٠٧ – ١٩٢٥

المحدثين ، مثابراً على النسخ مجتهداً به . فلما امتحن بهذه البلية مع بعض الغلمان رفض ما كان معتنياً به ، وباع أكثر كتبه ، واستحال استحالة كلية ، نعوذ بالله من الخذلان ، وقلت فيه كلمة ، وهى التالية للكلمة التى ذكرت منها فى أول خبره ، ثم تركتها .

وقد ذكر أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى[١٢] فى كتاب « اللفظ والإصلاح » : أن إبراهيم بن سيار النظام رأس المعتزلة[١٣]، مع علو طبقته فى الكلام ، وتمكنه وتحكمه فى المعرفة ، تسبّب إلى ماحرّم الله عليه من فتى نصرانى عشقه ، بأن وضع له كتاباً فى تفضيل التثليث على التوحيد . فياغوثاه ! عياذك يارب من تولّج الشيطان ، ووقوع الخذلان .

وقد يعظم البلاء ، وتكلب الشهوة ، ويهون القبيح ، ويرق الدين ، حتى يرضى الإنسان فى جنب وصوله إلى مراده بالقبائح والفضائح ، كمثل مادهم عبيدالله بن يحيى الأزدى المعروف بابن الجزيرى[١٤]، فإنه رضى بإهمال داره ، وإباحة حريمه ، والتعريض بأهله ، طمعاً فى الحصول على بغيته من فتى كان علقه.نعوذ بالله من الضلال ، ونسأله الحياطة وتحسين آثارنا ، وإطابة أخبارنا ، حتى لقد صار المسكين حديثاً تعمر به المحافل ، وتصاغ فيه الاشعار ، وهو الذى تسميه العرب الديوث . وهو مشتق من التدييث ، وهو التسهيل . وما بعد تسهيل من تسمح نفسه بهذا الشأن تسهيل ، ومنه بعير مديث ، أى مذلل . ولعمرى إن الغيرة لتوجد فى الحيوان بالخلقة ، فكيف وقد أكدتها عندنا الشريعة ، وما بعد هذا مصاب .

ولقدكنت أعرف هذا المذكورمستوراً إلى أن استهواه الشيطان ، ونعوذ بالله من الخذلان .

---

(١٢) أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندى ، وجاءت فى الطبعات العربية الرويدى ، كان معتزلياً ، ثم صار شيعياً ، ثم تغير إلى الإلحاد ، وله مؤلفات تمثل ذلك الاضطراب الذى عاش فيه ، وتوفى عام ٣٠٣ هـ = ٩١٦ م انظر الدراسة الخاصة به فى :

- عبد الرحمن بدوى : تاريخ الإلحاد فى الإسلام .
- الشهرستانى : الملل والنحل ، جـ١ ص٨١ و٩٦ ، طبعة محمود توفيق ، القاهرة .

(١٣) انظر الباب الأول ، الهامش رقم ١١

(١٤) عرفنا به فى الباب ١٩ ، الهامش رقم ١٠ .

وفيه يقول عيسى بن محمد بن محمل الخولانى[١٥]:

ياجاعلاً إخراج حُرِّ نسائه شَرَكاً لصَيْدِ جآذِرِ الغِزْ لاَن
إنِّى أرَى شَرَكاً يمَزَّقُ ثم لا تَحْظَى بغيرِ مذلَّةِ الحِرْمان

وأقول أنا أيضاً :

أباحَ أبو مَرْوانَ حُرَّ نسائِهِ ليبلُغَ مايهوَى من الرِشَأ الفَرْدِ
فعاتَبْتُهُ الدَيُّوثَ فى قُبْحِ فعلِهِ فأنشدنِى إنشادَ مُسْتَبْصِرٍ جَلْدِ
لقد كُنتُ أدركْتُ المَنَى غيْرَ أنَّنِى يُعَيِّرُنِى قومِى بإدراكِها وحْدِى

وأقول أيضاً :

رأيْتُ الجزيرىَّ فيما يُعانِى قليلَ الرشادِ كثيرَ السفَاهِ
يبيعُ ويبتاعُ عِرْضاً بِعِرْضٍ أمورٌ وجدِّكَ ذاتُ اشتباهِ
ويأخذُ ميلاً بإعطاء هـــــاءٍ ألاَ هكذا فليكنْ ذُو النواهِي
ويبدُلُ أرضاً تُغذِّى النباتَ بأرضٍ تُحَفُّ بشوْكِ العِضَاهِ
لقد خابَ فى نَجْرِهِ ذو ابتياع مَهَبَّ الرياحِ بمجْرَى المِياهِ

ولقد سمعته فى المسجد الجامع يستعيذ بالله من العصمة ، كما يُستعاذ به من الخذلان .

ومما يشبه هذا أنى أذكر أنى كنت فى مجلس فيه إخوان لنا ، عند بعض مياسير أهل بلدنا ، فرأيت بين بعض من حضر وبين من كان بالحضرة أيضاً ، من أهل صاحب المجلس أمراً أنكرته ، وغمزاً استبشعته ، وخلوات الحين بعد الحين ، وصاحب المجلس كالغائب أو النائم ، فنبهته بالتعريض فلم ينتبه ، وحركته بالتصريح فلم يتحرك ، فجعلت أكرر عليه بيتين قديمين لعله يفطن . وهما هذان :

إنَّ إخوانَهُ المقيمينَ بالأمْـ ـسِ أتَوْا للزناءِ لا للغِناء
قطعوا أمرَهُمْ وأنتَ حمـــارٌ موقَّرٌ مِن بلادَةٍ وغبـــاء

وأكثرت من إنشادهن حتى قال لى صاحب المجلس : قد أمللتنا من سماعهما فتفضل بتركهما أو إنشاد غيرهما ، فأمسكت وأنا لا أدرى أغافل هو أم متغافل ، وما أذكر أنى عدت إلى ذلك المجلس بعدها .

---

(١٥) لم أهتد له إلى ترجمة له فيما وقفت عليه من مصادر .

وقلت فيه قطعة منها :

أنتَ لا شكَّ أحسنُ الناسِ ظنًّا ... ويقيناً ونيَّةً وضميرا
فانتبهْ إنَّ بعضَ مَنْ كان بالأم ... سِ جليساً لنا يُعانى كبيرا
ليسَ كلُّ الركوعِ فاعلمْ صلاةً ... لاَ ولاَ كلُّ ذي لحاظٍ بصيرا

وحدثنى ثعلب بن موسى الكلادانى قال : حدثنى سليمان بن أحمد الشاعر(١٦) قال : حدثتنى امرأة اسمها هند كنت رأيتها فى المشرق ،وكانت قد حجّت خمس حجّات ، وهى من المتعبّدات المجتهدات ، قال سليمان : فقالت لى : يا ابن أخى ، لاتحسن الظن بامرأة قط ، فإنى أخبرك عن نفسى بمايعلمه الله عزوجل : ركبت البحر منصرفة من الحج وقد رفضت الدنيا ، وأنا خامسة نسوة كلهن قد حججن ، وصرنا فى مركب فى بحر القلزم ، وفى بعض ملاحى السفينة رجل مضمر الخلق ، مديد القامة،واسع الأكتاف ، حسن التركيب ، فرأيته أول ليلة قد أتى إلى إحدى صواحى فوضع إحليله فى يدها وكان ضخماً جداً ، فأمكنته فى الوقت من نفسها ثم مر عليهن كلهن فى ليال متواليات ، فلم يبق له غيرها ، تعنى نفسها ، قالت : فقلت فى نفسى : لانتقمن منك ، فأخذت موسى وأمسكتها بيدى ، فأتى فى الليل على جارى عادته ، فلما فعل كفعله فى سائر الليالى سقطت الموسى عليه فارتاع وقام لينهض . قالت : فأشفقت عليه وقلت له ، وقد أمسكته ، لا زلتَ أو آخذ نصيبى منك . قالت العجوز : فقضى وطره وأستغفر الله .

وإن للشعراء من لطف التعريض عن الكناية لعجبا ، ومن بعض ذلك قولى حيث أقول :

أتانى وماءُ المُزْنِ فى الجوِّ يسْفَكُ ... كمحْضِ لُجَيْن إذ يمدُّ ويُسْبَكُ
هلالُ الدياجى انحطَّ من جوِّ أفْقه ... فَقُلْ فى محبٍّ نالَ مالَيس يُدْرَكُ
وكان الذى إنْ كُنتَ لى عنهُ سائِلاً ... فمالى جوابٌ غيْرَ أنِّىَ أضْحَكُ
لفرْطِ سرورى خِلْتُنِي عنه نائماً ... فيا عجباً مِن مُوقِنٍ يَتَشكَّك

---

(١٦) لم أجد فيما بين يدى من مصادر ترجمة لثعلب بن موسى ، أما سليمان بن أحمد الشاعر ، فقد عرض لنا من قبل مرتين وعرفنا به . انظر :
■ الباب الخامس والعشرين ، الهامش رقم ١

وأقول أيضاً قطعة منها :

أَتَيْتَنى وهــلالُ الجــوِّ مُطَّلِعٌ قُبَيْلَ قَرْعِ النصارَى للنواقيسِ
كحاجبِ الشيخ عمّ الشيبُ أكثرَهُ وأَخْمص الرَجْلِ فى لُطْفٍ وتَقْويس
ولاحَ فى الأفْقِ قَوْسُ الله مكتسياً مِن كلِّ لونٍ كأذنابِ الطواويس

وإنّ فيما يبدو إلينا من تعادى المتواصلين فى غير ذات الله تعالى بعد الألفة ، وتدابرهم بعد الوصال ، وتقاطعهم بعد المودة ، وتباغضهم بعد المحبة ، واستحكام الضغائن ، وتأكد السخائم فى صدورهم ، لكاشفاً ناهياً لوصادف عقولا سليمة ، وآراء نافذة ، وعزائم صحيحة ، فكيف بما أعدّ الله لمن عصاه من النكال الشديد يوم الحساب وفى دار الجزاء ، ومن الكشف على رءوس الخلائق ، « يَوْمَ تَرَوْنَها تذهلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عمَّا أَرْضَعَتْ ، وتَضَعُ كلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَهاَ ، وترَى الناسَ سُكَارَى وما هُمْ بِسُكَارَى ، ولكنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيد »[١٧]. جعلنا الله ممن يفوز برضاه ويستحق رحمته .

ولقد رأيت امرأة كانت مودتها فى غير ذات الله عزوجل ، فعهدتها أصفى من الماء ، وألطف من الهواء ، وأثبت من الجبال ، وأقوى من الحديد ، وأشد امتزاجاً من اللون فى الملون ، وأنفذ استحكاماً من الأعراض فى الأجسام ، وأضوأ من الشمس ، وأصح من العيان ، وأثقب من النجم ، وأصدق من كُدر القطا وأعجب من الدهر ، وأحسن من البر ، وأجمل من وجه أبى عامر[١٨]، وألذ من العافية ، وأحلى من المنى ، وأدنى من النفس ، وأقرب من النسب ، وأرسخ من النقش فى الحجر .

ثم لم ألبث أن رأيت تلك المودة قد استحالت عداوة أفظع من الموت ، وأنفذ من السهم ، وأمر من السقم ، وأوحش من زوال النعم ، وأقبح من حلول النقم ، وأمضى من عقم الرياح ، وأضر من الحمق ، وأدهى من غلبة العدو ، وأشد من

---

(١٧) سورة الحج ، الآية ٢

(١٨) ابن المظفر عبد الملك ، وحفيد المنصور بن أبى عامر ، انظر :
- الباب الثانى ، الهامش رقم ٤ .
- الباب الرابع ، الهامش رقم ١ .
- الباب الواحد والعشرين ، الهامش رقم ٨ .

الأسر ، وأقسى من الصخر ، وأبغض من كشف الأستار ، وأنأى من الجوزاء ، وأصعب من معاناة السماء ، وأكبر من رؤية المصاب ، وأشنع من خرق العادات ، وأفظع من فجأة البلاء ، وأبشع من السم الزعاف ؛ وما لا يتولد مثله عن الدحول والترات ، وقتل الآباء وسبي الأمهات . وتلك عادة الله في أهل الفسق ، القاصدين سواه ، الآمّين غيره ، وذلك قوله عزوجل : « يالَيتني لم أتخِذْ فلاناً خليلاً ، لقدأضلّني عن الذكْرِ بعد إذْ جَاءني »[١٩].

فيجب على اللبيب الاستجارة بالله مما يورط فيه الهوى ، فهذا خلف مولى يوسف بن قمقام القائد المشهور[٢٠]، كان أحد القائمين مع هشام بن سليمان بن الناصر[٢١] ، فلما أُسِرَ هشام وقتل ، وهرب الذين وازروه ، فرّ خلف في جملتهم ونجا . فلما أتى القسطلات[٢٢]لم يطق الصبر عن جارية كانت له بقرطبة ، فكرّراجعاً ، فظفر به أمير المؤمنين المهدى ، فأمر بصلبه . فلعهدى به مصلوباً في المرج على النهر الأعظم وكأنه القنفذ من النبل .

ولقد أخبرني أبوبكر محمد بن الوزير عبد الرحمن بن الليث[٢٣]رحمه الله ،

---

(١٩) سورة الفرقان ، الآية ٢٨ .

(٢٠) ليست لدينا أية معلومات عن خلف مولى يوسف هذا .

(٢١) أحداث الخلافة الأموية في الأندلس عشية سقوطها كثيرة ومتشابكة ، ولايجدى معها تعريف موجز ، لقد وثب المهدى : محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر على الخلافة ، وأسقط دولة العامريين ، ثم زاحمه فيها سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمستعين ، وحاول هشام بن سليمان الملقب بالرشيد أن ينتزعها لنفسه ، والوقعة التي يشير إليها ابن حزم هنا ، كانت بين هشام بن سليمان الرشيد ، وبين محمد المهدى ، وحدثت في شوال ٣٩٩هـ = يونية ١٠٠٩م ، وكانت الدائرة فيها على الرشيد ، فقد ظفر به المهدى وقتله . للمزيد عن هذه الأحداث يمكن الرجوع إلى :

- ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ص ٥ و ٦
- ابن بسام : الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص ٢٤ .
- ابن عذارى : البيان المغرب ، جـ٣ ص ٧٨ .

(٢٢) لم تمر عليّ في مكان آخر من المصادر الأندلسية التي بين يدى ، ومن ثم لم أستطع تحديد موقعها ، ولعل تحريفاً أصاب اللفظ عند كتابته .

(٢٣) من بني الليث ، أسرة قرطبية قديمة من أصل بربرى ، من زناتة ، كان يشغل الكثير من أفرادها عدداً من المناصب الهامة ، خلال الدولة الأموية .

أن سبب هروبه إلى محلة البرابر ، أيام تحوّلهم مع سليمان الظافر[٢٤] إنما كان لجارية يكلف بها ، تصيّرت عند بعض مَن كان فى تلك الناحية ، ولقد كاد أن يتلف فى تلك السفرة .

وهذان الفصلان وإنْ لم يكونا من جنس الباب فإنهما شاهدان على ما يقود إليه الهوى من الهلاك الحاضر الظاهر ، الذى يستوى فى فهمه العالم والجاهل ، فكيف من العصمة التى لا يفهمها من ضعفت بصيرته . ولا يقولن امرؤ : خلوتُ ، فهو وإنْ انفرد فبمرأى ومسمع من علاّم الغيوب الذى « يعلمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصدُورُ »[٢٥] . و « يَعْلَمُ السِرَّ وأَخْفَى »[٢٦] و « ما يكونُ مِن نَجْوَى ثَلاثة إلاّ هو رابِعُهُمْ ، ولا خَمْسة إلاّ هو سَادِسُهُمْ ، ولا أدْنَى مِن ذلك ولا أكْثَر إلاّ هو مَعَهُم ، أينما كانُوا »[٢٧] ، وهو عليمٌ بذاتِ الصدور ، وهو عالم الغيب والشهادة ، « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم »[٢٨] . وقال : « ولقد خَلَقْنَا الإنسان ونعلمُ ماتُوَسْوِسُ به نفسُه ، ونحنُ أقربُ إليه من حبلِ الوريدِ . إذْ يَتلقَّى المُتَلقّيَانِ عنِ اليمينِ وعنِ الشِمالِ قَعِيدُ ، مايَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلّا لَدَيْه رقيبُ عتيد »[٢٩] .

وليعلم المستخف بالمعاصى ، المتكل على التسويف ، المعرض عن طاعة ربه ، أن إبليس كان فى الجنة مع الملائكة المقربين ، فلمعصية واحدة وقعت منه استحق لعنة الأبد ، وعذاب الخلد ، وصيّر شيطاناً رجيماً ، وأُبعِدَ عن رفيع المكان ، وهذا آدم صلى الله عليه وسلم ، بذنب واحد أخرج من الجنة إلى شقاء الدنيا ونكدها . ولولا أنه تلقى من ربه كلمات وتاب عليه لكان من الهالكين .

أفترى هذا المغتر بالله ربه ، وبإملائه ليزداد إثماً ، يظن أنّه أكرم على خالقه من

---

(٢٤) تحدثنا عن سليمان الظافر ، الملقب بالمستعين ، وقد مر علينا فى الباب السابق ، الهامش رقم ٧ ، وانظر : الباب السابع ، الهامش رقم ٢ .

(٢٥) سورة غافر ، الآية ١٩ .

(٢٦) سورة طه ، الآية ٧ .

(٢٧) سورة المجادلة ، الآية ٧ .

(٢٨) سورة النساء ، الآية ١٠٨ .

(٢٩) سورة ق ، الآيات : ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

أبيه آدم ، الذى خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، الذين هم أفضل خلقه عنده ؟ أو عقابه أعز عليه من عقوبته إياه ؟ كلا ، ولكن استعذاب التمنّى ، واستيطاء مركب العجز ، وسخف الرأى ، قائدة أصحابها إلى الوبال والخزى ، ولو لم يكن عند ركوب المعصية زاجر من نَهْيِ الله تعالى ، ولا حام من غليظ عقابه ، لكان فى قبيح الأحدوثة عن صاحبه ، وعظيم الظلم الواقع فى نفس فاعله ، أعظم مانع ، وأشد رادع ، لمن نظر بعين الحقيقة ، واتبع سبيل الرشد ، فكيف والله عز وجل يقول : « ولايَقْتُلُونَ النفْسَ التى حرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحقِّ ولا يَزْنونَ ، ومَنْ يَفْعَلْ ذلك يَلْقَ أثَاماً ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فيه مُهَاناً »[٣٠].

وحدثنا الهمدانى[٣١] ، فى مسجد القمرى[٣٢] ، بالجانب الغربى من قرطبة ، سنة إحدى وأربعمائة : حدثنا ابن سيبويه ، وأبو إسحاق البلخى ، بخراسان سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، قالا : حدّثنا محمد بن يوسف : حدّثنا محمد بن إسماعيل : حدّثنا قتيبة بن سعيد : حدّثنا جرير عن الأعمش ، عن أبى وائل ، عن عمرو بن شرحبيل قال : قال عبد الله وهو ابن مسعود : قال رجل : « يارسول الله ، أى الذنب أكبر عندالله ؟ . قال : أن تدعو لله ندّا وهو خلقك . قال : ثم أى ؟ قال : أن تقتل ولدك أن يطعم معك . قال : ثم أى ؟ قال : أن تزانى حليلة جارك » . فأنزل الله تصديقها : « والذينَ لا يَدْعونَ مع اللهِ إلهاً آخرَ ، ولا يَقْتلونَ النفس التى حرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحِقِّ ، ولاَ يزنونَ »[٣٣]. وقال عز وجل : « الزانِيَةُ والزانى فاجْلِدُوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جَلْدة ، ولاتأْخُذْكُمْ بهما رأْفَةٌ فى دينِ اللهِ ، إنْ كُنتمْ تُؤمِنُونَ باللهِ »[٣٤].

حدثنا الهمدانى ، عن أبى إسحاق البلخى ، وابن سبويه ، عن محمد بن يوسف ، عن محمد بن إسماعيل ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن

---

(٣٠) سورة الفرقان ، الآيتان ٦٨ و ٦٩ .

(٣١) عن الهمدانى انظر :

* الباب الثامن والعشرين ، الهامش رقم ٢٠ . وسوف نلتقى به مرات أخرى فيما بعد .

(٣٢) لايوجد فى مساجد قرطبة مسجد يحمل اسم « مسجد القمرى » ، ويرى غرسية غومث أنها تصحيف عن كلمة « العمرى » وكان فى قرطبة مسجد يحمل هذا الاسم .

(٣٣) سورة الفرقان ، الآية ٣٣ .

(٣٤) سورة النور ، الآية الثانية .

أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن المسيب المخزوميين ، وأبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » . وبالسند المذكور إلى محمد بن إسماعيل ، عن يحيى بن بكير ، عن الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن أبى سلمة ، وسعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة قال : أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد ، فقال : « يارسول الله : إنى زنيت ، فأعرض عنه ، ثم ردّ عليه أربع مرات ، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أبك جنون ؟ قال : لا . قال فهل أحصنت قال : نعم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به فارجموه » .

قال ابن شهاب : فأخبرنى من سمع جابر بن عبدالله قال : كنت فيمن رجمه ، فرجمناه بالمصلى ، فلما أذلقته الحجارة هرب ، فأدركناه بالحرة[٣٥] فرجمناه .

حدثنا أبو سعيد ، مولى الحاجب جعفر ، فى المسجد الجامع بقرطبة ، عن أبى بكر المقرئ ، عن أبى جعفر النحاس ، عن سعيد بن بشر ، عن عمرو بن رافع ، عن منصور ، عن الحسن ، عن حطان بن عبد الله الرقاشى ، عن عبادة بن الصامت ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خذوا عنى ، خذوا عنى ، قد جعل الله لهن سبيلاً : البكر بالبكر جَلْد مائة ، وتغريب سنة ، والثيّب بالثيّب جَلْد مائة والرجم » .

فيا لشنعة ذنب أنزل الله وحيه مبيناً بالتشهير بصاحبه ، والعنف بفاعله ، والتشديد لمقترفه . وتشدّد فى ألاّ يرجم إلا بحضرة أوليائه عقوبة رجمه ، وقد أجمع المسلمون إجماعاً لا ينقضه إلاّ ملحد ، أنّ الزانى المحصن عليه الرجم حتى يموت .

فيا لها قتلة ما أهولها ، وعقوبة ما أفظعها ، وأشد عذابها ، وأبعدها من الإراحة وسرعة الموت .

وطوائف من أهل العلم منهم الحسن بن أبى الحسن ، وابن راهويه ، وداود وأصحابه[٣٦] ، يرون عليه مع الرجم جلد مائة ، ويحتجون عليه بنص القرآن وثبات

---

(٣٥) الحرة : موضع قريب من المدينة .

(٣٦) * الحسن بن أبى الحسن يسار ، مولى زيد بن ثابت ، نشأ بالمدينة ، وحفظ القرآن ، ولازم الجهاد=

السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبفعل على رضى الله عنه ، بأنه رجم امرأة محصنة فى الزنا بعد أن جلدها مائة ، وقال : جلدتها بكتاب الله ، ورجمتها بسنة رسول الله . والقول بذلك لازم لأصحاب الشافعى ، لأن زيادة العدل فى الحديث مقبولة .

وقد صح فى إجماع الأمة المنقول بالكافة ، الذى يصحبه العمل عند كل فرقة ، وفى أهل كل نحلة من نحل أهل القبلة ، حاشى طائفة يسيرة من الخوارج لا يعتد بهم ، أنه لا يحل دم امرئ مسلم إلا بكفر بعد إيمان ، أو نفس بنفس ، أو بمحاربة لله ورسوله ، يشهر فيها سيفه ، ويسعى فى الأرض فساداً مقبلا غير مدبر ، وبالزنا بعد الإحصان . فإن حدّ ما جعل الله مع الكفر بالله عز وجل ومحاربته ، وقطع حجته فى الأرض ، ومنابذته دينه ، لجرم كبير ، ومعصية شنعاء ، والله تعالى يقول : « إنْ تجتنبوا كبائرَ ما تُنْهَوْنَ عنهُ نُكَفِّرْ عنكم سيِّئاتِكم »(٣٧) ، و « الذين يَجْتنبونَ كبائرَ الإثْمِ والفواحِشَ إلاّ اللَّمَمَ إنَّ ربَّك واسعُ المغفرةِ »(٣٨) . وإن كان أهل العلم اختلفوا فى تسميتها ، فكلهم مجمع ، مهما اختلفوا فيه منها ، أن الزنا يقدم فيها ، لا اختلاف بينهم فى ذلك ، ولم يوعد الله عز وجل فى كتابه بالنار بعد الشرك إلاّ فى

---

= والعمل ، وكان أحد الشجعان الموصوفين ، حدث عن كثير من الصحابة ، وكان ثقة حجة مأمونا ، ناسكا واسع العلم ، توفى ١١٠ هـ = ٧٢٨ م . انظر :

• محمد الخضرى : تاريخ التشريع الإسلامى ، ص ١٦١ .

• إسحق بن إبراهيم بن راهويه ، فقيه شافعى ، صاحب كتاب « الجامع الكبير » ، وأستاذ داود الظاهرى ، توفى عام ٢٣٨هـ = ٨٥٢م . انظر :

• الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ ٦ ص ٣٤٥ وما بعدها .

• أبو سليمان ، داود بن على بن خلف الأصبهانى ، المعروف بالظاهرى ، ولد بالكوفة سنة ٢٠٢ هـ = ٨١٥ م ، وكان فى بدء حياته أكثر الناس تعصباً للإمام الشافعى ، وصنف فى فضائله كتابين ، وإليه انتهت رياسة العلم فى بغداد ، ثم انتحل لنفسه مذهباً خاصاً ، أساسه العمل بظاهر الكتاب والسنة ، ما لم يدل دليل منهما ، أو من الإجماع ، على أنه يراد به غير الظاهر ، فإن لم يوجد نص عمل بالإجماع ، ورفض القياس رفضا باتا . وله فى تفسير مذهبه والدفاع عنه مصنفات كثيرة ، وتوفى ٢٧٠ هـ = ٨٨٣م . انظر :

• محمد الخضرى : تاريخ التشريع ، ص٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٣٧) سورة النساء ، الآية ٣١ .

(٣٨) سورة النجم ، الآية ٣٢ .

سبع ذنوب ، وهى الكبائر : الزنا أحدها ، وقذف المحصنات أيضاً منها ، منصوصاً ذلك كله فى كتاب الله عز وجل .

وقد ذكرنا أنه لا يجب القتل على أحد من ولد آدم إلا فى الذنوب الأربعة التى تقدم ذكرها ، فأما الكفر منها فإن عاد صاحبه إلى الإسلام أو بالذمة إن لم يكن مرتداً قُبِلَ منه ، ودرئ عنه الموت . وأما القتل فإن قبل الولىّ الدية فى قول بعض الفقهاء ، أو عفا فى قول جميعهم ، سقط عن القاتل القتل بالقصاص . وأما الفساد فى الأرض فإن تاب صاحبه قبل أن يُقْدر عليه هُدِر عنه القتل ، ولا سبيل فى قول أحد مؤالف أو مخالف فى ترك رجم المحصن . ولا وجه لرفع الموت عنه ألبتة .

ومما يدل على شنعة الزنا ما حدّثنا القاضى أبو عبد الرحمن : حدّثنا القاضى أبو عيسى ، عن عبيد الله بن يحيى ، عن أبيه يحيى بن يحيى ، عن الليث ، عن الزهرى ، عن القاسم بن محمد بن أبى بكر ، عن عبيد بن عمير : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أصاب فى زمانه ناساً من هذيل ، فخرجت جارية منهم ، فأتبعها رجل يريدها عن نفسها ، فرمته بحجر فقضت كبده ، فقال عمر : هذا قتيل الله ، والله لا يودى أبداً .

وما جعل الله عز وجل فيه أربعة شهود ، وفى كل حكم شاهدين ، إلاّ حياطة منه ألاّ تشيع الفاحشة فى عباده ، لعظمها وشنعتها وقبحها ، وكيف لا تكون شنيعة ، ومن قذف بها أخاه المسلم ، أو أخته المسلمة ، دون صحة علم أو تيقن معرفة ، فقد أتى كبيرة من الكبائر استحق عليها النار غداً ، ووجب عليه بنص التنزيل أن تضرب بشرته ثمانين سوطاً .

ومالك رضى الله عنه يرى ألا يؤخذ فى شىء من الأشياء حد بالتعريض دون التصريح إلاّ فى قذف .

وبالسند المذكور عن الليث بن سعد ، عن يحيى بن سعيد ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن أمه عمرة بنت عبدالرحمن ، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنه أمر أن يجلد الرجل قال لآخر : ما أبى بزان ولا أمّى بزانية فى حديث طويل .

وبإجماع من الأمة كلها ، دون خلاف من أحد نعلمه ، أنه إذا قال رجل لآخر : ياكافر ، أو ياقاتل النفس التى حرم الله ، لما وجب عليه حد ، احتياطاً من الله عز وجل

ألاّ يثبت هذه العظيمة فى مسلم ولا مسلمة .

ومن قول مالك رحمه الله أيضاً ، أنه لاحد فى الإسلام إلاّ والقتل يعنى عنه وينسخه إلاّ حد القذف ، فإنه إن وجب على من قد وجب عليه القتل حد ثم قتل . قال الله تعالى : « والذينَ يَرمُون المُحصَناتِ ثمَّ لم يأتوا بأربعة شُهداءَ فاجلِدوهُمْ ثمانينَ جَلْدةً ولا تَقْبلوا لهمْ شهادةً أبداً ، وأولئكَ هُمُ الفاسقونَ ، إلاّ الذين تـابوا »[٣٩]. وقال تعالى : « إنَّ الذينَ يَرمون المُحصناتِ الغافِلاتِ المؤمِناتِ لُعِنُوا فى الدنيا والآخرةِ ولهمْ عذابٌ عظيم »[٤٠]. وروىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الغضب واللعنة المذكوران فى اللعان إنهما مُوجبتان » .

حدثنا الهمدانى ، عن أبى إسحاق ، عن محمد بن يوسف ، عن محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عبد الله ، قال : حـدّثنا سليمان ، عن ثور بن يزيد ، عن أبى الغيث ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرّم الله إلا بالحق ، وأكْل الربا ، وأكْلُ مال اليتيم ، والتولّى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

وإنّ فى الزنا من إباحة الحريم ، وإفساد النسل ، والتفريق بين الأزواج الذى عظم الله أمره ، مالا يهون على ذى عقل ، أومن له أقل خلاق ! ولولامكان هذا العنصر من الإنسان ، وأنه غير مأمون الغلبة ، لما خفف الله عن البكرين ، وشدّد على المحصنين . وهذا عندنا ، وفى جميع الشرائع القديمة النازلة من عندالله عز وجل ، حكما باقياً لم ينسخ ولا أزيل ، فيترك الناظر لعباده الذى لم يشغله عظيم ما فى خلقه ، ولا يحيف قدرته كبير مافى عوالمه ، عن النظر لحقير مافيها ، فهو كما قال عزوجل : « الحَىُّ القيُّومُ لاتأْخُذُه سِنةٌ ولانَوْم »[٤١]. وقال : « يَعْلَمُ مايَلِجُ فى الأرضِ ومايَخْرُج منها وما يَنْزِلُ من السماءِ وما يَعْرجُ فيها »[٤٢]. وقال : « عالم الغيب لايَعزُبُ عنه

---

(٣٩) سورة النور ، الآية ٤ و ٥ .

(٤٠) سورة النور ، الآية ٢٣ .

(٤١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .

(٤٢) سورة سبأ ، الآية ٢ .

مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض »[٤٣] .

وإن أعظم مايأتى به العبد هتك ستر الله عز وجل فى عباده .

وقد جاء فى حُكْم أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فى ضربه الرجل الذى ضم صبيًّا حتى أمنى ضرباً كان سبباً للمنيّة . ومن إعجاب مالك رحمه الله باجتهاد الأمير الذى ضرب صبياً مكنّ رجلاً من تقبيله حتى أمنى الرجل ، ضربه إلى أن مات ، ماينسى شدة دواعى هذا الشأن وأسبابه . والتزيّد فى الاجتهاد ، وإن كنا لانراه ، فهو قول كثير من العلماء ، يتبعه على ذلك عالم من الناس .

وأما الذى نذهب إليه فالذى حدثناه الهمدانى ، عن البلخى ، عن الفريرى ، عن البخارى قال : حدّثنا يحيى بن سليمان ، حدّثنا ابن وهب قال : أخبرنى عمرو أنّ بكيراً حدّثه عن سليمان بن يسار ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه عن أبى بردة الأنصارى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يُجْلد فوق عشرة أسواط إلا فى حد من حدود الله عز وجل » . وبه يقول أبو جعفر محمد بن على النسائى الشافعى رحمه الله .

وأما فعل قوم لوط فشنيع بشيع ، قال الله تعالى : « أَتَأْتونَ الفاحِشَةَ ماسَبَقَكُمْ بها مِن أَحدٍ مِن العالمينَ »[٤٤]. وقد قذف الله فاعليه بحجارة من طين مُسَوَّمة . ومالك رحمه الله يرى علَى الفاعل والمفعول به الرجم أحصنا أو لم يحصنا ، واحتج بعض المالكية فى ذلك بأن الله عز وجل يقول فى رجمه فاعليه بالحجارة : « وما هى من الظالمين ببعيد »[٤٥] فوجب بهذا أنه من ظلم الآن بمثل فعلهم قربت منه ، والخلاف فى هذه المسألة ليس هذا موضعه .

وقد ذكر أبو إسحاق إبراهيم بن السرى[٤٦] أن أبا بكر رضى الله عنه أحرق

---

(٤٣) سورة سبأ ، الآية ٣

(٤٤) سورة الأعراف ، الآية ٨٠

(٤٥) سورة هود ، الآية ٨٣ .

(٤٦) أبو إسحاق إبراهيم السرى ، المعروف بالزجاج ، العالم اللغوى والنحوى الشهير ، تلميذ المبرد ، توفى عن ثمانين عاما تقريباً . سنة ٣١٠ هـ = ٩٢٢ م . انظر ترجمته فى :

- ياقوت : معجم الأدباء ، جـ١ ص ٤٧
- القفطى : إنباه الرواة بأنباء النحاة ، جـ١ ص ١٥٩ .

فيه بالنار . وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى[٤٧] اسم المحروق فقال : هو شجاع بن ورقاء الأسدى[٤٨] ، أحرقه بالنار أبو بكر الصديق ، لأنه يؤتى فى دبره كما تؤتى المرأة .

وإنّ عن المعاصى لمذاهب للعقل واسعة ، فما حرّم الله شيئاً إلا وقد عوّض عباده من الحلال ماهو أحسن من المحرم وأفضل ، لا إله إلا هو .

وأقول فى النهى عن اتباع الهوى على سبيل الوعظ :

أقولُ لنفسِى مامُبينٌ كحـــالكٍ ... وما النـاسُ إلاّ هالكٌ وابن هالكِ
صُنِ النفسَ عمّا عابَها وارفُضِ الهوَى ... فإنَّ الهوَى مفتاحُ بابِ المهالك
رأيتُ الهوَى سَهْلَ المبادِى لذيذَهَا ... وعُقباهُ مُرُّ الطعمِ ضَنْكُ المسالك
فما لذةُ الإنسانِ والموتُ بعدَهـــا ... ولو عاش ضِعْفَىْ عُمْرِ نوحِ بنِ لامِك
فلا تَتَّبِعْ داراً قليـــلاً لبلْهُـــا ... فقد أنذرَتْنَا بالفناء المُواشِك
وما تركُها إلاّ إذَا هِىَ أُمْكِنَتْ ... وكم تاركٍ إضمارُهُ غيرُ تارك
فما تاركُ الآمالِ عُجْباً جُؤاذِراً ... كتاركِها ذاتِ الضُروعِ الحواشِك
وما قابِلُ الأمرَ الذى كان راغباً ... بشهوةِ مُشْتاقٍ وعقلِ مُبارِكِ
لأَجْدَى عبادَ اللهِ بالفوزِ عِندَهُ ... لدى جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ فوقَ الأرائك
ومن عرفَ الأمرَ الذى هو طالِبٌ ... رأَى سَبَباً مافى يَدىْ كلِّ مالك
ومن عرفَ الرحمنَ لم يعصِ أمرَهُ ... ولو أنَّهُ يُعْطَى جميعَ الممالك
سبيلُ التُّقى والنُسكِ خيرُ المسالكِ ... وسالكُها مُستبصرٌ خيرُ سالك
فما فقد التنغيص من عاج دُونها ... ولا طاب عيشٌ لامرئ غير ماسك
وطوبى لأقوامٍ يؤمّون نحوهـــا ... بخفّةِ أرواحٍ ولينِ عرائك

---

(٤٧) أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ولد فى البصرة لأبوين يهوديين عام ١١٠ هـ = ٧٢٨ م ، وكان تلميذاً للعالم الجليل أبى عمرو بن العلاء ، وعرف بميوله الخارجية والشعوبية ، وألف فى النحو واللغة والأمثال ، وله كتاب فى مثالب العرب ، وآخر فى « أيام العرب » ، كان مصدراً رئيسياً لأبى الفرج الأصفهانى فى كتابه « الأغانى » ، ولابن الأثير فى كتابه « الكامل فى التاريخ » ، وتوفى فى البصرة عام ٢٠٩ هـ - ٨٢٥م . انظر :

- ياقوت : معجم الأدباء ، جـ٧ ص ١٦٤
- الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ١٣ ص ٢٥٢
- Huart Clément : Histoire de la littérature arabe, trad. espagnola, p. 144, Buenos Aires 1947.

(٤٨) شجاع بن ورقاء الأسدى : لم أجد له ترجمة فيما بين يدى من المصادر .

لقد فقدوا غلَّ النفوس وفضّلوا بعزِّ سلاطين وأمْنِ صعالك
فعاشوا كما شاءوا وماتوا كما اشتهوا وفازوا بدارِ الخلدِ رَحْبِ المبارك
عَصَوْا طاعة الأجساد فى كل لذّةٍ بنور محلٌّ ظلمةَ الغىِّ هاتك
فلولا اعتدادُ الجسم أيقنتَ أنهمْ يعيشون عيْشاً مثلَ عيشِ الملائك
فيارب قدّمْهُم وزدْ فى صلاحهمْ وصلِّ عليهمْ حيثُ حلُّوا وبَاركِ
ويانفسُ جِدّى لاتملِّ وشمّرى لنيلِ سرورِ الدهرِ فيما هنالك
وأنتِ متى دمّرْتِ سعيَك فى الهوى علِمْتِ بأنَّ الحقَّ ليس كذلك
فقد بيَّنَ اللهُ الشريعة للـــورى بأبْينَ مِن زُهْرِ النجومِ الشوابك
فيانفسُ جِدّى فى خَلاصكِ وانفُدى نفاذَ السيوفِ المُرْهَفاتِ البواتك
فلوْ أعملَ الناسُ التفكُّرَ فى الذى له خُلِقُوا ما كان حيٌّ بِضاحِكِ

obeikandl.com

## ٣٠

# باب فضل التعفف

ومن أفضل مايأتيه الانسان فى حبه التعفف ، وترْك ركوب المعصية والفاحشة ، وألاّ يرغب عن مجازاة خالقه له بالنعيم فى دار المقامة ، وألاّ يعصى مولاه المتفضل عليه الذى جعله مكانا وأهلا لأمره ونهيه ، وأرسل إليه رسله ، وجعل كلامه ثابتا لديه ، عناية منه بنا ، وإحسانا إلينا .

وإن من هام قلبه ، وشغل باله ، واشتد شوقه ، وعظم وجده ، ثم ظفر فرام هواه أن يغلب عقله وشهوته ، وأن يقهر دينه ، ثم أقام العدل لنفسه حصنا ، وعلم أنها النفس الأمارة بالسوء ، وذكرها بعقاب الله تعالى ، وفكر فى اجترائه على خالقه وهو يراه ، وحذّرها من يوم المعاد ، والوقوف بين يدى الملك العزيز ، الشديد العقاب ، الرحمن الرحيم الذى لا يحتاج إلى بينة ، ونظر بعين ضميره إلى انفراده عن كل مدافع بحضرة علاّم الغيوب ، « يوم لاينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلاّ مَنْ أتَى اللهَ بقلبٍ سليم »(١) ، « يوم تُبدَّلُ الأرضُ غيْرَ الأرضِ والسمواتُ »(٢) ، « يومَ تَجِدُ كلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَودُّ لوْ أنَّ بينها وبينَهُ أمداً بعيداً »(٣) ، يوم« وعَنَتِ الْوجُوهُ للحىِّ القيُّوم وقد خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلماً »(٤) ، يوم« وَوَجَدُوا ماعَمِلُوا حاضِراً ولا يَظْلِمُ رَبُّكَ أحَداً »(٥) ، يوم الطامة الكبرى ، « يوم يَتَذكَّرُ الإنْسانُ ماسعَى وبُرِّزَتِ الجحيمُ لِمَنْ يرى ، فأما منْ طغى وآثَرَ الحياة الدُّنيا فإنَّ الجَحِيمَ هى المأوَى . وأمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ ربِّهِ ونهى النفْسَ عَنِ الهوَى فإنَّ الجنَّةَ هى المأوَى »(٦) ، واليوم الذى قال الله تعالى فيه : « وكُلَّ إنْسانٍ ألْزَمناهُ طائرَهُ فى عُنُقِهِ ونُخرِجُ لهُ يومَ القيامَةِ كتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً . اقرأ

---

(١) سورة الشعراء ، الآيتان ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) سورة الحجر ، الآية ٤٨ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٣٠ .

(٤) سورة طه ، الآية ١١١

(٥) سورة الكهف ، الآية ٤٩ .

(٦) سورة النازعات ، الآيات : ٣٥ إلى ٤١ .

كتابَكَ كَفَى بنفسِكَ اليْومَ عليْكَ حَسيباً »[٧] عندها يقول العاصى : « يا وَيْلَتَنَا ! مالهذا الكتابُ لايغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصْاها »[٨]. فكيف بمن طوى قلبه على أحر من جمر الغضى ، وطوى كشحه على أحد من السيف ، وتجرّع غصصاً أمر من الحنظل ، وصرف نفسه كرها عماطمعت فيه ، وتيقّنت ببلوغه ، وتهيأت له ، ولم يحل دونها حائل ، لحرّىً أن يسرَّ غداً يوم البعث ، ويكون من المقربين فى دار الجزاء وعالم الخلود ، وأن يأمن روعات القيامة وهول المطلع ، وأن يعوّضه الله من هذه القرحة الأمن يوم الحشر .

حدثنى أبو هارون بن موسى الطبيب[٩] قال : رأيت شاباً حسن الوجه من أهل قرطبة ، قد تعبدّ ورفض الدنيا ، وكان له أخ فى الله قد سقطت بينهما مؤونة التحفظ ، فزاره ذات ليلة وعزم على المبيت عنده ، فعرضت لصاحب المنزل حاجة إلى بعض معارفه بالبعد عن منزله ، فنهض لها على أن ينصرف مسرعاً . ونزل الشاب فى داره مع امرأته ، وكانت غاية فى الحسن ، وتِرباً للضيف فى الصبى ، فأطال رب المنزل المقام إلى أن مشى العسس ولم يمكنه الانصراف إلى منزله ، فلما علمت المرأة بفوات الوقت ، وأن زوجها لايمكنه المجيء تلك الليلة ، تاقت نفسها إلى ذلك الفتى ، فبرزت إليه ودعته إلى نفسها ، ولا ثالث لهما إلا الله عز وجل ، فهمّ بها ثم ثاب إليه عقله ، وفكّر فى الله عز وجل ، فوضع إصبعه على السراج فتفقع ثم قال : يانفس ذوق هذا ، وأين هذا من نار جهنم فهال المرأة مارأت ، ثم عاودته فعاودته الشهوة المركبة فى الإنسان ، فعاد إلى الفعلة الأولى . فانبلج الصباح وسبابته قد اصطلمتها النار[١٠] .

أفتظن بلغ هذا من نفسه هذا المبلغ إلا لفرط شهوة قد كلبت عليه ؟ أوترى أن الله

---

(٧) سورة الإسراء الآيتان : ١٣ و ١٤

(٨) سورة الكهف ، الآية ٤٩ .

(٩) لم أستطع تحديد شخصية الطبيب أبى هارون بن موسى ، ويبدو أنه يهودى ، ولم أجد له أية ترجمة فيما بين يدى من مصادر .

(١٠) هذه القصة تشبه حكاية وردت فى كتاب « حياة الآباء Vitae Patrum" لمؤلفه Rosweyde ومؤداها أن راهباً مسيحياً من طيبة ، أحرق أصابعه بالنار ليقاوم محاولة إغراء من امرأة عارية ، انظر :

• Asin Palacios : Abenhàzam, 1, 57.

تعالى يضيع له المقام ؟ كلاّ إنه لأكرم من ذلك وأعلم .

ولقد حدثتنى امرأة أثق بها ، أنها علقها فتى مثلها من الحسن وعلقته ، وشاع القول عليهما ، فاجتمعا يوماً خاليين فقال : هلمى نحقق مايقال فينا ، فقالت : لا والله لا كان هذا أبداً ، وأنا أقرأ قول الله : « الأخِلاّءُ يومئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلاّ المتقين »[١١] . قالت فما مضى قليل حتى اجتمعنا فى حلال[١٢] .

ولقد حدثنى ثقة من إخوانى ، أنه خلا يوماً بجارية كانت له مفاركة فى الصبى ، فتعرضت لبعض تلك المعانى فقال لها : كلا . إنّ مِن شُكْرِ نعمة الله فيما منحنى من وصالك ، الذى كان أقصى آمالى ، أن أجتنب هواى لأمره ، ولعمرى إن هذا لغريب فيما خلا من الأزمان ، فكيف فى مثل هذا الزمان الذى قد ذهب خيره وأتى شره .

وما أقدّر فى هذه الأخبار – وهى صحيحة – إلاّ أحد وجهين لاشك فيهما : إمّا طبع قد مال إلى غير هذا الشأن ، واستحكمت معرفته بفضل سواه عليه ، فهو لايجيب دواعى الغزل فى كلمة ولا كلمتين ، ولا فى يوم ولا يومين ، ولو طال على هؤلاء الممتحنين ما امتحنوا به لجادت طباعهم ، وأجابوا هاتف الفتنة ، ولكنّ الله عصمهم بانقطاع السبب المحرك ، نظراً لهم ، وعلماً بما فى ضمائرهم من الاستجابة ، من القبائح ، واستدعاء الرشد ، لا إله إلا هو .

وإما بصيرة حضرت فى ذلك الوقت ، وخاطر تجرّد انقمعت به عوالم الشهوة فى ذلك الحين ، لخير أراد الله عز وجل لصاحبه ، جعلنا الله ممن يخافه ويرجوه آمين .

وحدّثنى أبو عبدالله محمد بن عمرو بن مضاء[١٣]، عن رجال من بنى مروان ثقات[١٤]، يسندون الحديث إلى أبى العباس الوليد بن غانم[١٥]، أنه ذكر أنّ الإمام

---

(١١) سورة الزخرف ، الآية ٦٧ .

(١٢) نقل داود الأنطاكى عن ابن حزم هذه القصة ، فى كتابة تزيين الأسواق ، ص ٨

(١٣) أورد له الضبى فى « البغية » ترجمة موجزة ، لم يزد فيها عن القول : « من أهل الأدب ، مشهور بالفضل » . الترجمة رقم ٢٢٥ .

(١٤) بنو مروان ، أى أسرة بنى أمية التى حكمت الأندلس ، إمارة وخلافة ، من ٧٥٥ م إلى ١٠٣١ م

(١٥) أبو العباس ، الوليد بن عبد الرحمن بن عبد الحميد بن غانم ، من كبار رجال الدولة فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ( ٨٥٢م – ٨٨٦م ) تولى له خطتى الوزارة والمدينة ، وقاد جيش الصائفة لابنه عبد الرحمن بن

عبد الرحمن بن الحكم(١٦)غاب فى بعض غزواته شهوراً ، وثقف القصر بابنه محمد(١٧) الذى ولى الخلافة بعده ، ورتبه فى السطح ، وجعل مبيته ليلاً وقعوده نهاراً فيه . ولم يأذن له فى الخروج ألبتة : ورتّب معه فى كل ليلة وزيراً من الوزراء ، وفتى من أكابر الفتيان ، يبيتان معه فى السطح .

قال أبو العباس : فأقام على ذلك مدة طويلة ، وبعد عهده بأهله ، وهو فى سن العشرين أو نحوها ، إلى أن وافق مبيتى فى ليلتى نوبة فتى من أكابر الفتيان ، وكان صغيراً فى سنه ، وغاية فى حسن وجهه .

قال أبوالعباس : فقلت فى نفسى : إنى أخشى الليلة على محمد بن عبد الرحمن الهلاك بمواقعة المعصية ، وتزيين إبليس وأتباعه له ، قال : ثم أخذت مضجعى فى السطح الخارج ، ومحمد فى السطح الداخل ، المطل على حرم أمير المؤمنين ، والفتى فى الطرف الثانى القريب من المطلع ، فظللت أرقبه ولا أغفل ، وهو يظن أنى قد نمت ، ولا يشعر باطلاعى عليه .

قال : فلما مضى هزيع من الليل ، رأيته قد قام ، واستوى قاعداً ساعة لطيفة ، ثم تعوّذ من الشيطان ، ورجع إلى منامه . ثم قام بعد حين ، ولبس قميصه واستوفز ، ثم نزعه عن نفسه ، وعاد إلى منامه . ثم قام الثالثة ولبس قميصه ، ودلّى رجليه من السرير ، وبقى كذلك ساعة ، ثم نادى الفتى باسمه فأجابه ، فقال له انزل عن السطح ، وابق فى الفصيل الذى تحته . فقام الفتى مؤتمراً له . فلما نزل قام محمد ، وأغلق الباب من داخله ، وعاد إلى سريره .

قال أبو العباس : فعلمت من ذلك الوقت أن لله فيه مراد خير .

---

محمد ، وكان كاتباً مرسلا بليغاً ، وابناه محمد وعبد الرحمن من أهل الأدب والبلاغة والشعر ، وقد توفى وليد فى شعبان عام ٢٩٢ هـ – ٩٠٥ م فى رواية ابن حيان ، وعام ٢٧٢ هـ = ٨٨٥ م فى رواية ابن الأبار . انظر :

• ابن حيان : المقتبس ، القطعة التى نشرها الدكتور محمود على مكى ، ص ١٧٢ – ١٧٥ وفى أمكنة أخرى .

• ابن الأبار : الحلة السيراء ، جـ٢ ص ٣٧٤ .

(١٦) أى عبدالرحمن الأوسط ، وحكم من ٨٢١ إلى ٨٥٢ م ، وهو ابن الحكم الأول ، وحكم من٧٩٦ - ٨٢١ م ، ويعرف أحياناً باسم الحكم الربضى ، لثورة الربض التى انفجرت ضده بقيادة الفقهاء فى قرطبة على أيامه .

(١٧) الأمير محمد ، وسيتولى الإمارة بعد وفاة أبيه عبدالرحمن عام ٨٥٢ ، وبقى فيها حتى وفاته عام ٨٨٦ م .

حدثنا أحمد بن محمد بن الجسور(١٨) ، عن أحمد بن مطرف(١٩) ، عن عبيدالله ابن يحيى(٢٠) ، عن أبيه ، عن مالك ، عن حبيب بن عبد الرحمن الأنصارى ، عن حفص بن عاصم ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لاظل إلاّ ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلّق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا فى الله ، اجتمعا على ذلك وتفرقا ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال إنى أخاف الله . ورجل تصدق صدقة فأخفى حتى لاتعلم شماله ماتنفق يمينه » .

وإنّى أذكر أنى دُعيت إلى مجلس فيه بعض من تستحسن الأبصار صوته ، وتألف القلوب أخلاقه ، للحديث والمجالسة دون منكر ولا مكروه ، فسارعت إليه ، وكان هذا سحراً . فبعد أن صليت الصبح ، وأخذت زيى طرقنى فكر ، فسنحت لى أبيات ، ومعى رجل من إخوانى فقال لى : ما هذا الإطراق ؟ فلم أجبه حتى أكملتها ، ثم كتبتها ودفعتها إليه ، وأمسكت عن المسير حيث كنت نويت . ومن الأبيات :

---

(١٨) يكنى أبا عمر ، قرطبى ، مولى لبنى أمية ، أول شيخ درس عليه ابن حزم ، فى مرحلة مابعد التعليم الأولى ، وكان واسع الثقافة فى التاريخ ، حافظاً للرأى والحديث ، أديبا شاعرا صديقاً حميما لوالد ابن حزم ، وقد درس عليه ابن حزم مادة التاريخ . وعمل ابن الجسور كاتبا للقاضى منذر بن سعيد . وخلفه فى خطة الشورى . وكان يعقد الوثائق دون أن يتخذ من ذلك مهنة له . وكانت وفاته فى الطاعون الذى إجتاح قرطبة ، فى منزله ببلاط معيث ، فى قرطبة يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذى القعدة ، عام ٤٠١ هـ = ١٠١٠ . انظر :

- الضبى : البغية ، الترجمة رقم ٣٣٦ .
- ابن بشكوال : الصلة ، الترجمة رقم ٣٩ .
- Asin Palacios : op. cit., vol. I, p. 98.

(١٩) أحمد بن مطرف بن هانى الجهنى ، يكنى أبا عمر ، من أهل قرطبة ، كان على هدى وسنة ، مجانبا لأهل البدع ، حافظا مجودا للقرآن وقتل شهيدا بجبل قنليش ، عام ٤٠٠ هـ - ١٠٠٩ م . انظر :

- ابن بشكوال : الصلة ، الترجمة رقم ٢٨ .

(٢٠) عبيدالله بن يحيى بن يحيى ، يكنى أبامروان ، وسبق أن ترجمنا لأبيه يحيى بن يحيى الليثى ، فى الباب الرابع ، الهامش رقم ٢٩ ، وكان عبيد الله كأبيه ، رحل إلى المشرق حاجا وتاجراً وطالباً ، وسمع ببغداد ومصر . وكان واسع المال ، عظيم الجاه ، مشاوراً فى الأحكام . أنظر :

- ابن الفرضى : البغية ، الترجمة رقم ٧٦٢ .
- ابن فرحون : الديباج المذهب ، ص ١٤٦ .

أَراقك حُسْنٌ غيْبُهُ لك تأْريق وتبريدُ وصْلٍ سِرُّهُ فيك تحْريقُ
وقُرْبُ مزارٍ يقتضِي لك فُرْقَةً وَشِيكاً ولولا القربُ لم يكُ تَفْريق
ولـذَّةُ طَعْمٍ مُعْقبٍ لك علقماً وصاباً وفَسْحٌ فى تضاعِيفه ضِيق

ولو لم يكن جزاء ولا عقاب ولاثواب لوجب علينا إفناء الأعمار ، وإتعاب الأبدان ، وإجهاد الطاقة ، واستناد الواسع ، واستفراغ القوة فى شكر الخالق ، الذى ابتدأنا بالنعم قبل استئهالها ، وامتن علينا بالعقل الذى به عرفناه ، ووهبنا الحواس والعلم والمعرفة ودقائق الصناعات ، وصرف لنا السموات جارية بمنافعها ، ودبرنا التدبير الذى لوملكنا خلقنالم نهتد إليه ، ولانظرنا لأنفسنا نظره لنا ، وفضلنا على أكثر المخلوقات ، وجعلنا مستودع كلامه ، ومستقر دينه ، وخلق لنا الجنةدون أن نستحقها ، ثم لم يرض لعباده أن يدخلوها إلا بأعمالهم لتكون واجبة لهم ، وقال الله تعالى . « جزاءً بما كانوا يَعْمَلون »(٢١) ورشدنا إلى سبيلها ، وأبصرنا وجه ظلها ، وجعل غاية إحسانه إلينا ، وامتنانه علينا ، حقاً من حقوقنا قبله ، ودينا لازماً له ، وشكرنا على ما أعطانا من الطاعة التى رزقنا قواها ، وأثابنا بفضله على تفضله .

هذا كرم لاتهتدى إليه العقول ، ولا يمكن أن تكيّفه الألباب ، ومن عرف ربه ، ومقدار رضاه وسخطه ، هانت عنده اللذات الذاهبة ، والحطام الفانى ، فكيف وقد أتى من وعيده ماتقشعر لسماعه الأجساد . وتذوب له النفوس ، وأورد علينا من عذابه مالم ينته إليه أمل ، فأين المذهب عن طاعة هذا الملك الكريم ، ومارغبة فى لذة ذاهبة لاتذهب الندامة عنها ، ولا تفنى التباعة منها ، ولايزول الخزى عن راكبها ، وإلى كم هذا التمادى وقد أسمعنا المنادى ، وكأن قد حدابنا الحادى إلى دار القرار ، فإما إلى الجنة وإما إلى نار ، ألا إن التنشط فى هذا المكان لهو الضلال المبين ، وفى ذلك أقول :

أَقْصَرَ عن لَهْوِه وعن طـــــربِهْ وعفَ فى حبِّه وفى عُرُبِـــــهْ
فليس شُرْبُ المُدامِ هِمَّتَهُ ولا اقتناصُ الظِباءِ مِن أَرِبِهْ
قد آنَ للقلبِ أنْ يُفيقَ وأَنْ يُزيلَ ماقدْ عَلاَهُ مِن حُجُبِهْ
أَلهـاهُ عمَّا عَهِدتُ يُعجِبُهُ خِيفَةُ يَوْمٍ تُبْلَى السرائرُ بِهْ

(٢١) سورة السجدة ، الآية ١٧ .

يانفسُ جِدِّى وسمِّرِى ودمى ... عنكِ اتباعَ الهوَى على لَغَبهْ
وسارِعِى فِى النجاةِ واجْتهدِى ... ساعِيَةً فِى الخلاصِ مِن كُرَبهْ
عَلَّىَ أحْظَىَ بالفوْزِ فيـــهِ وأَنْ ... أَنْجوَ مِن ضِيقهِ ومن لَهَبهْ
يَاأيُّهـــاَ اللاعِبُ المجدُّ بهِ الـ ... ـدهرُ أمَا تَتَّقِى شبَا نُكَبهْ
كفاكَ مِن كلِّ ماوُعِظْتَ بهِ ... ما قدْ أراكَ الزمانُ مِن عَجبهْ
دَعْ عنكَ داراً تفنَى غَضارَتُها ... ومَكْسَباً لاعِباً بِمكْتَسَبهْ
لم يَضْطَرِبْ فى محلِّها أحـــدٌ ... إلاَّ نَبَا حدُّهاَ بِمضْطَربهْ
مَنْ عرفَ اللهَ حقَّ معرفةٍ ... لوى وحلَّ الفؤادُ فى رهَبهْ
ما مُنْقضِى المُلْكِ مثلُ خالدِه ... ولا صحيحُ التقَى كمُؤْتَشِبهْ
ولا تَقِىُّ الورَى كفاسِقهِمْ ... وليسَ صدقُ الكلامِ من كذِبهْ
فلو أَمِنَّا مِن العِقابِ ولم ... نخشَ مِن اللهِ مُتَّقَى غَضَبهْ
ولم نخفْ نارَهُ التى خُلِقتْ ... لكلِّ جانِى الكلامِ مُحْتقِبهْ
لكانَ فرْضاً لزومُ طاعتِـــهِ ... وردُّ وَفْدِ الهوَى علَى عقِبه
وصحَّةُ الزهْدِ فى البقاءِ وأَنْ ... يُلحقَ تفنيدُنَا بِمُرْتقِبـــهْ
فقد رَأَيْناَ فِعْلَ الزمانِ بأهْـ ... ـليه كفِعْلِ الشواظِ فى حطَبهْ
كـم مُتْعبٍ فى الإله مُهْجتَهُ ... راحتُهُ فى الكريهِ من تعَبهْ
وطالبٍ باجتهادِهِ زهْرةَ الـ ... ـدنيا عداهُ المَنونُ عن طلَبهْ
ومُدْركٍ ماابتغاهُ ذِى جَدَلٍ ... حلَّ بهِ ما يخافُ من سَبَبهْ
وباحثٍ جاهـــدٍ لِبُغْيتِهِ ... فإنَّما بحثُهُ على عَطَبـــهْ
بَيْناَ ترَى المرءَ سامياً مَلِكاً ... صارَ إلى السُّفْلِ مِن ذُرَى رُتَبهْ
كالزَّرْعِ للرِجْلِ فوقَهُ عملٌ ... أنْ يَمَّ حُسْنُ النُّمُوِّ فى قَصَبهْ
كم قاطعٍ نفسَهُ أسىً وشجاً ... فى إثْرِ جَـــدٍّ يَجِدُّ فى هَرَبهْ
أليس فى ذاكَ زاجِرٌ عَجَبٌ ... يزيدُ ذا اللبِّ فى حُلَى أدَبهْ
فكيف والنارُ للمسىءِ إذا ... عاجَ عن المستقيمِ مِن عَقِبهْ
ويومَ عَرْضِ الحسابِ يَفْضَحُه الـ ... ـلَّهُ ويُبدِى الخفِىَّ مِن رِيَبهْ
مَن قد حباهُ الإلهُ رحمَتَهُ ... موصولةً بالمزيدِ مِن نَشَبهْ

فصار مِن جهلِهِ يصرِّفُها ... فيما نهىَ اللهُ عنه فى كُتُبِهْ
أليس هذا أحرَى العبادِ غداً ... بالوقْع فى وَيْلِهِ وفى حَرَبِهْ
شكراً لربٍّ لطيفُ قُدْرَتِهِ ... فينا كَحبْلِ الوريدِ فى كَثَبِهْ
رازِقِ أهلِ الزمانِ أجمعِهِمْ ... مَن كان مِن عَجَمِهِ ومِنْ عَرَبِهْ
والحَمْـدُ للهِ فى تَفضُّلِهِ ... وقَمْعِهِ للزمانِ فى نُوَبِهْ
اخْـدَمَنَا الأرضَ والسماءَ ومَنْ ... فى الجوِّ من مائِهِ ومِن شُهُبِهْ
فاسمَعْ ودَعْ مَن عصاهُ ناحيةً ... لاَ يحْمِلُ الحَمْلَ غيرُ مُحْتطِبِهْ

وأقول أيضاً :

أعارتكَ دنيا مُسْتَرِدٌّ مُعارُهـا ... غضارةَ عيشٍ سوف يذوِى اخْضِرارُها
وهل يتمنَّى المحْكَمُ الرأيِ عيشةً ... وقد حان مِن دَهْمِ المنايا مَزارُها
وكيف تلذُّ العينُ هجعةَ ساعةٍ ... وقد طالَ فيما عَايَنَتْهُ اعتبارها
وكيف تَقِرُّ النفسُ فى دارِ نَقْلةٍ ... قد استَيْقَنَتْ أنْ ليس فيها قرارها
وأنَّى لها فى الأرض خاطِرُ فكْرةٍ ... ولم تدْرِ بعد الموتِ أين مَحَارُها
أليس لها فى السعْيِ للفوزِ شاغلٌ ... أمَا فى توقيها العذابَ ازدِجارُها
فخابت نفوسٌ قادها لهُو سـاعةٍ ... إلى حرِّ نارٍ ليسَ يُطْفَى أوارها
لها سائقٌ حادٍ حثيثٌ مبـادِرٌ ... إلى غيرِ ماأضحَى إليهِ مـدارُها
تُرادُ لأمْرٍ وهىَ تطلب غيرَهُ ... وتقصدُ وجْهاً فى سواهُ سِفارها
أمسرعةٌ فيما يسوءُ قيـامَهَا ... وقد أيقَنَتْ أنَّ العذابَ قُصارها
تُعَطِّلُ مَفروضاً وتَغْنَى بفضْلةٍ ... لقد شفَّها طُغيانُها واغترارُها
إلى ما لَهَـا مِنْهُ البلاءُ سكُونُها ... وعمَّا لهـا منه النجاحُ نِفارُها
وتُعرِضُ عن ربٍّ دعاها لرشدِها ... وتَتْبعُ دنيا جَدَّ عنها فِرارها
فيا أيُّها المغرورُ بادرْ برجعـةٍ ... فللهِ دارٌ ليسَ تخمُد نارها
ولا تتخير فانياً دونَ خالدٍ ... دليلٌ على محضِ العقولِ اختيارُها
أتعلمُ أنَّ الحقَّ فيما تركتَـه ... وتسلكُ سُبْلاً ليسَ يخفَى عَوَارُها
وتتركُ بيضاءَ المناهجِ ضَلَّةً ... لبهماءَ يُؤذِى الرِجْلَ فيها عثارُها
تَسُرُّ بلهوٍ مُعْقِبٍ بنـدامةٍ ... إذا ما انقضَى لاينقضى مُسْتثارها

وتَفْنى الليالى والمسرّاتُ كلُّها ... وتبقى تِباعاتُ الذنوبِ وعارها
فهل أنت يامغبونُ مستيقظٌ فقدْ ... تبيَّن من سرِّ الخطوبِ استتارُها
فعجِّلْ إلى رضوانِ ربِّكَ واجتنبْ ... نواهيهُ إذ قدْ تجلَّى منارها
يُجِدُّ مرورَ الدهرِ عنك بلاعبٍ ... وتُغْرَى بدنيا ساء فيك سِرارها
فكم أُمَّةٍ قد غرَّها الدهرُ قبلنا ... وهاتيكَ منها مقفراتٌ ديارها
تذكَّرْ على ماقد مضى واعتبر بهِ ... فإنَّ المذكِّى للعقولِ اعتبارها
تحامَى ذُراها كلُّ باغٍ وطالبٍ ... وكان ضماناً فى الأعادِى انتصارُها
توافتْ ببطنِ الأرضِ وانشتَّ شملُها ... وعادَ إلى ذى مُلْكَةٍ إستعارها
وكم راقدٍ فى غفْلةٍ عن منيةٍ ... مُشمِّرةٍ فى القصْدِ وهو سعارها
ومَظْلَمةٍ قـــد نالهـــا مُتسلِّطٌ ... مُدِلٌّ بأيْدٍ عند ذى العرْشِ ثارها
أراكَ إذا حاولتَ دنياك ساعياً ... على أنَّهـا بادٍ إليكَ ازْورارها
وفى طاعةِ الرحمنِ يُقْعدك الونَى ... وتُبدِى أناةً لايصحُّ اعتذارها
تُحاذِرُ إخواناً ستفنَى وتَنْقضِى ... وتَنْسَى التى فَرضٌ عليك حِذارها
كأنِّى أرَى منك التبرُّمَ ظاهراً ... مُبيناً إذا الأقدارُ حلَّ اضطرارها
هناك يقول المرءُ من لى بأعْصُرٍ ... مضتْ كان مِلْكا فى يدىَّ خيارها
تَنبَّهْ ليومٍ قد أظلَّك وردُهُ ... عصيبٍ يُوافى النفسَ فيها احتضارها
تبرَّأْ فيـهِ منك كلُّ مُخالِطٍ ... وإنَّ مِن الآمالِ فيهِ انهيارُها
فـأُودِعْتَ فى ظلماءِ ضَنْكٍ مَقرُّها ... يلوحُ عليها للعيونِ اغْبرارها
تُنادَى فلا تدرِى المنادىَ مُفْرَدًا ... وقد حُطَّ عن وجهِ الحياةِ خِمارها
تُنـادَى إلى يومٍ شديدٍ مُفَزِّعٍ ... وساعةِ حَشْرٍ ليس يَخفَى اشتهارها
إذَا حُشِرَتْ فيه الوحوشُ وجُمِّعَتْ ... صحائفُنا وانثالَ فينا انتشارها
وَزُيِّنتْ الجنّاتُ فيه وأُزْلِفَتْ ... وأُذْكِىَ من نارِ الجحيمِ استعارها
وكُوِّرتِ الشمْسُ المنيرةُ بالضحى ... وأسرَعَ من زُهْرِ النجومِ انْكِدارها
لقد -جلَّ أمرٌ كان منه انتظامُها ... وقد حلَّ أمرٌ كان منه انتشارها
وسُيِّرتِ الأجبال والأرضُ بُدِّلتْ ... وقد عُطِّلَتْ من مالكيها عِشارها

فإمّا لدارٍ ليس يفنىَ نعيمُها وإمّا لدارٍ لا يُفَكُّ إسارُها
بحضرةِ جبّارٍ رفيقٍ مُعاقبٍ فَتُحْصىَ المعاصِى كُبْرُها وصِغارها
ويندمُ يومَ البعثِ جانِى صِغارِها وتُهْلِكُ أهلِيها هناكَ كِبارها
ستُغْبَطُ أجسادٌ وتحيا نفوسُها إذا مااستوَى إسرارُها وجهارها
إذا حقَّهمْ عفوُ الإلهِ وفَضْله وأسكنَهمُ داراً حلالاً عُقارها
سيلحقُهُمْ أهلُ الفُسوقِ إذا استوَى بحَلْبَةِ سَبْقٍ طرفُهَا وحمِارها
يَقِرُّ بنو الدنيا بدنياهُمُ التى يُظَنُّ على أهلِ الحظوظِ اقتصارها
هى الأمُّ خير البرِّ فيها عُقوقُها وليس بغيرِ البذْل يُحْمَى ذِمارها
فما نال منها الحظَّ إلا مُهِينُها وما الهُلْكُ إلاّ قُرْبُها واعتمِارها
تهافتَ فيها طامعٌ بعد طـــامعٍ وقد بان للُّبِّ الذكىِّ اختبارها
تَطـامنْ لِغَمْرِ الحادثاتِ ولا تكُنْ لها ذا اعتمارٍ يَجْتنيكَ غِمارها
وإيَّاكَ أن تغترَّ منها بما ترَى فقد صحَّ فى العقلِ الجلىِّ عِيارها
رأيتُ ملوكَ الأرضِ يبغون عُدَّةً ولذَّةَ نفْسٍ يستطاب اجترارها
وخلَّوا طريقَ القصْدِ فى مبتغاهُمُ لمُتبِعِهِ الصِفَارُ جَمّ صِغارها
وإنَّ التى يَبْغون نَهْجَ بقيـــةٍ مكينٌ لطلاَّب الخلاص اختصارها
هل العزُّ إلاّ هِمَّةٌ صحَّ صونُها إذا صان هِمَّاتِ الرجالِ انكسارُها
وهل رابحٌ إلاّ امرؤ متوكِّلٌ قنوعٌ غنىُّ النَفسِ بادٍ وقارُها
ويلقَىَ ولاةُ الملكِ خَوْفاً وفكرةً تَضيق بها ذرْعاً ويَفنَىَ اصطبارها
عِياناً نرى هذا ولكنَّ سَكْرَةً أحاطتْ بنا ما إنْ يَفيق خُمارها
تدبَّرْ مِن البانى على الأرضِ سقْفَهَا وفى علمِه مَعْمورُها وقفارها
ومَنْ يُمْسكُ الأجرامَ والأرضَ أمْرُهُ بلا عَمدٍ يُبْنَى عليه قرارها
ومن قدَّرَ التدبيرَ فيها بحكمةٍ فصحَّ لديْها ليلُها ونهارها
ومن فَتَقَ الأمواهَ فى صفْح وجهِها فمنها يُغذَّى حبُّها وثمـــارها
ومن صيَّر الألوانَ فى نَوْر نَبْتِها فأشرقَ فيها وردُها وَبَهَارها
فمنهنَّ مُخْضَرٌّ يروقُ بَصيصه ومنهنَّ مايغشَى اللِحاظَ احمرارها
ومن حَفَرَ الأنهارَ دون تكلُّفٍ فثارَ من الصُمِّ الصِلابِ انفجارها

ومن رتَّبَ الشمسَ المنيرَ ابيضاضُها ... غُدُوًّا ويبدو بالعشيِّ اصفرارها
ومن خَلَقَ الأفلاكَ فامتدَّ جريُها ... وأَحْكمها حتى استقام مَدارها
ومنَ إنْ ألمَّتْ بالعقول رَزِيَّةٌ ... فليس إلى حيٍّ سواه افتقارها
تَجِدْ كَل هذا راجعٌ نحو خالقٍ ... له مُلْكُها مُنقادَةٌ وائتمارها
أبانَ لنا الآياتِ فى أنبيائِه ... فأمكنَ بعد العجزِ فيها اقتدارها
فأنطقَ أفواهاً بألفاظِ حكْمةٍ ... وما حلَّها إثْغارُها واتغارها
وأبرزَ مِن صُمِّ الحجارةِ ناقةً ... وأسمَعَهُمْ فى الحينِ منها حِوارها
ليُوقنَ أقوامٌ وتكفُرَ عصْبَةٌ ... أتاها بأسبابِ الهلاكِ قِدارها
وشقَّ لموسى البحرَ دون تكلُّفٍ ... وبانَ مِن الأمواجِ فيه انحسارها
وسلَّمَ مِن نارِ الأنوقِ خَليلَهُ ... فلم يُؤْذِهِ إحراقُها واعتِرارها
ونَجَّى من الطوفان نوحاً وقد هَدَتْ ... به أمَّةٌ أبدَى الفسوقَ شرارها
ومكَّنَ داوداً بأيْدٍ وابنَهُ ... فتعسيرُها مُلْنٌ لهُ وبدارُها
وذلَّلَ جبَّارَ البلادِ لأمرِه ... وعلَّمَ مِن طَيْرِ السماء حوارها
وفضَّلَ بالقرآنِ أمَّةَ أحْمدٍ ... ومكَّنَ فى أقصَى البلادِ مُغارها
وشقَّ له بدَرَ السماءِ وخصَّهُ ... بآياتٍ حقٌّ لا يَحُلُّ مُعارها
وأنْقذنا من كُفْرِ أربابِنا به ... وكان على قُطْبِ الهلاكِ منارها
فما بالُنا لانترك الجهلَ ويْحَنا ... لنسلمَ مِن نارٍ ترامىَ شرارُها

# خاتمة[١]

هنا أعزك الله انتهى ماتذكرته إيجاباً لك ، وتقمناً لمسرتك ، ووقوفاً عند أمرك .

ولم أمتنع أن أورد لك فى هذه الرسالة أشياء يذكرها الشعراء ويكثرون القول فيها ، موفيات على وجوهها ، ومفردات فى أبوابها ، ومنعمات التفسير ، مثل الإفراط فى صفة النحول ، وتشبيه الدموع بالأمطار وأنها تروى السفار ، وعدم النوم ألبتة ، وانقطاع الغذاء جملة ، إلا أنها أشياء لاحقيقة لها ، وكذب لاوجه له ، ولكل شىء حد ، وقد جعل الله لكل شىء قدراً ، والنحول قد يعظم ولو صار حيث يصفونه لكان فى قوام الذرة أو دونها ، ولخرج عن حد المعقول . والسهر قد يتصل ليالى ، ولكن لو عدم الغذاء أسبوعين لهلك . وإنما قلنا إن الصبر عن النوم أقل من الصبر عن الطعام ، لأن النوم غذاء الروح ، والطعام غذاء الجسد ، وإن كانا يشتركان فى كليهما ولكنّا حكينا على الأغلب . وأما الماء فقد رأيت أن ميسوراً البنّاء ، جارنا بقرطبة ، يصبر عن الماء أسبوعين فى حمّارة القيظ ، ويكتفى بما فى غذائه من رطوبة .

وحدثنى القاضى أبو عبد الرحمن بن جحّاف[٢] أنه كان يعرف من كان لا يشرب الماء شهراً .

وإنما اقتصرت فى رسالتى على الحقائق المعلومة ، التى لايمكن وجود سواها أصلا ، وعلى أنى قد أوردت من هذه الوجوه المذكورة أشياء كثيرة يكتفى بها ، لئلا أخرج عن طريقة أهل الشعر ومذهبهم .

وسيرى كثير من إخواننا أخباراً لهم فى هذه الرسالة ، مكنياً فيها عن أسمائهم على ماشرطنا فى ابتدائها .

وأنا أستغفر الله تعالى مما يكتب الملكان ، ويحصيه الرقيبان ، من هذا وشبهه ، استغفار من يعلم أن كلامه من عمله . ولكنه إن لم يكن من اللغو الذى لا يؤاخذ به المرء فهو إن شاء الله من اللمم المعفوّ ، وإلاّ فليس من السيئات والفواحش التى يتوقع عليها

---

(١) العنوان ليس فى الأصل ، ورأيت إضافته تزيد الأمر وضوحاً .

(٢) مر علينا فى الباب التاسع والعشرين .

العذاب . وعلى كل حال فليس من الكبائر التى ورد النص فيها .

وأنا أعلم أنه سينكر علىّ بعض المتعصبين على تأليفى لمثل هذا ويقول : إنه خالف طريقته ، وتجافى عن وجهته ، وما أحلّ لأحد أن يظن فىّ غير ماقصدته ، قال الله عز وجل « يا أيُّها الذينَ آمنوا اجْتَنِبُوا كثيراً مِن الظنِّ إنَّ بعضَ الظنِّ إثْم »[٣] .

وحدثنى أحمد بن محمد بن الجسور ، حدّثنا ابن أبى دَليم ، حدّثنا ابن وضّاح ، عن يحيى بن يحيى[٤] ، عن مالك بن أبى أنس ، عن أبى الزبير المكى ، عن أبى شريح الكعبى ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم والظن فإنه أكذب الكذب » .

وبه إلى مالك ، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن الأعرج ، عن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أوليصمت » .

وحدثنى صاحبى أبوبكر محمد بن إسحاق[٥] ، حدّثنا عبدالله بن يوسف الأزدى ، حدّثنا يحيى بن عائذ ، حدّثنا أبو عدى عبد العزيز بن على بن محمد بن إسحاق بن الفرج الإمام بمصر ، حدّثنا أبو على الحسن بن قاسم بن دُحيم المصرى ، حدّثنا محمد ابن زكريا العلانى ، حدّثنا أبو العباس ، حدّثنا أبو بكر ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب أنه قال : وضع عمر بن الخطاب رضى الله عنه للناس ثمانى عشرة كلمة من الحكمة ، منها : ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك على مايغلبك عليه .

---

( ٣ ) سورة الحجرات ، الآية ١٢

( ٤ ) جاءت هذه الفقرة محرفة فى كل الطبعات العربية ، وفى الأصل ، فكانت « عن يحيى بن مالك » وقد أصلحناها ، أما الإسناد الأندلسى من السلسة فسبق أن عرفنا به . انظر :

- الباب ٣٠ الهامش رقم ١٨ .
- الباب ٢٩ ، الهامش رقم ٤ .

( ٥ ) كان أبوبكر كما ذكرنا صديقاً حميماً لابن حزم ، وشاركه الرحلة والنفى ، وعرض لنا فيما سبق . انظر :

- الباب الثانى ، الهامش رقم ٤
- الباب الخامس ، الهامش رقم ١
- الباب ٢٨ ، الهامش رقم ١٠ .

ولا تظن بكلمة خرجت من فى امرئ مسلم شراً ، وأنت تجد لها فى الخير محملا ، فهذا أعزك الله أدب الله ، وأدب رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأدب أمير المؤمنين ، وبالجملة فإنى لا أقول بالمراياة ، ولا أنسك نسكاً أعجمياً . ومن أدَّى الفرائض المأمور بها ، واجتنب المحارم المنهىّ عنها ، ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس ، فقد وقع عليه اسم الإحسان ، ودعنى مما سوى ذلك ، وحسبى الله .

والكلام فى مثل هذا إنما هو مع خلاء الذرع ، وفراغ القلب ، وإن حفظ شىء ، وبقاء رسم ، وتذكّر فائت لمثل خاطرى ، لعجب على ما مضى ودهمنى . فأنت تعلم أن ذهنى متقلب ، وبالى مهصر بما نحن فيه من نبو الديار ، والخلاء عن الأوطان ، وتغيّر الزمان ، ونكبات السلطان ، وتغيّر الإخوان ، وفساد الأحوال ، وتبدّل الأيام ، وذهاب الوفر ، والخروج عن الطارف والتالد ، واقتطاع مكاسب الآباء والأجداد ، والغربة فى البلاد ، وذهاب المال والجاه ، والفكر فى صيانة الأهل والولد ، واليأس عن الرجوع إلى موضع الأهل ، ومدافعة الدهر ، وانتظار الأقدار ، لاجعلنا الله من الشاكين إلا إليه ، وأعادنا إلى أفضل ماعودنا . وإن الذى أبقى لأكثر مما أخذ ، والذى ترك أعظم من الذى تحيّف ، ومواهبه المحيطة بنا ، ونعمه التى غمرتنا لاتحد ، ولا يؤدى شكرها ، والكلُّ مِنَحهُ وعطاياه . ولا حكم لنا فى أنفسنا ونحن منه ، وإليه منقلبنا ، وكل عارية فراجعة إلى معيرها ، وله الحمد أولاً وآخراً ، وعوداً وبدءا ، وأنا أقول :

جعلتُ اليأسَ لى حِصْناً ودِرْعاً ... فلم ألبسْ ثِيابَ المستضام
وأكثرُ مِن جميعِ الناسِ عندِى ... يسيرٌ صاننى دُون الأنام
إذا ماصحَّ لِى دينِى وعِرْضِى ... فلستُ لما تولَّى ذا اهتمام
تولَّى الأمسُ والغدُ لستُ أدرِى ... أأدْرِكُهُ ففيما ذا اغتمام

جعلنا الله وإياك من الصابرين الشاكرين ، الحامدين الذاكرين ، آمين آمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً .

* * *

كملت الرسالة ، المعروفة بطوق الحمامة ، لأبي محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم رضى الله عنه ، بعد حذف أكثر أشعارها ، وإبقاء العيون منها ، تحسيناً لها ، وإظهاراً لمحاسنها ، وتصغيراً لحجمها ، وتسهيلاً لوجدان المعانى الغريبة من لفظها ، بحمد الله تعالى وعونه ،وحسن توفيقه . وفرغ من نسخها مستهل رجب الفرد سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة [ =١٣٣٨ م ] . والحمد لله رب العالمين .

obeikandl.com

# خطوة على طريق الكمال

قلت وأنا أقدم الطبعة الأولى من « طوق الحمامة » فى صورته الجديدة : « لقد قوّمت الفقرات المضطربة ، وصوّبت الأسماء المحرّفة ، وعرّفت بالأعلام ما كان ممكناً ، صنعت ذلك ما أعانتنى عليه كتب التاريخ والمصادر الأخرى ، وأبقيت الجمل الغامضة على ما هى عليه ، خشية أن يكون تقويمى لها ، إهداراً لفكرة أرادها المؤلف ، أو عدواناً على غاية ارتضاها ، أو انحرافاً بما خفى من رأيه ، أو انعطافاً نحو جانب ما فكّر فيه » . وخلال الشهور القليلة التى تفصل بين الكتاب فى طبعته التى نفدت ، وفى طبعته التى تصدر الآن ، واليت النظر فى نص « الطوق » ، وسط المتاعب والشواغل ، خاصة وعامة ، ليكون أقرب إلى الكمال . كانت هناك هنات مطبعية صوّبتها ، وكلمات قلقة لم أتبين وجه الحق فيها ، واطمأن ظنى إلى تصويبها ، ووقعت على نصوص قليلة نقلها ابن أبى حجلة التلمسانى فى كتابه « ديوان الصبابة » من « طوق الحمامة » ، وأشار إليه مرة ، وأهمل الإشارة مرات ، فصوبت فى المعارضة معها ما وجدته قلقاً من كلمات وجمل « طوق الحمامة » ، وإن كانت هى أيضاً فى الجانب الأكبر منها تحتاج إلى تصويب [1] .

فى المقدمة ، الصفحة ١٦ ، السطر الثامن ، جملة : « . . . فهذا من الفَقْر . . . » ، ومع كلمة « الفقر » يمكن أن تفهم الجملة على تأويل بعيد ، ثم بدا لى أنها « اللغو » ، وتوقفت فى البدء عن تصويبها ، ولكنى وجدت ابن حزم يستخدمها فى خاتمة الكتاب ، فى الصفحة ١٩٥ ، يقول مشيراً إلى « الطوق » : « ولكنه إن لم يكن من اللغو الذى لا يؤاخذ به المرء . . . » ، فاطمأنّت نفسى إلى الظن الأوّل ، وبات عندى راجحاً ، وصححتها على هذا النحو ، فى هذه الطبعة .

---

( ١ ) الدكتور الطاهر أحمد مكى : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ص ٣٣١ ، الطبعة الثانية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٧٧ .

وفى الصفحة نفسها ، السطر الثانى عشر : « . . . لم يحسن يتقوى » ، ثم قرأتها فى أكثر من مكان من كتب التراث « يتقرى » ، وهى بمعنى ابن حزم أشبه ، فصححتها على هذا النحو .

فى الصفحة ٣١ ، فى السطر الثالث عشر ، صوّبت الآية القرآنية ، يخلط الناسخ ، ولا أقول ابن حزم ، بينها وبين آية شبيهة بها فى أول سورة النساء ، فأصبحت : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها » ، بعد أن كانت « وخلق منها » .

وفى « باب علامات الحب » ، الصفحة ٢٧ ، السطر الثالث عشر ، أضفت فقرة بين معقوفتين ، نقلتها عن كتاب « ديوان الصبابة » ، ونقلها عن ابن حزم دون أن يشير إليه ، فأصبحت فى الطبعة الثانية من الطوق على النحو التالى : « . . . واطراح الأشغال الموجبة للزوال عنه ، [ والزهد فيها ، والرغبة عنها ] ، والاستهانة بكل خطب جليل . . . » . وفى ضوء نَقْل « ديوان الصبابة » ، صححت فى السطر التالى للفقرة السابقة كلمة « الشىء » فأصبحت « المشى » لتكون الجملة « التباطؤ فى المشى » .

وفى الصفحة ٣٢ ، السطر الثالث : « يشتد القلق حتى توقف على الجليلة » ، ورأيت « الجليّة » فى هذا الموضع أدق ، ورجح عندى أنها المقصودة ، فآثرتها ، وصوّبت النص معها ، وأصبح : « . . . حتى توقف على الجلية » .

وفى « باب من أحب فى النوم » ، الصفحة ٣٧ ، السطر الخامس ، صوبت كلمة « أظنة » ، التى فى أول بيت الشعر ، لتصبح « أظنها » ، وفى البيت التالى له كلمة « تخيل » أصبحت « تحيّر » ، ومصدر تصويبى لها معارضتها مع رواية ابن أبى حجلة فى كتابه « ديوان الصبابة » ، وبه استقام المعنى .

وعن ديوان الصبابة صوبت أيضاً كلمة جاءت فى « باب من أحب من نظرة واحدة ، الصفحة ٤٦ ، السطر السادس ، وهى « ذو شك » فى بيت الشعر ، فأصبحت « ذو شرك » ، وهى أكثر تصويراً للمعنى الذى يريده ابن حزم .

وفى الباب الرابع عشر ، وهو « باب الطاعة » ، فى الصفحة ٧٣ ، السطر الرابع عشر ، جاءت هذه الجملة فى بيت الشعر : « وانتهز صبراً » ، واطمأنت نفسى

إلى أنها يجب أن تكون : « وانتهز صيداً » ، وصححتها على هذا النحو .

وفى الصفحة ١٦٨ ، فى السطر العاشر ، صوّبت ضبط كلمات فى بيت الشعر ، فأصبحت جرحٌ جُبَارٌ . . . غير جُبَارِ» ، بعد أن كانت كلمة « جبّار» بتشديد الباء وهو خطأ .

وفى صفحة ١٨١ صوّبت الآية القرآنية ، فى السطر الأول ، فأصبحت « فى السموات ولا فى الأرض » ، بعد أن كانت فى الأصل « فى الأرض ولا فى السماء » .

ولقد نأمل مع الزمن ، ومع العثور على نصوص أخرى نقلت عن « الطوق » ، أن نضيف إليه مزيداً من التصويب والضبط ، ولسوف يسعد محقق « الطوق » أن يتلقى شاكراً وممتناً ملاحظات كل أولئك الذين لهم ملاحظات على الكتاب ، والله المعين على الصواب .

obeikandl.com

obeikandl.com

# كشاف عام


(أ)

آدم (النبى) : ١٦٧ ١٧٦ ١٧٩
الآستانة : ٣
آل عثمان : ٣
آل على : ٢٦
آل مغيث : ٦٢
إبان بن عمرو ، مولى عثمان بن عفان : ١٥٢
إبراهيم الإبيارى : ٧
إبراهيم بن أحمد : ٦٥
إبراهيم بن سيار = النظام
إبراهيم طوقان : ٢١
إبراهيم بن عيسى الثقفى ، أبو إسحاق ٨٧
الإبرو (نهر) : ٤٢
إبقراط : ٢٣ ٧٠
ابن الأثير : ١٨٢
ابن برطال ، زكريا بن يحيى التميمى : ٩٥
ابن جحاف المعافرى ، أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن : ١٦٥ ١٩٥
ابن الجزيرى = عبيد الله بن يحيى الأزدى
ابن الحذاء ، محمد بن يحيى ، أبو عبد الله ٤٠
ابن حيان : ٢٦
ابن خاتمة ، أبو جعفر : ١٤
ابن الخطيب ، لسان الدين : ١٢٧
ابن خفاجة : ١٥٦
ابن داود الظاهرى = محمد بن داود
ابن راهويه ١٧٧ ١٧٨
ابن الركيزة ، محمد بن أحمد بن وهب : ١١١
ابن الزقاق : ١٥٦
ابن الشباسى = معاوية بن هشام بن محمد
ابن الصفار ، يونس بن عبد الله بن محمد
ابن مغيث ، أبو الوليد : ١١٥ ١٥٧
ابن الطبنى ، أبو عبد الله محمد بن يحيى
ابن محمد بن الحسين : ١٥٤ ١٥٥ ١٥٧ ١٥٨
ابن عباس : ٢١
ابن عبد البر ، أبو عمر : ٦
ابن عبد الحكم : ١٣٨
ابن عميرة ، أبو المطرف : ١٥٦
ابن الفرضى ، أبو الوليد : ١٥٧
ابن فيرة الرعينى الشاطبى ، أبو القاسم محمد : ١٥
ابن القبرى = عبد الواحد بن محمد بن موهب
ابن قزمان : ٥٧
ابن قزمان أحمد = ابن كليب
ابن كليب ، ابن قزمان أحمد : ١٥٢
ابن محرز ، أبو عمر أحمد : ١٥٧ ١٦٥
ابن المقفل ، أبو القاسم عبد الله بن محمد
ابن هذيل التجيبى : ١٥٦
الأبهرى ، أبو بكر محمد بن عبد الله : ١٣٨

أبو إسحاق إبراهيم السرى = الزجاج
أبو إسحاق ، إبراهيم بن عيسى = إبراهيم
أبو البركات الخيالى : ١٠٥
أبو بكر بن حزم : ١٥٣ ١٥٤
أبو بكر الصديق : ١٨١ ١٨٢
أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث : ٢١
أبو بكر ، عبد الرحمن بن سليمان البلوى : ١٠٢
أبو بكر بن العلاء : : ١٦٥
أبو الفرج الأصفهانى : ١٨٢
أبو بكر ، محمد بن إسحاق = محمد ابن إسحاق .
أبو بكر محمد بن بقى الحجرى : ١٣٨
أبو بكر محمد بن داود الظاهرى = محمد ابن داود
أبو بكر ، محمد بن عبد الرحمن بن الليث : ١٧٤
أبو بكر محمد بن قاسم بن محمد القرشى ، المعروف بالشبانسى : ٢٦
أبو بكر المقرئ : ١٠٠ ١٧٧
أبو بكر ، هشام بن محمد : ١٠٨
أبو تمام بن رباح الحجام : ٣٦
أبو جعفر المنصور : ٣٤
أبو الجعد ، ابن أسلم بن عبد العزيز : ١٥٣
أبو جعفر النحاس : ١٠٠ ١٧٧
أبو الجيش ، الموفق بالله ، مجاهد بن عبد الله العامرى : ١١٨
أبو حفص الكاتب : ١٦٢
أبو الخيار اللغوى ، مسعود بن سليمان بن مفلت الشنترينى : ١٤٠
أبو دلف الوراق : ٧٠ ٧١
أبو دليم ، عبد الله بن محمد بن عبد الله ، أبو محمد : ١٦٢
أبو السرى ، عمار بن زياد : ٣٦ ٧٦ ١٥٢
أبو سعيد الفتى الجعفرى : ١٠٠ ١٧٧
أبو شاكر ، عبد الرحمن محمد القبرى : ٣٩ ١٥٦ ١٥٧
أبو العافية ، مولى محمد بن عباس بن أبى عبيدة : ١٣٩
أبو عامر محمد بن عامر : ٣٣ ٣٩ ١٠٤ ١٧٣
أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن = ابن جحاف
أبو عبد الله محمد بن عمرو بن مضاء : ١٨٦
أبو عبيدة معمر بن المثنى : ١٨٢
أبو عطاء السندى ، مرزوق ، مولى أسد بن خزيمة : ٣٣
أبو على ، الحسين بن على الفاسى : ١٠٣ ١٦٦
أبو عمرو أحمد = ابن محرز
أبو عمر أحمد بن محمد : ٨٥
أبو عمرو الدانى : ١٥
أبو عمرو بن العلاء : ١٨٢
أبو العيش بن ميمون القرشى : ٢٠
أبو القاسم ، عبد الرحمن بن أبى يزيد المصرى : ١٠٢ ١٠٣ ١٥٥ ١٦٦
أبو القاسم عبد الله بن محمد بن هذيل = ابن المقفل
أبو القاسم الهمدانى : ١٥٩ ١٧٦ ١٨٠

أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيرى : ٨٨
أبو المغيرة ، عبد الوهاب أحمد بن عبد الرحمن بن حزم : ١٢٤ ١٢٦
أبو نواس ، الحسن بن هانئ : ٦٣ ١٤٩
أبو هارون موسى الطبيب : ١٨٥
أبو الوليد ، أحمد بن محمد بن إسحاق الخازن : ١٣٣
أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم : ١٦٣
أحمد بن حنبل : ١٦٢
أحمد بن فتح : ٦٥
أحمد بن محمد ، انظر = أبو عمر
أحمد بن محمد بن أحمد بن برد ، أبو عمر : ١٦٢
أحمد بن محمد بن إسحاق الخازن = أبو الوليد
أحمد بن محمد بن الجسور ، أبو عمر : ١٨٨ ١٩٦
أحمد بن محمد بن حدير ، أبو عمرو : ٧٠
أحمد بن مروان بن أحمد بن حدير : ٨٤
أحمد بن مطرف : ١٨٨
أحمد بن مغيث : ٦٢
إدريس الأول : ١٥٥
أرجون : ١٥ ٤٢ ١٥٦
إسبانيا : ٤ ٥ ١٩ ٨٩ ١٠٢ ١٤٤ ١٥٦
إسحاق الموصلى : ١٣٣
الإسكندرية : ١٤ ١٥
أسلم بن عبد العزيز ، أبو الحسن : ١٥٢ ١٥٣
إسماعيل بن يونس الطبيب : ٣٥
أسين بلاثيوس : ٤ ٨
الإشبونة : ١٦
إشبيلية : ٦ ٣٦ ٤١ ١٣٩ ١٥٦
أفريقية (ولاية) : ١٥٤
أفلاطون : ٢٣ ٢٤
أقليمون : ٥٤
إلبيرة : ١٦٢
ألمانيا : ٤
الأنبار : ٦٩
الأنبارى = القاسم بن محمد
الأندلس : ٧ ٨ ١٠ ١٤ ٣٤ ٣٦ ٤٠ ٧٢ ٨٩ ٩١ ١٠٢ ١١١ ١١٨ ١٣٩ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٥٢ ١٥٤ ١٥٥ ١٦٣ ١٨٦
أوجست (الإمبراطور الرومانى) : ٤١
الأوراس (جبال) : ١٥٤
أوربا : ٤ ٥
أورتيجا إى جاسيت : ٩
أوفيد (الشاعر اللاتينى) : ٤٦
إيطاليا : ٧

(ب)

باب الجزيرة الخضراء : ٤١
باب السدة : ٧٠
باب عبد الجبار : ٤١
باب العطارين : ٤١ ٤٢
باب القنطرة : ٤١
باب الوادى : ٤١
باجة : ٩٥
بازل (مدينة سويسرية) : ٧٠

الباسك = البشكنس
بتروف د . ك : ٤ ٥ ٦ ٧ ٩٠
البحر الأبيض المتوسط : ١٤ ٣٤ ١٠٢ ١١٨ ١٥٦
بحر القلزم : ١٧٢
بدر ( مول عبد الرحمن الداخل ) : ١١١
البربر : ٢٠ ٣٣ ٤٩ ٧٢ ٨٩ ١٠٢ ١١١ ١٢٧ ١٣٤ ١٤٠ ١٤٧ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٩ ١٦٣ ١٧٥
البرتغال : ٣٣
البرتغاليون : ١٠٢
بروفنسال ، ليفي : ٨ ١٤ ٢٠ ٣٣ ٦٥ ٧٣ ١٠٥ ١٥٨
بروكلمان : ٥
بريهة بنت يحيى بن زكريا التميمي ( أم المنصور بن أبي عامر ) : ٩٥
البشكنس : ١٩
البصرة : ٢٥ ١٥٩ ١٨٢
بطرسبرج : ٤ ٥
بطليموس : ٧٠
بطليوس : ٩٥ ١١٥
بغداد : ٣ ١٣٨ ١٥٩ ١٦٩ ١٧٨ ١٨٨
بقي بن مخلد : ١٥٢
بلاط مغيث : ١٢٦ ١٥٥ ١٨٨
البلبيني = جعفر ، مولى أحمد بن حدير
بلنسية : ١٤ ١٥٦
بنو أمية : ١٣٩ ١٨٦
بنو جهور : ١٣٩
بنو العباس : ١١١
بنو عبدة : ١٣٩
بنو الليث : ١٧٤
بنو مروان : ٢٦ ١٥٥ ١٨٦
بنو هود : ٤٢
بونس بويجس : ٤ ١٤٥

( ت )

تليد الخصي : ٤٨
التوراة : ٢٤ ٨٤
تونس : ١٤٦ ١٥٤
تيوبنجين : ٤

( ث )

ثروت عكاشة : ٤٦
الثغر الأعلى : ٤٢ ١٥٣ ١٥٤
ثورة الربض : ٧٠

( ج )

الجاحظ : ٢٥
جاقمة الأول = خايمة الأول
جامع قرطبة : ٧٢
جبل طارق : ١٥٦
الجزائر : ٧ ١٤٦ ١٥٤
الجزائر الشرقية : ١١٨
جزر البليار = الجزائر الشرقية .
الجزيرة الخضراء : ١٠٢ ١٥٦ ١٥٧
جعفر ، مولى أحمد بن حدير : ١٣٩
جعفر بن عبد الرحمن ، الحاجب : ١٠٠
جولد تسهير : ٥
جيان : ٣٣ ١٥٢

oberkandi.com

(ح)

حاجى خليفة : ٣
الحاكم بأمر الله = منصور بن نزار
الحرة : ١٧٧
حسان بن مالك ، أبوعبدة : ١٣٩
الحسن بن أبى الحسن يسار : ١٧٧
حسن كامل الصيرفى : ٧ ٣٢
الحسين بن على الفاسى = أبو على
حصن القصر : ١٥٦
الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر : ١٥٦
الحكم المستنصر : ١٩ ٤٨ ٦٩ ٧٢ ٩٥
حكم بن منذر بن سعيد : ٧١ ٧٢ ٧٣
الحكم بن هشام : ١٩ ٤١ ٦٢ ٧٠
حلب : ٣
حمام بن أحمد : ١٦
حمام الشطارة : ٣٦
الحموديون : ٣٣ ١٠٥
حى الرقاقين : ٤١

(خ)

خارجة بن زيد بن ثابت : ٢١
خايمة الأولى : ١٥ ١٥٦
خراسان : ١٧٦
خلف ، مولى يوسف بن قمقام : ١٧٤
خلوة : ٤١ ٤٢
الخوارج : ٩٣ ١٧٨
خوان فاليرا : ٤ ١٤٤
خيال (زوجة عبد الملك بن أبى عامر المظفر) : ٣٣ ١٠٥
خيران العامرى : ٨ ١١٨ ١٥٦

(د)

دار الكتب المصرية : ٢١
دانتى (الشاعر الإيطالى) : ٩٠
دانية : ١١٨
داود بن إيشى (النبى) : ١٦٧
داود بن على بن خلف الأصبهانى ، أبو سليمان : ١٧٧ ١٧٨
دحون ، عبد الله بن يحيى بن أحمد : ١٥٩
درب قطنة : ١٥٩
دعجاء (جارية عبد الرحمن الداخل) : ١٩
دمشق : ٦ ٧
دوزى ، رينهارت : ٤ ٨ ١٤٤

(ذ)

الذلفاء : ٣٣

(ر)

الرافضة : ١١٤
الراوندى ، أبو الحسين أحمد بن يحيى ابن إسحاق : ١٧٠
الربض : ٤١ ٤٢
ربض الزاهرة : ١٤٦
الربض الغربى : ١٩

ربض شقندة : ٤١
الرصافى : ١٥٦
روح بن زنباع الجذامى : ١٦٢
روخاس ، فرناندو دى : ٨ ٥٩
روزن ، البارون : ٤
رياض بنى مروان : ٤١

( ز )

الزاب : ١٥٤
الزاهرة = مدينة
زاوى بن زيرى بن مناد : ٤٩ ١٠٨
زايبولد : ٤
زبيدة ( زوج هارون الرشيد ) : ٦٣
الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم السرى : ١٨١
زكريا بن يحيى التميمى = ابن برطال
زناتة : ١٧٤
الزهراء = مدينة
زياد بن أبى سفيان : ٩٣
زيادة الله بن على التميمى ، أبو مضر : ١٥٤
زيد بن ثابت : ١٧٧

( س )

سالم بن ورعمال : ٨٩
سبتة : ٣٤ ١٠٢ ١٥٦
ستندال : ٧
سحنون ، عبد السلام بن التنوخى : ١٦٣
سرقسطة : ٣٣ ٤٢ ٨٩ ١٣٠
سعيد بن المسيب : ٢١
سعيد بن منذر بن سعيد : ٧١ ٧٢
سكة الحطابين : ٦
سكينة بنت الحسين : ١٣٤
سليمان بن أحمد الشاعر : ١٣٠ ١٧٢
سليمان بن أحمد بن محمد الأندلسى ، أبوالربيع = سليمان بن أحمد الشاعر
سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر = سليمان الظافر .
سليمان الظافر : ٤٨ ١٥٥ ١٥٦ ١٧٤
سليمان المستعين = سليمان الظافر
سليمان بن ياسر : ٢١
السمح الخولانى : ٤١
سهل الحاجب : ١٣٠
سورية ( مدينة ومقاطعة فى إسبانيا ) : ٨٩
سويسرا : ٧٠
السيد القنبيطور : ١٥٦

( ش )

شاطبة : ١٤ ١٥ ٣٩ ٦٥ ١١٨ ١٥٧
الشاطبى ( حى فى مدينة الإسكندرية ) : ١٥
الشام : ١٤
الشافعى : ١٧٨
شانجه ملك نبرة : ٤٩
الشبانسى = أبو بكر محمد بن قاسم .
شجاع بن ورقاء الأسدى : ١٨٢
شط هدنة : ١٥٤
شنترين : ١٦
شنجول = عبد الرحمن بن المنصور ابن أبى عامر .

obeikandl.com

( ص )

صالح ، غلام أبي إسحاق النظام : ٥٥
صبح ( أم هشام المؤيد بالله ) : ١٩ ٦٢ ٦٩
صقلية : ٤ ١٣٠ ١٤٤
الصين : ٩١

( ض )

ضنى العامرية ( كريمة المظفر عبد الملك ) ١٥٠

( ط )

طارق بن زياد : ٦٢
الطالبية : ١٥٥
طبنة : ١٥٤
طرفة بن العبد : ١٠٠
طليطلة : ١٢٤
طنجة : ٣٤
طروب ( جارية عبد الرحمن بن الحكم ) : ١٩
الطليق ، انظر : مروان بن عبد الرحمن .

( ع )

عاتكة بنت قند : ١٥٣
العامريون : ٢٠ ٣٣ ٤٩ ١١٨
العباس بن الأحنف : ١٤٦
عبد الحميد بن عبد الواحد بن مغيث : ٦٢
عبد الرحمن بن أبي يزيد المصرى ، انظر : أبو القاسم .
عبد الرحمن بن أحمد بن محمود ، المظفر : ٧٣
عبد الرحمن بن الحكم : ١٩ ٧٠ ١٨٧
عبد الرحمن بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر : ١٥٦
عبد الرحمن بن سليمان البلوى ، انظر : أبو بكر
عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر : ٧٢
عبد الرحمن بن قطن : ١٣٣
عبد الرحمن بن محمد القبرى ، انظر : أبو شاكر
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن : ١٨٦
عبد الرحمن بن محمد ، المرتضى : ٤٩ ١٠٨ ١٥٦
عبد الرحمن بن مروان بن أحمد بن حدير : ٨٤
عبد الرحمن بن معاوية الداخل : ١٩ ٢٦ ٦٢ ١١١ ١٣٩
عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر ، شنجول : ٢٠ ٤٩
عبد الرحمن الناصر : ١٤ ١٥ ٤٨ ٤٩ ٧٠ ٧١ ٨٩ ٩٥ ١٣٤
عبد الرحمن بن هشام المستظهر : ١٢٤
عبد الرحمن بن الوليد بن غانم : ١٨٧
عبد الرحيم القنائى : ١٠٢
عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث : ٦٢
عبد الله بن جابر : ١٣٩
عبد الله بن عبد الرحمن بن الحكم : ١٩
عبد الله بن محمد بن هذيل التجيبى - ابن المقفل
عبد الله بن مسلمة : ٢٠
عبد الله بن يحيى بن أحمد الأموى = دحون

عبد الملك بن أبي عامر المظفر : ١٩ ٢٠ ٣٣ ٣٩ ٧١ ٨٨ ١٠٤ ١٠٥ ١٥٠
عبد الملك بن إدريس الجزيرى ، انظر : أبو مروان
عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث : ٦٢
عبد الملك بن منذر بن سعيد : ٧١ ٧٢
عبد المنعم الحميرى : ١٤ ٤٢
عبد الواحد بن محمد بن موهب التجيبى ، أبو شاكر : ٣٩
عبد الواحد بن مغيث : ٦٢
عبد الوهاب أحمد بن عبد الرحمن بن حزم = أبو المغيرة
عبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن الناصر : ١٥
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود : ٢٠ ٢١
عبيد الله بن يحيى الأزدى الجزيرى : ٨٨ ١٧٠
عبيد الله بن يحيى بن يحيى : ١٨٨
عبدة ( ابنة شانجة ملك نبرة وزوج المنصور ابن أبى عامر ) : ٤٩
عثمان بن محمد بن عبد الرحمن : ١٩
عجيب ( فتى أبى عمر أحمد بن محمد بن حدير ) : ٧٠ ٧١
العراق : ٣٤ ١٣٨ ١٦٣
عروة بن الزبير بن العوام : ٢١
عفراء ( جارية أبى عامر محمد بن عامر ) : ١٠٥
العلوية : ٢٦ ١٥٥
على بن أبى طالب : ١٥٥
على بن حمود الحسنى ، الناصر : ١٥٥ ١٥٦ ١٥٨
عمار بن زياد ، انظر : أبو السرى
عمر بن الخطاب : ١٧٩ ١٩٦
عمر بن عبد العزيز : ٤١
عياض : ١٠٢
عيسى بن محمد بن محمد بن مجمل الخولانى : ١٧١

(غ)

غالب بن عبد الرحمن : ٩٥
غدير ابن الشماس : ١٥٨
الغرب ( مقاطعة جنوبى البرتغال ) : ٣٣
غرسية غومث : ٨ ٢٨ ٣٣ ٦٥ ٦٩ ١١٣ ١٥٩
غرناطة : ٤٩ ١٠٨
الغريض ( الموسيقى ) : ١٣٣
غزلان ( جارية محمد بن عبد الرحمن ) : ١٩

(ف)

فحص البلوط : ٧١
الفرس : ٦٨
فون شاك : ٤ ١٤٤

(ق)

القاسم بن حمود : ٣٣ ٤٩ ١٠٥ ١٥٦ ١٥٨
قاسم بن محمد بن أبى بكر : ٢١
القاسم بن محمد بن بشار الأنبارى : ١٦٩
القاسم بن محمد بن عبد الرحمن : ١٩
القاسم بن يحيى التميمى ، أبو عمرو : ١٥٨

القاهرة : ٧ ١٠ ١٥ ٧١ ١٥٢ ١٦٣
قبرة : ١٥٧
قرطبة : ١٠ ٢٠ ٣٣ ٣٩ ٤١ ٤٨ ٤٩ ٦٢
٦٥ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٩٥ ١٠٠
١٠٢ ١٠٥ ١٠٨ ١١١ ١١٥
١١٩ ١٢٧ ١٣٩ ١٤٠ ١٤٦
١٤٧ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥
١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٢
١٦٦ ١٧٤ ١٧٦ ١٧٧ ١٨٨
قريش : ٢٦ ٩٣
القسطلات : ١٧٤
قسنطينة ( فى الجزائر ) : ١٥٤
قشتالة : ٨٩
قصر الإمارة : ٧٠
قصر الجعفرية : ٤٢
قصر الخلافة : ٤١ ١٠٠ ١٠٥
قصر المجدد : ١٣٤
قصر الزهراء : ١٣٤
قطر الندى ( جارية مروان بن أحمد بن حدير ) : ٨٤
قلعة رباح : ٧١
قنا : ١٠٢
قند ( مولى عبد الرحمن الناصر ) : ١٥٣
قند الأكبر ( مولى عبد الرحمن الناصر ) : ١٥٣
القنطرة : ٤١
قنليش ( جبل ) : ١٨٨
القيروان : ٧٣

( ك )

الكاثوليك : ١٥ ٣٤ ٤٢
كاهن بلدة هيتا : ٨
كراتشكوفسكى : ٤
كليليا سارنلى تشركوا : ١١٨
الكوفة : ١٧٨

( ل )

لابان : ٢٤
لاردة : ١٠٨
لوط : ١٨١
ليدن : ٣ ٤ ٥
ليننجراد : انظر بطرسبرج .
ليون برشيه : ٧

( م )

مالقة : ٣٣ ٣٤
مالك بن أنس : ١٣٨ ١٦٣ ١٧٩
١٨٠ ١٨١
المأمون ( الخليفة ) : ٦٣
المبرد : ١٨١
مجاهد بن الحصين القيسى : ٣٥
مجاهد بن عبد الله العامرى = أبو الجيش
محمد بن إبراهيم الطليطلى : ١٦٥
محمد بن أحمد بن وهب = ابن الركيزة
محمد بن إسحاق ، أبو بكر : ٣٢ ٣٣
٣٩ ١٥٦ ١٩٦
محمد البزم : ٧
محمد بن داود الظاهرى ، أبو بكر : ٢١

obeikandi.com

محمد بن سليمان المعافرى ، أبو عبد الله : ١٥
محمد بن عبد الرحمن : ١٩ ١٥٢ ١٨٦ ١٨٧
محمد بن عبد الرحمن بن الليث = أبو بكر
محمد بن عمرو بن مضاء = أبو عبد الله
محمد بن كليب ، أبو عبد الله : ٧٣
محمد المهدى : ٤٩ ١٤٧ ١٧٤
محمد بن هارون الرشيد : ٦٣
محمد بن وضاح : ١٦٢
محمد بن الوليد بن غانم : ١٨٧
محمد بن وليد بن مكسير : ١١٠
محمد ياسين عرفة : ٦
محمد بن يحيى ، أبو عبد الله ، انظر : ابن الحذاء
محمد بن يحيى بن زكريا : ٩٥
محمد بن يحيى بن محمد بن الحسين ، أبو عبد الله = ابن الطبنى
المدجنون : ٤٢
مدريد : ٨٩ ١٦٢
مدينة الزاهرة : ٢٠ ٤٩
مدينة الزهراء : ١٣٤
مدينة سالم : ٨٩ ١٥٣
المدينة المنورة : ١٣٣ ١٦٣ ١٧٧
المذهب الظاهرى : ٢١
مرج راهط : ١٣٩
مرسية : ٣٣
مروان بن أحمد بن حدير : ٨٤
مروان بن أحمد بن شهيد : ٩٥
مروان بن الحكم : ١٣٩ ١٤٠
مروان بن عبد الرحمن بن مروان ، أبو عبد الملك : ٤٩ ٥٠
مروان بن محمد (آخر خلفاء بنى أمية) : ٣٤
مروان بن يحيى بن أحمد بن حدير : ١٣٩
المرية : ٧ ١٤ ٣٥ ٧٣ ١١٨ ١٥٥ ١٥٦ ١٦٢
المسجد الجامع : ٤١ ١٠٠ ١٧١ ١٧٧
مسجد الزهراء : ١١٥
مسجد طروب : ١٩
مسجد العمرى : ١٧٦
مسجد مسرور : ٧١
مسجد النخيلة : ٤١
مسعود بن سليمان = أبو الخيار اللغوى
مسلمة بن أحمد المجريطى : ٧٠ ٧١
مصر : ١٥ ٢٠ ١٠٠ ١٠٢ ١٦٥ ٢٨٨
مصعب بن عبد الله الأزدى ، أبو بكر : ١٥٧ ١٥٨
مصمودة (قبيلة) : ٨٩
المطبق : ٨٨
المطرف بن محمد بن عبد الرحمن : ١٩
المظفر ، عبد الملك بن أبى عامر ، انظر : عبد الملك
معاوية بن هشام بن محمد ، ابن الشباسى : ٢٦
معبد (الموسيقى) : ١٣٣
المعتزلة : ٢٥ ٧٢ ١٣١ ١٧٠
المعتمد بن عباد : ١٣٩
المغرب : ١٥ ٤٠ ١٠٢ ١٤٦ ١٥٤ ١٥٥ ١٦٣

obeikandl.com

مغيث بن الحارث الرومى : ٦٢
مقبرة باب عامر : ١٠٢
مقبرة الربض : ٤١
مقبرة قريش : ٧٠
مقدم بن الأصفر : ٧٠ ٧١
مقدم بن معافى القبرى : ١٥٧
المقرى التلمسانى : ٦ ١٤ ٣٣
مكة : ٧١ ١٣٤
مليلة : ١٤
منذر بن سعيد البلوطى : ٧١ ٧٢ ١٨٨
منذر بن محمد : ١٥٢
منذر بن يحيى التجيبى : ٣٣
المنصور بن أبى عامر : ١٤ ١٩ ٢٠ ٣٣ ٤٠ ٤٩ ٦٢ ٦٩ ٧١ ٧٢ ٨٨ ٨٩ ٩٥ ١٠٤ ١٠٥ ١١٨ ١٥٠ ١٥٣ ١٥٤
منصور بن نزار ، الحاكم بأمر الله : ٢٠
منورقة : ١١٨
موسى بن أحمد بن محمد بن حدير : ٧٠
موسى بن عاصم بن عمرو : ٦٤
موسى الكلادانى : ١٧٢
موسى بن محمد بن سعيد بن موسى بن حدير : ٧٠
موسى بن مروان بن أحمد بن حدير : ٨٤
ميورقة : ١١٨

(ن)

نبرة : ٤٩
نزار بن معد ، العزيز : ٢٠
النظام ، إبراهيم بن سيار : ٢٥ ٥٥ ١٣١ ١٧٠
نُعم (جارية) : ١٢٤ ١٣١
نيكل ، لويس : ٢١ ١١٨

(هـ)

هارون الرشيد : ٦٣
هاشم بن عبد العزيز : ١٥٢
هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، الرشيد : ١٧٤
هشام بن عبد الرحمن بن معاوية : ٢٦ ٦٢
هشام بن محمد = أبو بكر
هشام المؤيد بالله : ١٩ ٣٦ ٣٩ ٤٩ ٦٩ ١٤٧
همدان : ٣
الهمدانى = أبو القاسم
هذيل : ١٧٩
هوارة (قبيلة بربرية) : ١٥٤
هولندة : ٣ ٤

(و)

واجد (زوجة المظفر ، عبد الملك بن أبى عامر) : ١٩ ٢٠
وادى آش : ٤٩
وادى الحجارة : ١٦٢
الوادى الكبير (نهر) : ٤١
وارنرفون : ٣ ٤ ٥
واسط : ٣٣ ٣٤
الولايات المتحدة الأمريكية : ١١٨
الوليد بن عبد الملك : ٦٢

oberhandl.com

الوليد بن غانم ، أبو العباس : ١٨٦ ١٨٧
وهب بن مسرة بن مفرج التميمى ، أبو الحسن : ١٦٢
وهرز : ٨٨

(ى)

يابرة : ١٦
يابسة : ١١٨
يحيى بن إسحاق : ٩٥
يحيى بن زكريا التميمى : ٩٥
يحيى بن محمد بن أحمد بن عباس بن أبى عبدة : ١٣٩ ١٤٠
يحيى بن يحيى الليثى : ١٦٢ ١٦٣ ١٨٨
يزيد بن عمر بن هبيرة : ٣٤
يعقوب (النبى) : ٢٤
اليمن : ١٣٤
يوسف بن سعيد العكى : ٩٥
يوسف بن قمقام : ١٧٤
يوسف بن هارون الرمادى : ٤٠ ٤٢
يوسف بن يعقوب (النبى) : ١٦٧
يونس بن عبد الله ، أبو الوليد = ابن الصفار

obeikandl.com

# فهرس القوافى


| المطلع | القافية | البحر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| **( ء )** | | | |
| أظنك تمثال الجنان أباحه | أوليائه | طويل | ١١٩ |
| إن إخوانه المقيمين بالأمس | للغناء | خفيف | ١٧١ |
| وإذا قمت عنك لم أمش إلا | الفناء | خفيف | ٢٧ |
| **( ا )** | | | |
| أرى ريقها ماء الحياة تيقنا | حشا | طويل | ١٣٠ |
| كيف أذم النوى وأظلمها | نوى | مسرح | ٩٣ |
| **( ب )** | | | |
| إذا مارنت فالحى ميت بلفظها | رطاب | طويل | ١٤١ |
| أرى دارها فى كل حين وساعة | مغيب | » | ١١٧ |
| أقصر عن لهوه وعن طربه | عربه | منسرح | ١٨٩ |
| إن كان وصلك ليس فيه مطمع | واكذب | كامل | ١٢٩ |
| أودك وداً ليس فيه غضاضة | سراب | طويل | ١٥ |
| لك فى البلاد مناذح معلومة | قرابه | كامل | ١١٩ |
| وسراء أحشائى لمن أنا مؤثر | أتحبب | طويل | ٩٨ |
| وقالوا ارتحل فلعل السلو | ترغبه | متقارب | ١٢٥ |
| **( ت )** | | | |
| فليس لعينى عند غيرك موقف | البهت | طويل | ٢٧ |
| كل بين واقع | لم يفت | مجزوء المديد | ٢٣ |
| للتلاقى بعد الفراق سرور | وفاته | خفيف | ١٢٠ |
| يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى | ساكت | طويل | ٦٠ |
| **( ث )** | | | |
| على سيدى منى رقيب محافظ | بناكث | طويل | ٨١ |




obeikandl.com

| المطلع | القافية | البحر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| كأنى لم أنس بألفاظك التى | هن نوافث | طويل | ١٢٤ |
| ليت شعرى عن حبل ودك هل يمسى | رثيث | خفيف | ١٥٥ |
| | (ج) | | |
| أهوى الحديث إذا ما كان يذكرنى | أرج | بسيط | ٢٨ |
| خلوت بها والراح ثالثة لها | وأثلج | طويل | ٣١ |
| | (ح) | | |
| جميل الصبر مسجون | مسفوح | هزج | ٣٢ |
| دليل الأسى نار على القلب تلفح | ويسفح | طويل | ٣٤ |
| رأيتك رحب الصدر ترضى بما أتى | وتسمحا | » | ٣٦ |
| ولا تزعما فى الجد مزحاً كمولج | صلاحها | » | ٨٧ |
| | (خ) | | |
| أبدلت أشخاصنا كرهاً وفرط قلى | بالنسخ | بسيط | ٣٩ |
| | (د) | | |
| أباح أبو مروان حر نسائه | الفرد | طويل | ١٧١ |
| أتى طيف نعم مضجعى بعد هدأة | ممد | طويل | ١٣١ |
| أطلت زمان البعد حتى إذا انقضى | البعد | طويل | ١٢٠ |
| ألا إن عيناً لم تجد يوم واسط | لجمود | طويل | ٣٣ |
| أنم من المرآة فى كل ما درى | الهند | طويل | ٨٨ |
| بشرى أتت واليأس مستحكم | شداد | سريع | ١٢١ |
| تذكرت وداً للحبيب كأنه | ثهمد | طويل | ١٠٠ |
| توحش من سكانه فكأنهم | ثمود | طويل | ١٣٣ |
| سأبعد عن دواعى الحب إنى | الرشيد | وافر | ٤٤ |
| فهل للوصال إلينا معاد | الدهر حد | متقارب | ٦٨ |
| قد سلبت الفؤاد منى اختلاساً | فؤاد | خفيف | ١٣٨ |
| لا ترجون ملولا | بعدة | مجتث | ١٠٦ |
| لعلك بعد عتبك أن تجودا | وأن تزيدا | وافر | ١٠٣ |


obeikandl.com

| المطلع | القافية | البحر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| لقد قربت العينان بالقرب منكم | البعد | طويل | ١٢٠ |
| لو قيل لى من قبل ذا | من تود | مجزوء الكامل | ١٤٤ |
| لى خلتان أذاقانى الأسى جرعاً | جلدى | بسيط | ١٥١ |
| متى تشتفى نفس أضربها الوجد | البعد | طويل | ١١٧ |
| محبة صدق لم تكن بنت ساعة | زنادها | طويل | ٤٥ |
| مشوق معنى ما ينام مسهد | يعربد | طويل | ٣١ |
| هل لقتيل الحب من وادى | من فادى | سريع | ٩٧ |
| وإن امرأ لم يفن حسن اصطباره | لجليد | طويل | ٣٤ |
| وجه تخر له الأنوار ساجدة | لم يزد | بسيط | ١٢٢ |
| ودادى لك الباقى على حسب كونه | لم يزد | طويل | ٢٢ |
| وقالوا بعيد قلت حسبى بأنه | محيداً | طويل | ١٣٥ |
| ولا تسع فى الأمر الجسيم تهازئا | تريده | طويل | ٦٥ |
| ولما تروحنا بأكناف روضة | الندى | طويل | ١٣٤ |
| يا من جميع الحسن منتظم | فى العقد | الكامل | ١٠٧ |
| يعيبونها عندى بشقرة شعرها | زانها عندى | طويل | ٥٠ |
| يلوم أبو العباس جهلا بطبعه | بالصدى | طويل | ٩٨ |
| يلومنى فى موطئ خفه جفا | يحسد | طويل | ١٣١ |

( ذ )

| | | | |
|---|---|---|---|
| وإنى وإن تعتب لأهون هالك | جهبذ | طويل | ٦٨ |

( ر )

| | | | |
|---|---|---|---|
| إذا ما رأت عيناى لابس حمرة | وتفطرا | طويل | ٢٨ |
| أساعة توديعك أم ساعة الحشر | النشر | طويل | ١٠٨ |
| أسيئ ظنى بكل محتقر | من حقر | منسرح | ٣٤ |
| أعارتك دنيا مسترد معارها | اخضرارها | طويل | ١٩١ |
| أفعال كل امرئ تنبئ بعنصره | الأثرا | بسيط | ١٠٩ |


obeikandl.com

| المطلع | القافية | البحر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| أنت لا شك أحسن الناس ظنا | ضميرا | خفيف | ١٧٢ |
| إنى طربت إلى شمس إذا غربت | المقاصير | بسيط | ١٤٦ |
| برغبة لو إلى ربى دعوت بها | مغفورا | بسيط | ٩١ |
| تخيرهـا نوح فما خاب ظنه | بالبشائر | طويل | ٥٩ |
| خريدة صاغها الرحمن من نور | تقدير | بسيط | ١٦٦ |
| خل هذا وبادر الدهر وارحل | القفار | خفيف | ١٤٩ |
| دهيت بمن لو أدفع الموت دونه | المقابر | طويل | ١٠٧ |
| سلام على دار رحلنا وغودرت | قفرا | طويل | ١٢٧ |
| عينى جنت فى فؤادى لوعة الفكر | البصر | بسيط | ٤٢ |
| كانت إلى دهرى لى حاجة | بالمشترى | سريع | ١٠٦ |
| لا تلمها على النفار ومنع الوصل | بنكير | خفيف | ١٤٦ |
| لئن سترتك بطون اللحود | يستتر | متقارب | ١٥٩ |
| ليس التذلل فى الهوى يستنكر | المستكبر | كامل | ٦٩ |
| ما أقبح الهجر بعد وصل | بعد هجر | مخلع البسيط | ١٠٧ |
| ناسى الأحبَّةِ غير من يسلوهم | المقصر | كامل | ١٤٢ |
| هجرت من أهواه لا عن قلى | الهاجر | سريع | ١٠٦ |
| هواك فلست أقربه غرور | سرير | وافر | ١٤٩ |
| وجرحك لى جرح جبار فلا تلم | جبار | بسيط | ١٦٨ |
| وددت بأن القلب شق بمدية | فى صدرى | طويل | ٩٣ |
| وددت بأن ظهر الأرض بطن | ظهرا | وافر | ١٢١ |
| وسائل لى عما لى من العمر | والعذر | بسيط | ٩٠ |
| ولا تتبدل قالة قد سمعتها | بما تدرى | طويل | ٨٧ |
| يا ليت شعرى من كانت وكيف سرت | القمر | بسيط | ٣٧ |

( ز )

| | | | |
|---|---|---|---|
| ولى فى الذى أبدى مرام لو أنها | وهرز | طويل | ٨٨ |

( س )

| | | | |
|---|---|---|---|
| أتيتنى وهلال الجو مطلع | للنواقيس | بسيط | ١٧٣ |
| أرعى النجوم كأننى كلفت أن | والخنس | كامل | ٣٠ |


obeikandl.com

| المطلع | القافية | البحر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| تنوب عن بهجة الأنوار بهجته | أنامى | بسيط | ١٢٢ |
| جرى الحب منى مجرى النفس | الفرس | متقارب | ٩١ |
| عجبت لواش يكشف أمرنا | يتنفس | طويل | ٨٤ |
| كأنها حين تخطو فى تأودها | مياس | بسيط | ٩٢ |
| **( ش )** | | | |
| كم درت حول الحب حتى لقد | الفراش | سريع | ٩٧ |
| **( ص )** | | | |
| خفيت عن الأبصار والوجد ظاهر | لا شخص | طويل | ١٢٠ |
| غافص الفرصة واعلم أنها | الفرص | رمل | ٧٣ |
| **( ض )** | | | |
| إذا أنا أبلغت نفسى المنى | ممرضا | متقارب | ٧٩ |
| أسامر البدر لما أبطأت وأرى | عرضاً | بسيط | ٩١ |
| بذلت من الود ما كنت قبل | معرض | المتقارب | ١٢٣ |
| وخذنى عصا موسى وهات جميعهم | نضانض | طويل | ١١٣ |
| وهل يأمن النسوان غير مغفل | متأرض | طويل | ٨٤ |
| **( ط )** | | | |
| وقد كنت تلقانى بوجه لقربه | سخط | طويل | ١٢١ |
| **( ظ )** | | | |
| زار الخيال فتى طالت صبابته | والحفظه | بسيط | ١٣١ |
| **( ع )** | | | |
| سريع إلى ظهر الطريق وإنه | يسرع | طويل | ١٠٣ |
| عزيز على اليوم قطع كتابكم | قاطع | طويل | ٥٦ |
| وذى علة أعيا الطبيب علاجها | مصرعى | طويل | ١١٩ |
| وقد سقط العتب المقدم وامحى | تسرع | طويل | ١٢٢ |


obeikandl.com

| المطلع | القافية | البحر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| وكنت أعدد أيضاً على | السامع | متقارب | ١٠٤ |
| ولى قول جميل الصبر يتبعه | أضلعه | بسيط | ١١٣ |
| | (ف) | | |
| أغ لى كسبنيه اللقاء | شريفا | متقارب | ٣٩ |
| أغار عليك من إدراك طرفى | لمس كفى | وافر | ١٣٢ |
| بذلت من الود ما كنت قبل | جزافا | متقارب | ١٢٣ |
| صبان هيمانان فى واحد | منحرف | سريع | ١٨٢ |
| لما منعت القرب من ميدى | ينصفنى | سريع | ١٣٠ |
| ليت الغراب يعيد اليوم لى فعسى | وقفا | بسيط | ١٢٨ |
| وأستلذ بلائى فيك يا أملى | أنصرف | بسيط | ٢٦ |
| ويامن لامنى فى حب | طرفى | هزج | ٣٨ |
| يبكى لميت مات وهو مكرم | الذوارف | كامل | ١٤٢ |
| | (ق) | | |
| أراقك حسن غيبه لك تأريق | تحريق | طويل | ١٨٩ |
| صار حياة وكان سهم ردى | دريا قا | منسرح | ٨١ |
| | (ك) | | |
| أتانى وماء المزن فى الجو يسفك | يسبك | طويل | ١٧٢ |
| أقول لنفسى ما مبين كحالك | هالك | طويل | ١٨٢ |
| أما الغلام فقد حانت فضيحته | هتكا | بسيط | ١٦٩ |
| دموع الصب تنسفك | ينهتك | مجزوء الوافر | ٦١ |
| | (ل) | | |
| الآن إذا حل الفراق جدت لى | بخله | وافر | ١٢٣ |
| أجزعت أن أزف الرحيل | الزميل | مجزوء الكامل | ١٢٦ |
| أحب شىء إلىّ اللوم والعذل | لى أمل | بسيط | |
| إذا مزجت الحق بالباطل | الغافل | سريع | ٩٤ |
| أقمت إلى أن جاء فى الليل راجيا | الأمل | طويل | ٣١ |


obeikandl.com

| المطلع | القافية | البحر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| ألا لله دهر كنت فيه | وأهلى | وافر | ١٤٤ |
| رأيتك فى نومى كأنك راحل | هامل | طويل | ١٣٢ |
| رسولك سيف فى يمينك واستجد | صقله | طويل | ٥٨ |
| فإن تنأعنى بالوصال فإننى | يكن وصل | طويل | ١٢٩ |
| قليل وفاء من يهوى يجل | يقل | وافر | ١١٥ |
| وذى عذل فيمن طوانى حسنه | ويقول | طويل | ٦ |
| ومن أعاجيب الزمان التى | والقائل | سريع | ٩٤ |
| يقول لى الطبيب بغير علم | عليل | وافر | ١٣٧ |

(م)

| | | | |
|---|---|---|---|
| أنت فى مشرق النهار بخيل | كريما | خفيف | ١٣٢ |
| جعلت اليأس لى حصناً ودرعا | المستضام | وافر | ١٩٧ |
| دع عنك نقص مودتى متعمدا | يا ظالم | كامل | ١٠٣ |
| رقيب طال ما عرف الغراما | المناما | وافر | ٨٢ |
| طاف الخيال على مستهتر كلف | لم ينم | بسيط | ١٣٣ |
| عتاب واقع وشكاة ظلم | وخصم | وافر | ٥٣ |
| غزال قد حكى بدر التمام | من غمام | وافر | ٥٣ |
| كانت جهنم فى الحشا من حبكم | إبراهيما | كامل | ١٤٤ |
| لا مثل يومك ضحوة التنعيم | فى تنعيم | كامل | ١٢٦ |
| مهذبة بيضاء كالشمس إن بدت | نجوم | مخلع البسيط | ١٦٤ |
| مواصل لا يغب قصدا | غما | وافر | ٨١ |
| وأكذب من حسن الظنون حديثه | ملازم | طويل | ٨٨ |

(ن)

| | | | |
|---|---|---|---|
| أقمت سفيراً قاصداً فى مطالبى | بيننا | طويل | ١١٥ |
| بدا كل ما كتمته بين مخبر | بينا | طويل | ٨٨ |
| ترى كل ضد به قائما | المعانى | متقارب | ٢٥ |
| تعلمت السحائب من شؤونى | الهتون | وافر | ٣٠ |
| جواب أتانى عن كتاب بعثته | ساكنا | طويل | ٥٦ |
| درى الناس أنى فتى عاشق | بمن | متقارب | ٦١ |


obeikandl.com

| المطلع | القافية | البحر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| فإن أهلك هوى أهلك شهيدا | عين | وافر | ١٥٢ |
| فها أنا ذا أحنى وأقنع راضيا | فى الحين | طويل | ١٢٩ |
| قفا فاسألا الأطلال أين قطينها | الملوان | طويل | ١٢٥ |
| كذب المدعى هوى اثنين حتما | مانى | خفيف | ٤٦ |
| لأبرد باللقيا غليلا من الحوى | هيانه | طويل | ١١٩ |
| لا تتبع النفس الهوى | للمحن | مجزوء الرجز | ١٦٧ |
| لا تلم من عرض النفس لما | المحن | مديد | ١٦٧ |
| لبس الصب للصبابة بينا | منا | خفيف | ١٢٦ |
| لقد وصفوك لى حتى التقينا | فى العيان | وافر | ٣٨ |
| ما علة النصر فى الأعداد تعرفها | يفرونا | بسيط | ٢٥ |
| معهود أخلاقك قسمان | صنفان | سريع | ١٠٧ |
| منهم فتى كان فى محبوبه وقص | جنان | بسيط | ٥٠ |
| وصفوك لى حتى إذا أبصرت ما | هذيان | كامل | ٣٨ |
| يا جاعلا إخراج حر نسائه | الغزلان | كامل | ١٧١ |
| يطيل جلوسا وهو أثقل جالس | فنونه | طويل | ٨٠ |
| يقولون شجك من همت فيه | شجنى | متقارب | ١٣٠ |
| يضحك الروض والسحائب تبكى | معنى | خفيف | ٩٦ |

( هـ )

| | | | |
|---|---|---|---|
| رأيت الجزيرى فيما يعانى | السفاه | متقارب | ١٧١ |
| فكونوا كمن لم أدر قط فإننى | تصلوه | طويل | ١٤٣ |
| للسر عندى مكان لو يحل به | المنون له | بسيط | ٦٢ |
| ما عاش إلاّ لأن الموت يرحمه | الضنى فيه | بسيط | ٦١ |
| ورب رقيب أرقبوه فلم يزل | ليبعدنى عنه | طويل | ٨١ |
| وليس يحمد كتمان لمكتتم | مفشيه | بسيط | ١١١ |

( ى )

| | | | |
|---|---|---|---|
| أمن عالم الأملاك أنت أم انسى | العمى | طويل | ٢٥ |
| إن للوصل الخفى محلا | الجلى | مديد | ٩٦ |


obeikandl.com

| المطلع | القافية | البحر | الصفحة |
|---|---|---|---|
| دعونى وسمى للحبيب فإننى | معاديا | طويل | ١٤٢ |
| غنيت عن التشبيه حسنا وبهجة | عن الحلى | طويل | ١٦٠ |
| منعت جمال وجهك مقلتيا | عليا | وافر | ١٤٦ |
| وقائل لى هذا | غيا | مجتث | ١٦٧ |


obeikandl.com

# فهرس الكتاب


صفحة

مقدمة الطبعة الثانية . . . . . ١

كلمة المحقق . . . . . ٣

مخطط مدينة قرطبة فى القرن العاشر الميلادى. . . . . ١١

المقدمة . . . . . ١٤

١ – الكلام فى ما هية الحب . . . . . ١٩

٢ – باب علامات الحب . . . . . ٢٧

٣ – باب من أحب فى النوم . . . . . ٣٦

٤ – باب من أحب بالوصف . . . . . ٣٨

٥ – باب من أحب من نظرة واحدة . . . . . ٤٠

٦ – باب من لا يحب إلا مع المطاولة . . . . . ٤٤

٧ – باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها . . . . . ٤٧

٨ – باب التعريض بالقول . . . . . ٥٢

٩ – باب الإشارة بالعين . . . . . ٥٤

١٠ – باب المراسلة . . . . . ٥٦

١١ – باب السفير . . . . . ٥٨

١٢ – باب طى السر . . . . . ٦٠

١٣ – باب الإذاعة . . . . . ٦٤

١٤ – باب الطاعة . . . . . ٦٨

١٥ – باب المخالفة . . . . . ٧٥

١٦ – باب العاذل . . . . . ٧٦

١٧ – باب المساعد من الإخوان . . . . . ٧٧

١٨ – باب الرقيب . . . . . ٨٠

١٩ – باب الواشى . . . . . ٨٣

٢٠ – باب الوصل . . . . . ٩٠




obeikandl.com

صفحة

٢١ – باب الهجر . . . . . ٩٨
٢٢ – باب الوفاء . . . . . ١٠٩
٢٣ – باب الغدر . . . . . ١١٥
٢٤ – باب الين . . . . . ١١٧
٢٥ – باب القنوع . . . . . ١٢٩
٢٦ – باب الضنى . . . . . ١٣٧
٢٧ – باب اللو . . . . . ١٤١
٢٨ – باب الموت . . . . . ١٥٢
٢٩ – باب قبح المعصية . . . . . ١٦١
٣٠ – باب فضل التعفف . . . . . ١٨٤
خاتمة . . . . . ١٩٥
خطوة على طريق الكمال . . . . . ١٩٩
كشاف عام . . . . . ٢٠٠
فهرس القوافي . . . . . ٢١١

obeikandl.com

# كتب أخرى للمؤلف

١ – امرؤ القيس : حياته وشعره .
الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٤ .
٢ – دراسة فى مصادر الأدب .
الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ .
٣ – ملحمة السيد .
أول ملحمة أندلسية كتبت فى اللغة القشتالية ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٠ .
٤ – مع شعراء الأندلس والمتنبى .
ترجمة أمينة لكتاب المستشرق الإسبانى غرسية غومث ، القاهرة ١٩٧٤ .
٥ – بابلو نيرودا : شاعر الحب والنضال .
كتاب روز اليوسف ، القاهرة ، يونية ١٩٧٤ .
٦ – دراسات عن ابن حزم وكتابه « طوق الحمامة » .
القاهرة ١٩٧٧ .
٧ – القصة القصيرة : دراسة ومختارات ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٧ .


| | |
|---|---|
| رقم الإيداع | ١٩٨٠/٤٤٧٨ |
| الترقيم الدولى | ISBN ٩٧٧-٧٣٣٤-٩٦-٦ |

٣/٨٠/٤٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م.ع.)


obeikandl.com